اللآلئ الجوهرية

فى الخطب المنبرية

إعـداد

الشيخ/ أبو السعود مأمون محمد



بطاقة فهرسة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: اللآلئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

إعـــــداد: أبو السعود مأمون محمد

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٢



مقدمة

أحمدك اللهم وأشكرك وأستعين بك وأستغفرك وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شـــريك لك تعطى وتمنع وتخفض وترفع وتعز وتذل فلك الحمد ولك الشـكر فى كل وقت وحين وأشـهد أن محمدا عبدك ورسـولك صـفوة الأنبياء وخاتم المرسـلين صـلوات الله وسـلامه عليه وعلى آله وصـحبه أجمعين.. وبعد...

هذه خطب منبرية ألقيتها فى مسـجد معهد المنصـورة للبنين الإعدادى الثانوى وقد جمعتها فى كتاب به موضـوعات متنوعة مسـتدلا بآيات من كتاب الله وأحاديث سيد الأبرار.

حتى صـارت والحمد لله سـهلة الفهم خالية من التعقيد وتسـير مع رسـالة الأزهر الشـريف وتنبثق من رسـالات السـماء ودعوته هى دعوة الرسـل والأنبياء هى دعوة إلى توحيد الخالق والعبادة الصـحيحة فجاءت بحمد الله تحفة فائقة فلذلك سميت كتابى هذا..

(اللآلئ الجوهرية فى الخطب المنبرية)

أسـأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصـا لوجهه الكريم ويكون لى سببا فى الفوز بجنات النعيم فأقول متوسـلا إليه بصـاحب الوسيلة ومتوكلا عليه راجيا معروفه وجميله وأن يجعل لى من ثواب من ينتفع به نصـيبا وأن يحقق أملى فى نشـر العلم وأن يكون خير زاد للدعاة والأئمة والواعظين والمسـلمين فإن كنت قد وفقت إلى ذلك فالحمد والشـكر لله وهو حسـبي ونعم الوكيل والنصـير وإن كنت قد قصرت فهذا جهد المستطاع.

الداعية الإسلامى
الشيخ/ أبو السعود مأمون محمد
من علماء الأزهر الشريف

* * *

إهــداء

حمدا لمن وفق من اصطفاه لنفع عباده.. وأسعد من ارتضاه لهدايته وإرشاده..

بفضله نور قلوب العارفين.. وشرح صدورهم للعمل بأحكام الدين...

فهم المتوجهون برتبة حسن النصيحة والدعوة. المجعولون للمتقين إماما وقدوة..

من اقتدى بهم اهتدى... ومن أنكر عليهم ضـل واعتدى. والصــلاة والســلام على سـيدنا محمد الذى جاءنا بالهدى ودين الحق وعلى آله وصـحبه الناهجين مناهج العدل والصدق... وبعد..

فقد تصفحت هذا الكتاب المسمى:

(باللآلئ الجوهرية فى الخطب المنبرية)

فوجدته سهل العبارة واضح الإشارة قليل المبانى.. كثير المعانى..

إشاراته واضحة محكمة.. لا مطيلة مملة.. ولا مختصرة مخلة..

جمع فيه ما ورد فى الكتاب والسنة والآداب.. فإذا هو روضة يانعة الأزهار..

يجب أن يعمل بما فيه المتقون.. وفى مثل ذلك فليتنافس المتنافسون..

وقد اشتمل الكتاب على ما تجب معرفته من العقائد والأحكام للدين المصون..

للشــيخ الجليل " أبو الســعود مأمون "... فجد الشــيخ واجتهد.. وعلى مولاه فى تأليف الكتاب اعتمد..

جعل الله عمله مقبولا.. ونفعه دائما موصــولا.. وســعيه مشــكورا.. ووفاه أجره موفورا..

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم و الدين..

الداعية الإسلامي

الشيـخ/ أحمد محمد الشيـخ

من علماء الأزهر الشريف

* * *

١ ـ آداب المساجد

الحمد لله الذى تفضل فشرع الأعمال الصالحة التى ترفع شأن المسلمين وتحقق العزة والسعادة والسيادة للمؤمنين الصالحين. أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.

قد حث على هذه الأعمال ورغب فيها حيث أمر بها وبين أنه يراها ووعد بأنه يرفعها إلى ساحة رضوانه وبأنه لا يضيع أجر العاملين

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. جعل القيام بإنشاء المساجد وعمارتها من أهم الأعمال الصالحة حيث بين أن ذلك من صفات المؤمنين وقد اختص المساجد بإضافتها إلى نفسه. تعظيما لشأنها. وترغيبا فى المساهمة فى إقامتها وفى الإكثار منها كى يعبد فيها الله رب العالمين...

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله كانت عنايته بالمساجد عظيمة بالغة الأثر حيث جعل بناءها أول شئ بدأ به عمله أثناء الهجرة وبعدها وذلكم لما فيها من العمل على تنظيم وحدة المسلمين..

اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين نهجوا منهجه وسلكوا سبيله فاهتموا بعمارة المساجد لما أدركوه من عظيم آثارها فكانوا من المهتدين.

أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين:{إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨} [التوبة: ١٨].

أيها المؤمنون: المســـاجد هى بيوت الله فى الأرض حيث يجتمع المسلمون فيها ويخرون لله جل جلاله ساجدين بجباههم على أرضـها ضـارعين إلى الله بالتنزيه والتسبيح مبتغين القرب من ساحة الرحمن ذى الجلال والإكرام.

والمسـاجد يا عباد الله هى مدارس دينية قيمة توجه المسلمين إلى ما فيه سـعادتهم فى الدنيا والآخرة. وذلك بما يتلقونه فيها على ألسـنة المرشـدين من دروس دينية وأخلاقية وثقافية واجتماعية واقتصـادية وصحية.

والمسـاجد يا عباد الله هى مستشفيات روحية رحيمة كريمة تعالج فيها جميع الأمراض النفسـية الخبيثة التى تبعد أصـحابها عن رحمة الله. وتجلب عليهم الشـــقاء فى الدنيا والآخرة مثل الحقد والميل إلى ارتكاب المنكرات واتباع الهوى والشـهوات والغيبة والنميمة والحسد والكبر والغرور.

فإن هذه الأمراض كلها تعالج فى المســـاجد بما يلقى فيها من العظات الدينية التى تعالج كل مرض من هذه الأمراض بما يناســـبه بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولهذا كان من الحكمة أن يختار القائمون بالوعظ والإرشـــاد فى المســـاجد ممن توفرت فيهم القدوة الكاملة على القيام بهذه الأعباء وحسن أداء الرسالة فيها.

واختيار أقوم الطرق لتوجيه الناس إلى الانتفاع بالدروس التى تلقى فيها والصــلاحية لمعالجة الأمراض بما يقدم إلى أصــحابها من قضايا الدين الحنيف. إذ ليس كل إنسان قادرا على تحمل هذه الأعباء صالحا لهذه التوجيهات.

فإذا خلت المساجد ممن تتوفر فيهم هذه الصفات ضعفت رسالتها التى هى أعظم رسالة روحية تحقق للمسلمين أهدافهم التى توصلهم إلى الفوز بخيرى الدنيا والآخرة والمساجد يا عباد الله هى التى تزول فيها الفوارق بين الطبقات وتتم فيها المساواة بين جميع الأفراد. حيث أن جميع المجتمعين فيها يصلون لإله واحد ويستقبلون قبلة واحدة ويسجدون على أرضها بجباههم لإله واحد لا فرق بين غنى وفقير ولا عظيم وحقير. فبهذا كله تزول الفوارق بين الناس وتطهر قلوب الأغنياء من الكبر والغرور والاحتقار فيدنون الفقراء منهم فتطهر قلوب الفقراء من الحقد على الأغنياء. وينزع الغل والبغض من صدور الناس ونفوسهم حتى يصبح المسلمون جميعا بنعمة الله إخوانا متحابين متعاونين متضامنين وتلكم هى أسمى الغايات.

(فيا أيها المؤمنون)..

هذه هى المساجد وتلكم بعض مميزاتها فلا عجب إذا رأينا اهتمام الدين بها وغايته بإنشائها فقد حثنا الدين على المساهمة فى إقامتها ورغب فيها بما يحفز النفوس على التسابق فى إقامتها وعمارتها وحسبنا ما تضمنته الآية الكريمة من أن الله سبحانه وتعالى قد بين فيها أن القائم بعمارة المساجد هو من زمرة المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولم يخشوا إلا الله فترجى لهم من الله الهداية والتوفيق وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**▬ رواه البخارى فى كتاب الصلاة.

ثم تلا قول الله تعالى:{إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨} [التوبة: ١٨].

وقد كان إنشاء المسجد أول شيء بدأ به رسول الله صلي الله عليه وسلم عمله أثناء الهجرة إلى المدينة وبعدها فلما نزل بقباء بنى بها مسجدا ولما استقر بالمدينة بدأ فيها ببناء مسجده المعروف بها.

وكان صلي الله عليه وسلم يعمل فى البناء بيده مع العمال الذين كانوا يقومون بالبناء وكان يحمل معهم الأحجار والجريد.

وكان مسجده صلي الله عليه وسلم برلمانا تنظم فيه شؤون المسلمين وتعقد فيه الألوية لجيوش المسلمين. كما كان نزلا ومحل استقبال للغرباء.

ويرغبنا صلي الله عليه وسلم فى بناء المساجد فيقول:♂**من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة**▬ رواه البخارى فى كتاب الصلاة.

وهذا الأجر ينتفع به كل من ساهم فى بناء المساجد ولو بوضع لبنة فيها أو بتقديم شئ من ماله للمساهمة فى البناء أو النظافة.

" وقد بين صلي الله عليه وسلم إن ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله:♂**رجل تعلق قلبه بالمساجد**▬ رواه البخارى ومسلم.

وحسبنا فى عظم شأن المساجد أن الله مالك الملك جل شأنه قد اختصها بالإضافة إلى نفسه مع أن الدنيا كلها ملك لله فى قبضته وقدرته. فقال:{وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾} [الجن: ١٨].

من هذا كله يتبن لنا أن من أنشأ مسجدا أو ساهم فى إنشائه كان له عند الله أجر عظيم. ولا عجب فهو بعمله هذا قد حول مكانا خاليا إلى أن جعله مكانا يعبد فيه الله وحده ويرتفع منه صوت المؤذن بالتهليل والتكبير ودعوة الناس إلى الصلاة التى فيها سبب صلاحهم وفلاحهم وفوزهم بالنعيم المقيم وذلك حين يقول:

(الله أكبر إلى أن يقول حى على الصلاة حى على الفلاح).

فيـا أيهـا المؤمنون... إذا كنتم تهتمون بتنظيم بيوتكم التى تقيمون فيها وتســـتقبلون فيها من تحبون فاهتمامكم بتنظيم بيوت الله يجب أن يكون أولى وأعظم لأنه بيت الله الذى تعبدونه فيه وتتشرفون بالوقوف فيـه أمـام الله عز وجـل وبين يـديـه تنـاجون وتنـادون مبتغين رحمتـه خائفين من عذابه.

فيا معشر المسلمين... إذا دعيتم إلى إنشـاء المسـاجد أو المساهمة فى إنشـــائها فلا تتهاونوا بل بادروا وســـارعوا إلى تلبية أمر الداعى وساهموا بما تستطيعون من مال أو عمل كى تفوزوا بالحسنين.

واعلموا أيها المؤمنون.. أن للمســـاجد آدابا ينبغى أن نتجمل بها وأن نتخذها شـــعارا لنا ما دمنا مقيمين فى المســجد. فمن هذه الآداب أننا إذا دخلنا المسجد ملأنا قلوبنا بما للمسجد من جلال وهيبة ووقار ورهبـة فنمتنع عن اللغو والكلام الخـارج عن العبـادة. لأن الكلام فى المساجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ومن آداب المسـاجد أيضـا أن تغلق التليفون المحمول قبل الدخول إلى المســاجد وأن تنصــت لما يلقى من قرآن وخطب ومواعظ بل إن الإنصات للقرآن والخطبة واجب.

ومن الآداب: ألا ترفع الصـوت فى المســجد إلا لله وفى عبادة الله وإذا رأينا أن رفع الصـوت بألفاظ العبادة تشـوش على أحد المصـليين أثناء صلاته امتنعنا عن رفع الصوت.

ومنها: أن ندخل بالرجل اليمنى ونخرج بالرجل اليسرى ومنها أن نعمل على نظافة ثياب المصــلين وتمام التآلف بينهم وذلك بألا نرتدى الأثواب الرثة التى تلوث ثياب المصلين.

وألا نـأكل ذا ريح كريـه كبصـــل أو ثوم كى لا يتـأذى برائحتـه المصــلين. ومنها أن نتطيب إذا اســتطعنا وأن نتجمل بأفخر الثياب.. لقوله تعالى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ} [الأعراف: ٣١].

والسؤال فى المسجد (الشحاتة) عادة مذمومة داخل المسجد وقد نبذها النبى صـلي الله عليه وسـلم حيث قال:♂**من سـأل فى المسـجد فلا تعطوه..**▬ وإنشـاد الضـالة فى المسجد وقد نبذها النبى صلي الله عليه وسلم وأمر بالدعاء على من يقوم بها فقال النبى صـلي الله عليه وسلم :♂**إذا سـمعتم من ينشـد ضالة فقولوا لا ردها الله عليه**▬ رواه مسلم الجزء الأول.

فالمساجد فيها اطمئنان للمسلمين ومتعة روحية وهدوء بال وقرب من ســاحة الله ذى الجلال كما أن فيها رجاء من الله العلى الأكبر فى تحقيق الأمـانى والآمـال.. قال رســول الله صــلي الله عليه وســلم :♂**كونوا فى الدنيا ضيوفا واتخذوا من مساجد الله بيوتا**▬ رواه مسلم.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٢ ـ الإخاء والمحبة فى الدين الإسلامى

الحمد لله الذى ألف بين المؤمنين وربط بالإيمان بين قلوب الموحدين نحمده ونشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ به من شقاق يمزق شملنا أو خلاف يفرق بيننا..

وأسأله أن يؤلف بين قلوبنا وأن يوحد بين صفوفنا إنه على كل شئ قدير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله العليم بالسرائر وما تكنه الضمائر:{إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} [الزمر: ٧] وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله الذى جمع الله به المسلمين اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد فيقول الحليم العليم جل ذكره:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾} [الحجرات: ١٠].

أيها المسلمون.. إن نظرة واحدة يلقيها فاحص بصير على ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لتكشف له خلال حقب التاريخ البعيدة أنهم كانوا على درجة كبيرة من توحيد الكلمة وتآلف القلوب ومحبة التقوى لأنهم كانوا يقرؤون القرآن ويتدارسونه ويفعلون ما جاء على لسان رب العالمين..

{ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾} [آل عمران: ١٠٣].

ويتدارسون السنة ويعقلون ما جاء فيها على لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث يقول:♂**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**▬ رواه البخارى ومسلم.

وهذا ســر قوتهم ومبعث نهضــتهم ونفوذ كلمتهم على من عداهم من الأمم الأخرى.

لقد أدركوا أن الأخوة فى الله عز وجل أعظم أصــل من أصــول الإسلام وأنها أقوى من أخوة العصب لأنها أخوة القلوب والأرواح.. وكان الواحد منهم يهجر أخاه مادام قائما على الكفر والنفاق والزوجة تهجر زوجها لأنه تخلف عن الجهاد لأنهم تدبروا قول الله عز وجل:

{لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: ٢٢].

فسلمت مجتمعاتهم من الفســاد وأمنت من عبث العابثين وإفســاد المجرمين وإنَّ مجتمعا يقوم المعوج ويأخذ بخناق الآثم لجدير أن يبلغ الكمال ويصــل إلى أعلى درجات المجد وأن يعيش أفراده آمنين على أنفسهم وأموالهم..

فما أحوجنا أيها المســلمون أن نســير ســيرة أســلافنا فى المحبة والتآلف والتعاون فلا تكون بيننا ثغرة ينفذ منها دخيل يفرق شــملنا ويضعف قوتنا وأننا سنعوذ با لله أن نكون نحن المعنيين بقول رسول الله صــلي الله عليه وسـلم: ♂**يوشــك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله؟**— قال: ♂**لا.. بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل**— رواه النسائى وأبو داود.

أيها المسلمون، لقد وردت الآثار المستفيضة عن النبى صلي الله عليه وســلم فى مدح المحبة فى الله فجعل من هذا شــأنه من الســبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.. وقد جعل الله المتحــابين فيــه على غير أرحــام بينهم ولا أموال يتعــاطونهــا ممن يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة.. أما رسول الله صـلي الله عليه وسلم لما انتهى من صلاته أقبل على الناس بوجهه فقال: ♂

أيها المســلمون اســمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادا ليســوا بـأنبياء ولا شــهداء يغبطهم الأنبياء والشــهداء على مجالســهم وقربهم من الله— فجاء رجل من الأعراب إلى نبى الله وقال: يا نبى الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء فى مجالسهم بقربهم إلى الله صــفهم لنا.. فســر وجه النبى صــلي الله عليه وســلم بسؤال الإعرابى فقال:♂**هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصــافوا أعد الله لهم يوم القيامة منابر من نور ويجلســهم عليهـا فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيـامـة وهم لا يفزعون وهم أولياء الله الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون—** رواه الإمام أحمد.

هذا مقام المتحابين فى الله الذين تآلفت قلوبهم وتصــافت نفوســهم فحق على الله أن يقربهم من حظيرة قدســــه وأن يدخلهم ســــاحة الرضــــوان يؤمنون يوم الفزع الأكبر ويوم الهول الأعظم قائلين:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَـٰمِلِينَ } [الزمر: ٧٤].

فما أحرانا أيها المسلمون أن ننبذ الخلافات وأن نتواصل با لمحبة والإخاء وأن نترك أسباب الفرقة والشقاق وأن ننزع ما فى قلوبنا من غل وأن نكون إخوة متحابين نشعر بشعور واحد كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى لقول رسول الله صــــلي الله عليه وســــلم :♂**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجســد إذا اشــتكى منه عضــو تداعت له ســائر الأعضــاء بالحمى والسهر—** رواه مسلم.

فــاتقوا الله وثقوا أنكم لن تنــالوا الخير إلا إذا اتحــدت قلوبكم وتضـــافرت جهودكم وحينئذ لن ترهبكم أعداؤكم وتعلوا كلمتكم ولا يبقى فيكم مطمع الطـامع وكيف وأنتم أمة واحدة وأنتم حرب على من عاداكم...

قال رســول الله صـــلي الله عليه وســلم :♂**يقول الله عز وجل يوم القيامة أين المتحابون بجلالى فاليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى**▬ رواه البخارى.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله:**

١ - إمام عادل.
٢ - وشاب نشأ فى عبادة ربه.
٣ - ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه.
٤ - ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه.
٥ - ورجل قلبه معلق بالمساجد.
٦ - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.
٧ - ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفســها فقال إنى أخاف الله▬ رواه البخارى ومسلم.

ويقول رســول الله صـــلي الله عليه وســلم :♂**تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا به بعدى أبدا كتاب الله وسنتى**▬ رواه مسلم.

مـا من يوم جمعـة إلا وفيـه ســـاعـة إجابـة فـادعوا الله لعلهـا تلك الساعة توبوا إلى الله جمعيا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٣ ـ مدح الصدق وذم الكذب

الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور..

أحمده فهو أهل للحمد والثناء وأشكره فى السراء والضراء وفى الشدة والرخاء وأسأله العافية من كل داء والنجاة من كل بلاء إنه سميع قريب مجيب الدعاء وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين وأشهد أن محمدا رسول الله الصادق الوعد الأمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه الذين استمسكوا بالعروة الوثقى واتبعوا النور الذى أنزل معه ومن اهتدى يهديهم إلى يوم الدين..

أما بعد..

فيقول الحق جل شأنه:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة: ١١٩].

أيها المسلمون.. الصدق رفيع المنزلة عند الله عز وجل ولذا نسبه إلى ذاته.

والله سبحانه وتعالى يحب من عباده الصدق ولو انتهى بهم إلى الضراء ويكره الكذب ولو انتهى بصاحبه إلى السراء. ذلك لأن الكذب من أقبح الذنوب والكذاب مذموم فى كتاب الله قال تعالى:{قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾} [الذاريات: ١٠] أي: لعن الكذابون.

وقال جل شأنه:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾} [الصف: ٧].

وقد بين رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الصدق طريق الجنة ودعا إلى التحلى به كما بين أن الكذب طريق النار وحذر منه. وذلك حيث يقول:

♂**عليكم بالصـدق فإن الصـدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصـدق ويتحرى الصـدق حتى يكتب عند الله صـديقا. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجـل يكـذب ويتحرى الكـذب حتى يكتب عند الله كذابا**ـــ رواه البخارى ومسلم.

وقد سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم : أيكون المؤمن جبانا؟ قال:♂**نعم**ـــ. قيل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال:♂**نعم**ـــ. قيل له أيكون المؤن كذابا؟ قال:♂**لا**ـــ رواه مسلم.

وروى أبو داود رضى الله عنه عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال:♂**ويـل للـذى يحدث الحديث يضـحك به القوم فيكذب ويل له ويل له**ـــ.

والويل معناه: الهلاك وهو واد فى جهنم. ومما يدل على أن الكذب أعظم خطيئة يقترفها الإنسـان لما يترتب عليها من قلب الحقائق وضياع الحقوق وإيغار الصدور وظلم القوى للضعيف قول رسول الله صلي الله عليه وسلم : ♂**أصدق الحديث كتاب الله وأشرف الحديث ذكر الله وشر العمى عمى القلوب وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وشر الندامة ندامة يوم القيامة**ـــ.

وخير الزاد التقوى والخمر جماع الإثم والنسـاء حبائل الشـيطان والشباب شعلة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وأعظم الخطايا اللسان الكذوبـــ رواه أحمد.

وهناك نوع من الكذب لا يعاقب الله عليه لأنه لا يترتب عليه أمور ضارة بالمسلمين فى دينهم أو دنياهم بل ربما جر عليهم خيرا كثيرا كالكذب على الأعداء فى الحرب. والكذب فى الإصلاح بين الناس. والكذب فى الإصلاح بين المرء وزوجه. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**الكذب لا يصلح إلا فى ثلاث: فى الحرب لأن الحرب خدعة والرجل يصلح به بين اثنين والرجل يصلح به بين امرأته**▬ رواه البخارى.

وحسبنا قول الله فى الكذابين: قوله تعالى:{ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ } [النحل: ١٠٥].

فيا معشر المسلمين:اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فإن مقامهم محمود عند ربهم يرفعهم الله إلى مقام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة. قال تعالى:{ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾} [الزمر: ٣٣].

وقال:{ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾} [المائدة: ١١٩]. وإياكم والكذب لأن الله توعد صاحبه بالفضيحة يوم الحشر وجعل له علامة قبيحة يعرف بها بين الخلائق.

قال تعالى:{ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾} [الزمر: ٦٠].

والإسلام يوصى أن تغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم كلها.

فعن عبد الله بن عامر قال:♂دعتنى أمى يوما ورسول الله صلي الله عليه وسلم قاعد فى بيتنا فقالت: تعال أعطك فقال لها صلي الله عليه وسلم :♂**ما أردت أن تعطيه..▬** قالت: أردت أن أعطيه تمرا.. فقال لها:♂**أما أنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة▬** رواه مسلم. فانظر كيف يعلم الرسول صلي الله عليه وسلم الأمهات والآباء أن ينشؤوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ويبتعدون عن الكذب. والتاجر قد يكذب فى بيان سلعته وعرض ثمنها. والتجارة عندنا تقوم على الطمع البالغ. فالبائع يريد الغلو والشارى يريد البخس وقد كره الإسلام هذه المعاملة الجشعة.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدق البيعان وبينا بورك لهما فى بيعهما.. وان كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا وقد محيت بركة بيعهما▬** رواه أبو داود..

وعن أبى أوفى: أن رجلا أقام سلعة فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين.. فنزل قول الله تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾} [آل عمران: ٧٧].

والحيف فى الشهادة من أبشع الكذب فالمسلم لا يبالى إذا قام بشهادة ما أن يقرر الحق ولو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه لا تميل به قرابة ولا عصبية..

والله تبارك وتعالى يقول:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾} [النساء: ١٣٥].

وعن أبى بكرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وكان متكئا فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**▬ رواه البخاري.

إن التزوير كذب كثيف الظلمات فالمزور لا يكتم الحق فحسب بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل وخطره على الأفراد فى القضايا الخاصة وخطره على الأمم فى القضايا العامة شديد.

روى مالك عن ابن مسعود:♂**لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب فينكت فى قلبه نقطة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكذابين**▬ رواه مسلم.

ويحيق به قول الله فى كتابه:{ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾} [النحل: ١٠٥].

وأما البر الذى هدى إليه الصدق هو قمة الخير التى لا يرقى إليها إلا أولوا العزم من الرجال وحسبك فيه هذه الآية الجامعة:{لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾} [البقرة: ١٧٧].

يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان**▬.

ما من يوم جمعة إلا فيه ساعة إجابة فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. * * *

٤ ـ حسن الجوار وأثره فى خدمة الأمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد. يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير أرسله الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين وائتلاف بين المتفرقين المتباغضين سيدى يا رسول الله..

صلت عليك ملائك الرحمن ::: وسرى الضياء بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مزودا ::: بحمى الإله وراية القران

اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا النور الذى أنزل معه ففازوا بالحظ الأوفر والرضوان الأكبر والنعيم المقيم..

أيها المؤمنون.. إن المتأمل فى تشريعات الإسلام يجدها كلها تبنى الأخوة المتينة بين المسلمين وتعتبر الإسلام نسبا لا يقل عن نسب العرق والدم ومن هذه التشريعات التى تشيع الأمان والحب بين المسلمين.. واجب كل إنسان نحو جاره فعليك حقوق لجارك وعلى جارك نفس الحقوق لك..

وهكذا حتى تصبح البلد كلها جسدا واحدا يخدم بعضه بعضا قال الله تعالى:{وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ} [النساء: ٣٦].

واضح أن الأمر بالإحسان إلى الجار ورد مقرونا بالأمر بإحسان عبادة الله وبعدم الشـــرك به ســـبحانه مما يدل على أهمية الجوار فى الإسـلام. وكيف أن حسـن الجوار فى الإسـلام يغلق باب الشـر ويفتح باب الخير على مصراعيه.

والجيران فى الآية الكريمة ثلاثة أنواع:

أولها: الجار ذى القربى وهو الجار إذا كان من أقربائك.

ثانيها: الجار الجنب وهو الجار الذى ليس بقريبك.

ثالثها: الصاحب بالجنب. قال على وابن مسعود رضى الله عنهما هى الزوجة.

وقال غيرهما: هو الرفيق فى السفر أو الجليس فى الحضر.

وحق الجار ثابت للجار حتى ولو لم يكن مســلما. ومن هنا كانت عظمة التســامح الإســلامى والدعوة إليه عن طريق القدوة الأخلاقية السامية.

ولقد عنى رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم عناية فائقة بالجيران وبيان أحكامهم وعلاج جار السوء.

وقد رتب الجيران حســـب أهمية حقوقهم فى **حديث جابر فقال الجيران ثلاثة:**

جار له حق واحد: وهو الجار المشرك له حق الجوار.

وجار له حقان: وهو الجار المسلم ذو القرابة له حق الجوار وحق الإسلام.

وجار له ثلاثة حقوق: وهو الجار المسلم ذو قرابة له حق الإسلام وحق القرابة وحق الجوار.

هذه هى عظمة الإســلام وروحه الســمحة فى العناية بالحب الإنسانى الرفيع جعل حق الجوار مستقلا عن حق الإسلام وعن حق القرابة وأثبته لغير المسلم حتى ولو كان كافرا.

ولولا أن حســن الجوار له أثره البعيد فى الأمن والحب والدعوة إلى الإســلام لما ألح جبريل على رســول الله صــلي الله عليه وســلم بالوصية بالجار.

وعن ابن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:♂**مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**━ رواه البخاري.

وقد نفذ الصحابة وصايا رسول الله صلي الله عليه وسلم بالجيران أدق تنفيذ فكان لعبد الله بن عمر جار يهودى فكان إذا ذبح الشــاة قال: احملوا إلى جــارنــا اليهودى منهــا ومــا ذاك إلا أنــه وعى وفهم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قوله:♂**لا يشبع الرجل دون جاره**━ رواه أحمد.

ومن أجل هذا الحق المؤكد الذى حكم به الإســلام فإن أذى الجيران مســلمين أو غير مســلمين حرام لأن حق الجوار كما قلنا مستقل عن حق الإسلام. وحق القرابة. وحق الجوار هو حق المعايشة الآمنة وهو وجه الإسلام المشرق الذى لا يكن أي شر لأى إنسان. ولهذا جاء النكير الشــديد فى الســنة لمن يؤذون جيرانهم بالقول أو بالعمل حتى نفى الرسول صلي الله عليه وسلم عنهم الإيمان.

فعن أبى هريرة ☺ عن رســول الله صــلي الله عليه وســلم أنه قال:♂**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن**━ قيل: من يا رسول الله؟ قال:♂**الذى لا يؤمن جاره بوائقه**━ رواه الشيخان.

وعنه أيضــا:♂**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**━ رواه البخارى ومسلم.

وقد ورد حديث جمع فيه الرسول صلي الله عليه وسلم مرافق الجار وهو حديث معاذ ابن جبل قال: قلنا: يا رسول الله ما حق الجار؟ قال: ♂**إن استقرضك أقرضته وإن استعان بك أعنته وإن احتاج أعطيته وإن مرض عدته وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير سرك وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزيته ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتمنع عنه الريح إلا بإذنه وإذا اشتريت فاكهة فاهد له منها وإلا فأدخلها سرا ولا تخرج ولدك بشىء منها يغيظ بها ولده**▬ رواه مسلم.

إننا فى هذه الأيام نشكو من سوء أخلاق الناس ومن شيوع الشر فى نفوسهم.

فكم من كلمة طيبة أبدلت قلبا حاقدا من حقده. فالإحسان إلى الجار سيقابله إحسان منه إليك والرسول صلي الله عليه وسلم وضع له علاجا يقضى على شره

فعن أبى هريرة ☺ قال: جاء رجل إلى النبى صلي الله عليه وسلم يشكو جاره فقال: ♂**اذهب فاصبر فأتاه مرتين أو ثلاثا فقال له اذهب فاطرح متاعك فى الطريق ليعلم الناس جميعا أنك مللت أذى جارك**▬ فذهب الرجل فطرح متاعه فى الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره فجعل الناس يلعنونه ويقولون فعل الله به وفعل به فجاء جار السوء إلى جاره وقال له ارجع لا ترى منى شيئا تكرهه، رواه البخارى.

هذا هو علاج جار السوء أن يجعل الناس بينه وبينه حكما لا أن يتشاجر معه أو يؤذيه فالأذى فى ذاته حرام ولكن إعلان الناس رأيهم فى جار السوء يجعله يرجع حتما إلى صوابه.

فاتقوا الله أيها المسلمون: واعتصموا بسنة نبيكم صلي الله عليه وسلم لتنعموا بالحياة الهادئة ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم...

* * *

٥ ـ العـدل

الحمد لله الذى ثبت أحكام العدل على أساس مكين وشمل برحمته ورضـــوانه أهل الإخلاص واليقين ســبحانه هو الحكم العدل الذى لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ به أن أَضِلّ أو أُضَلّ أو أَذِلّ أو أُذَلّ أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يُجهل على إنه سـميع مجيب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بالقسطاس المستقيم.

وأشـــهد أن محمدا عبده ورســوله صـــاحب الخلق الكريم والطبع السليم الذى دعا أمته إلى طريق الحق والصواب واتباع أحكام السنة والكتاب. صــلوات الله وســلامه وأذكى تحياته وعلى آله الذين زكت نفوســهم وصـفت قلوبهم واتبعوا سـبيل الحق فزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم.. أما بعد...

فيقول الحق جل شــــأنـه:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠} [النحل: ٩٠].

العدل: هو إعطاء كل ذى حق حقه والعدل: هو الوســـط بين الإفراط والتفريط فى الإنفاق حتى فى العبادات وقد أمر الله بـه فى هذه الآية أمرا مؤكدا كما أمر أن يكون العدل أســـاس الأحكام فى الدولة فقال:{وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ} [النســاء: ٥٨] وأمر به أمرا مقترنـا بما يفيد أن الله جعلـه قريبا من التقوى فقال:♂**اعـدلوا هو▬**.

(أي: العدل) (أقرب للتقوى) وحذرنـا من أن يحملنـا البغض على ترك العدل بيننا.

فقال:{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ} [المائدة: ٨].

كما أمرنا أن نتخذ العدل هدفا وأساسا لنا فى شهاداتنا حتى ولو كانت هذه الشهادة ضد الوالدين أو الأقربين أو الشخص نفسه حيث قال:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾} [النساء: ١٣٥].

وقد أوحى بالتزام العدل فى كل التصرفات حتى ولو كان ذلك فى غير مصلحة القريب منا فقال:{وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ} [الأنعام: ١٥٢].

والعدل من أسماء الله تعالى فهو الحكم العدل... وضد العدل الظلم

وللظلم أنواع كثيرة وصور متعددة. ولقد نهى الله عن الظلم. وحذر منه فى أساليب متعددة مبينا آثاره السيئة فقد بين أنه سيحرم الظالمين من الهداية والتوفيق فقال:{وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [آل عمران: ٨٦].

كما بين أن الظلم يكون سببا فى حرمان الظالم من الكثير من طيبات الله..

قال تعالى:{فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [النساء: ١٦٠] وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**إن الله ليملى للظالم (أي يمهله) حتى إذا أخذه لم يفلته**▬ رواه الشيخان.

وقد بين مصير الظالمين فقال: وأن الظالمين لهم عذاب أليم وقال: { وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾} [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

وقد حث الله سبحانه وتعالى عباده على التزام العدل وترك الظلم فى شتى أمورهم وكافة شؤونهم.

والعدل أقسام:

١ - عدل الإنسان مع نفسه بأن يسلك بها طريق الاعتدال فى العقيدة والعمل والإخلاص وأن يجتنب الإسراف فى الشهوات والإمعان فى الملذات والميل إلى المحرمات وأن يقوم طبعه ويهذب خلقه حتى يسعد حاله ويستقيم أمره بين العباد.

٢ - عدل الإنسان مع غيره ومنه عدل الإمام فى رعيته بالسهر على مصالحها والسعى فى تقدمها والعمل على إصلاح مرافقها وإسعاد أفرادها وإقامة القسط بين الناس فالضعيف عنده قوى حتى يأخذ الحق له والقوى عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه وبذلك يبسط على الجميع ظلال العدل فيأمن الناس فى رعايته على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ويحل الأمن والسكينة محل الخوف والفزع لا طمع لظالم فى جوره ولا يأس لمظلوم من عدله. وقد طلب عمر بن عبد العزيز من بعض العلماء أن يصف له العدل فقال؛ كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا و للمثل أخا وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ولا تضرب لغضبك سوطا واحدا تكن من العادلين.

٣ - ومن عدل المرء مع غيره: عدله فى أهله وأسـرته فإذا كان له أكثر من زوجة عدل بينهن فى المأكل والملبس والمسكن والمشرب لما روى أن رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم كان يقسـم فيعدل ويقول:♂**اللهم هذا قسمى فيما أملك**▬ يعنى: المحبة.

وقيل: القلب وقد حذر الله تبارك وتعالى أن يتزوج المسـلم أكثر من واحدة وهو لا يسـتطيع أن يقوم بما يفرضـه العدل من واجبات قال تعالى:{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا} [النساء: ٣].

أما العدل الذى نفاه عن عباده فى قوله تعالى:{ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ } [النساء: ١٢٩].

فهذا العدل الذى لا يملكه إنسـان من ميل القلب والمحبة فله أن يحب امرأة أكثر من غيرها ولكن ليس له أن يفضـل واحدة على أخرى فى أمور المعيشة والمعاشرة. وواجب الأب أن يعدل بين أبنائه ويربيهم تربية صالحة ويعنى بتهذيب أخلاقهم ومراقبة سلوكهم والبعد عن التدليل من غير تضـييق ولا تعنيف وأن يسـوى بينهم فلا يميز الذكور على الإناث لأن هذا الأمر يلقى بينهم العداوة والبغضـاء ويبعث على الغرور فى الممتازين منهم والقنوط فى غيرهم.

كذلك يجب على الزوجة أن تعدل فى مال زوجها فلا تخونه. وفى أولاده فتسهر على رعايتهم فالمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسـؤولة عن رعيتها وكذلك يجب على الأبناء أن يتقوا الله فى أبائهم وأمهاتهم فيبروهم عند الكبر ويحسنوا إليهم عند الحاجة وأن يطيعوهم فيما أمروا ما لم يكن فى الطاعة ما يغضـب الرب ويسـخط عليهم الخالق

قال تعالى:{ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [لقمان: ١٤ - ١٥].

ومن عدل الإنسان مع غيره: عدله بين المتخاصمين فبإقرار العدل بينهم يصل كل ذى حق إلى حقه ويحل الإنصاف محل الإجحاف ويطمئن الناس فتقوى بينهم أواصر المحبة وتتوثق عرى المودة ويقوم الوئام والوفاق مقام النزاع والشقاق.

ويجب على من يفصل بين المتخاصمين والمتنازعين قاضيا كان أو غيره أن يتحرر من الهوى وألا يخشى فى الحق لومة لائم وألا يرهب عظيما لعظمته أو يحابى قريبا لقرابته أو يتملق وجيها لوجاهته وأن ينتصف للمظلوم من الظالم مهما عظم قدره أو ارتفع فى الناس شأنه وبغير ذلك لا تقوم عدالة فى الأرض ولا ينتشر الأمن بين الناس بل تتوتر العلاقات وتعم الفوضى وتكثر المظالم ويغتال القوى الضعيف وتقوم العداوة والبغضاء مقام المحبة والصفاء.

ونظرًا لما يتنازع القضاة من عوامل مختلفة وما يكونون عليه من تباين الأخلاق واختلاف المواهب فقد قسم رسول الله صلي الله عليه وسلم القضاة ثلاثة: واحد فى الجنة واثنان فى النار. فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به. ورجل عرف الحق فجار فى الحق فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار رواه البخارى.

فيا معشــــر المســــلمين: " اتقوا الظلم فانـه ظلمات يوم القيامـة واعتبروا بما حل بالظالمين من الأمم العاتية والأقوام الباغية كقوم لوط وهود وصالح فقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين "

واعلموا أن دعوة المظلوم تقصم الظهور وتدمر الدور. ويستجيب الله للمظلوم ويفتح لدعوته أبواب السماء فقد روى أن رسول الله صلي الله عليه وســــلم قال:♂**ثلاثة لا ترد دعوتهم الصــائم حين يفطر والإمام العــادل ودعوة المظلوم يرفعهــا الله فوق الغمام ويفتح لهــا أبواب الســماء ويقول:وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**▬.

ومما روى فى هذا الباب أن أروى بنت أوس خاصمت سعيد بن يزيد إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئا من أرضها. فقال: ما أخذت منها شيئا بعد ما سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم. قال مروان: ماذا سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ قالت: سمعته يقول:♂**من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه الله إلى سبع أرضين**▬ فقال مروان: لا أسألك بينة بعد قول رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصــرها أو اقتلها فى أرضــها قال عروة راوى الحديث: فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هى تمشى فى أرضـــها إذ وقعت فى حفرة فماتت وذلك جزاء الظالمين. وهكذا يستجيب الله دعاء المظلومين.

فيا أيها المسلم، اتق الله واحذر دعوة المظلوم واعلم أن قدرة الله على عقابك أعظم من قدرتك على ظلم العباد. فبادر برد الحقوق إلى أربابها كى تسلم فى عاجلك وآجلك. واعلم أن الله قد حرم الظلم على نفســه وجعله محرما على عباده فلا تظلم أنت أحدا من خلقه بقول فاحش وعمل منكر. واعلم أن الله يشتد غضبه على كل من ظلم وما أحسن قول القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ::: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ::: يدعو عليك وعين الله لم تنم

أسأل الله أن يجنبنا ظلم العباد وأن يكتب لنا النجاة يوم الميعاد إنه سميع قريب مجيب الدعاء. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان**▬ رواه البخاري.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * *

٦ ـ عام الفيل وعاقبة أبرهة وجيشه

الحمد لله الذى تفضل على العالمين برحمته وتجلت فى الكائنات آثار قدرته وحكمته أكرم البشرية بميلاد محمد صلي الله عليه وسلم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله محمدا صلي الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله بعثه الله إلى الناس كافة بشريعة طيبة عامة فيها هداية للعالمين وأمان للخائفين وائتلاف ومحبة بين المتفرقين المتباغضين وإخراج للناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم واليقين.

اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه ففازوا بالحسنيين وكانوا من المهتدين.. أما بعد..

فيا عباد الله.. إن كتاب السيرة النبوية قالوا: إن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولد فى عام الفيل فكان مولده الشريف بشير نصر.

فما عام الفيل؟وما شأنه؟ وما هى تلك الأحداث التى وقعت فى عام الفيل لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ؟

إننى عندما أتكلم عن معركة الفيل فإنما أعرضها لأبعث الأمل فى قلوب اليائسين وليعلم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أنهم إذا تخلوا عن نصرة دين الله فإن للدين ربا يحميه. قال تعالى:{وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم } [محمد: ٣٨] كان على رأس اليمن رجل يسمى أبرهة وكان نصرانيا يحكم اليمن من قبل الحبشة أخذته الغيرة وزحفت فى قلبه ثعابين الحقد وتحركت أفاعى الحسد فى نفسه لماذا يذهب الناس من شتى البلاد إلى بيت الله

الحرام؟ لماذا يزورون هذا البيت العامر الكائن فى مكة؟ لا بد أن ينصرف الناس عن زيارة البيت الحرام إلى صنعاء باليمن فماذا يصنع؟ بنى كنيسة ضخمة فخمة عالية الأبراج فى عاصمة اليمن ليصرف الناس عن البيت الحرام إلى زيارتها انظروا إلى هذا الحقد الأسود من قديم الزمان وفى بطون التاريخ. إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه محمدا صلي الله عليه وسلم:{وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ إلا فى حالة واحدة حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠]، أي: تصير يهوديًا أو نصرانيًا:{وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠].

إن أبرهة أراد أن يصرف زوار بيت الله الحرام إلى صنعاء فبنى الكنيسة وبنى لها أبراجا عاليات وطلاها وزينها للناظرين ووضع فيها الرخام والنجف والسجاد الفاخر.

ومع ذلك فلم ينصرف أحد من البيت الحرام إلى كنيسة أبرهة.

فإن الذين يذهبون إلى البيت الحرام ذهبوا تلبية لنداء الخليل عندما قال: يا أيها الناس إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه فقالت الأرواح: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

قال الله تعالى فى كتابه الكريم على لسان نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:{فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } [إبراهيم: ٣٧].

إن الذين يتوجهون إلى البيت الحرام يتوجهون للوقوف بين يدى الواحد الديان فماذا يفعل أبرهة؟ اشتد به الضيق وتحكم فى نفسه الغضب فأقسم ليهدمن البيت الحرام. لابد من هدم هذا البيت لنستريح منه وينصرف الناس إلى كنيسته فى بلاد اليمن وأعلن حالة الطوارئ

فى صفوف جيشه وجمع من الجنود ستين ألفا يركبون الفيلة وتحركوا إلى مكة شرفها الله ليهدموا بيتا بناه الخليل وإسماعيل عليهما السلام.. وركب أبرهة فيلا ضخما وعندما ذهب إلى مكة وأراد دخولها وقف الفيل على أبواب مكة ولم يتحرك الله.. الله.

أيدركنى ضيم وأنت ذخيرتى ::: وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى

الفيل يقف لا يتحرك.. حوله أبرهة ذات اليمين فتحول. حوله ذات الشمال فتحول. حوله إلى الخلف فتحول. أراد أن يقوده إلى الأمام فلم يتحرك يقول الله تبارك وتعالى:{مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾} [هود: ٥٦].

يا من بدنياه اشتغل ::: قد غره طول الأمل

اعلم أن فى السماء مملكة كتب عليها:

{وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء: ٤٧].

كيف يتحرك الفيل لهدم بيت الله الحرام والله خالق الفيل؟ لا والله حرام على الفيل أن يتحرك. إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء.

ما فى الوجود سواك رب يعبد ::: كلا ولا مولى هناك فيقصد
يا من له عنت الوجوه بأسرها ::: رهبا وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الحى الذى ::: كل القلوب له تقر وتشهد

لا والله لا يكون ذلك كذلك يا أبرهة. فماذا يفعل أبرهة؟ نزل عن فيله وترك الفيل مكانه لا يتحرك ودخل أبرهة مكة ماشيا.... إذا غرتك قوتك على ظلم الناس فتذكر قدرة العزيز الجبار من فوقك.. وكان أمير مكة يومها عبد المطلب جد رسول الله صلي الله عليه وسلم هو السيد المطاع فى مكة وأثناء تجول القوات الحبشية فى مكة

عثروا على مائتى ناقة لعبد المطلب فأخذوها غنيمة. وذهب عبد المطلب إلى أبرهة يطلب الإبل..

فقال له أبرهة: عجبا لك يا عبد المطلب.. قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولكن زهدتنى فيك حين كلمتنى تطالبنى بالإبل ولا تكلمنى عن البيت الحرام.

قال له عبد المطلب بلسان الواثق.. يا أبرهة: (أما الإبل فهى لى وأما البيت فله رب يحميه..

لو فكر الناس ما فى بطونهم ::: ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

يا ابن التراب ومأكول التراب ::: أقصر فإنك مأكول ومشروب

يا ابن التراب: يا ابن ادم. يا من يناديك قبرك كل يوم ويقول لك لا تتكبر على ظهرى لأننى غدا سأضمك فى بطنى قال تعالى:{وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ} [طه: ٦١].

وقال:{وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ} [طه: ٨١].

وقال:{وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨].

وقال:{وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: ١١١]. الظلم ظلمات يوم القيامة. البيت له رب يحميه. إذ ليس هناك جيش نظامى ولا حرس وطنى ليس هناك شرطة عسكرية. ليس هناك مدفعية ولا دبابات. ليس هناك صواريخ. إنما كان هناك من يقول:{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥].

فماذا حدث؟ من الذى فصل فى المعركة؟ هل ترك الله البيت الحرام عبثا يعبث به هؤلاء العابثين؟

لا والله.. إن أبرهة - ليس أمامه إلا خطوة إن خطاها دخل المسجد الحرام ولكنه لا يدرى ولم يكن يدرى أن يد الله تعمل فى الخفاء لم يدر أن للبيت ربا يحميه. وعلى حين غفلة من أبرهة صدرت الأوامر الإلهية من القيادة العليا إلى سـرب الطيران الإلهى أن تتحرك فورا إلى أرض المعركة. لم يكن هذا السـرب يحمل القنابل الذرية. إنما كان يحمل قنابل صنعت فى نار جهنم.

من هؤلاء الطيارون الذين قادوا هذا الهجوم بأسراب الطير؟

يا رب وأنت تصفى الحساب مع كل جبار عنيد. تصفى الحساب مع الجبابرة.

عندما قال النمرود بن كنعان لإبراهيم:{أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ} [البقرة: ٢٥٨] ماذا صنعت به يا جبار؟ أرسلت إليه بعوضة دخلت فى أذنه وأخذت تطن فى رأسه فكان لا يفيق إلا إذا ضرب بالنعال على رأسه يا رب يا مؤدب الجبابرة.

ويوم قال فرعون لقومه:{أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ} [النازعات: ٢٤].

وقال لهم:{قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ} [الزخرف: ٥١].

ماذا حدث؟ جعلت الأنهار تجرى من فوقه. واستغاث بموسى فلم يغثه. فقال الله تعالى يا موسى لقد استغاث بك فرعون سبعين مرة فلم تغثه وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة واحدة لأغثته ولوجدنى قريبا مجيبا.

فماذا قال القرآن فى وصـــف معركة الفيل:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل: ١ - ٥].

وكان هذا العام عام مولده صـلي الله عليه وسـلم جعل الله كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل. أي جماعات متلاصقة ترميهم بحجارة من سجيل..

والسجيل: هو الطين ولكنه طين صنع فى جهنم فكيف كانت نهاية المعركة؟ قال ربك فى نهاية المعركة:

♂فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ— جعلهم كأوراق الشجر اليابسة إذا أكلتها الديدان لم يبق منها شيئاً.

يقول المفسرون: إن كل حجر كان لا يزيد عن حبة العدس ومع ذلك فكل حجر كان يعرف الجندى الذى سيرجم به إذا أنزل عليه مزقه تمزيقا.

ونجى الله بيته الحرام ولذلك سمى البيت الحرام بالبيت العتيق. ومعنى العتيق: أي الذى أعتقه الله من كيد الظالمين وأنقذه من جبروت المتجبرين.

يا رسول الله... لقد كان مولدك عام نصر اشترك فيه السلاح الجوى الإلهى فى معركة فاصلة ونجى الله فيه البيت الحرام من كيد الخائنين يقول الحبيب المصطفى: البر لا يبلى. والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

* * *

٧ ـ ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله الذى تفضل على العالمين برحمته. وتجلت فى الكائنات أثار قدرته وحكمته

أكرم البشرية بميلاد محمد صلي الله عليه وسلم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أرسل رسوله محمدا صلي الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله بعثه الله إلى الناس كافة بشريعة طيبة عامة فيها هداية للعالمين وأمان للخائفين وائتلاف ومحبة بين المتفرقين المتباغضين وإخراج للناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم واليقين. اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه ففازوا بالحسنيين وكانوا من المهتدين... أما بعد...

فيا عباد الله.. يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾} [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

أيها المؤمنون... إن من سنن الله الكونية ومن حكمه السامية الإلهية أن يأتى بعد الظلمة بالنور وبعد الضيق بالفرج وبعد العسر باليسر وبعد الشدة بالرخاء. ولقد كان العرب قبل ظهور الإسلام فى حالة سيئة يرثى لها تحتاج حتما إلى إنقاذ وعلاج وإصلاح فكان منهم من يعبدون أحجارا صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر. ومنهم من يعبدون النار والشمس وبقية الكواكب.

وكانت العصبية البغيضة مستولية على نفوسهم قد أثرت فى طباعهم وأدت إلى سوء معاملتهم فكان القوى فيهم مستبدا بالضعيف والغنى بالفقير وكانت الحروب مستمرة بينهم لأتفه الأسباب وأحقرها وكانوا يعكفون على كثير من العادات السيئة كالزنا والخمر والميسر وكانوا يكرهون البنات على البغاء ابتغاء عرض الحياة الدنيا وكان منهم من إذا ولدت له أنثى ضاق صدره واشمأزت نفسه وتوارى من القوم من سوء ما بشر به. وعاش متحيرا أيربيها محتملا الذل والهوان كما يعتقد أم يدسها فى التراب حية خشية أن تجلب عليه العار أو الفقر وتكون النتيجة أن يختار الأمر الثانى ويدفنها حية وهذه هى الموءودة التى ذكرها الله فى القران الكريم بقوله:{وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩} [التكوير: ٨، ٩].

وكانت كل قبيلة من القبائل لا ترعى لجارتها شيئا من الحقوق بل كان كثيرا ما يقع بين المتجاورين من القبائل التنابذ والتخاصم والتنافر فتحاول كل قبيلة أن تقضى على جارتها باسم العصبية لا يرقبون فى بعضهم إلا ولا ذمة. وكان الكبر مستوليا على قلوبهم إلى أن جعلهم جفاة غلاظ القلوب قد نزعت من قلوبهم الرحمة وحلت محلها القسوة. فكانوا لا يشفقون على ضعيف وكانت المرأة عندهم كسلعة تباع وتشترى وكانت محرومة من الميراث وبالجملة فقد كانت حياتهم فوضى لا يمكن احتمالها وكانوا مغرمين بسفك الدماء بحق وبغير حق.

ولم يكن لديهم قانون عام يجمع كلمتهم وينظم حياتهم ويبصرهم بالأخلاق الفاضلة فكانوا متفرقين متباغضين.. وكان الحكم فيهم للقوة..

وقد زادوا فى فجورهم إلى أن جعلوا الرذائل فضائل وكان الخوف عاما بينهم ولم يكن هناك شئ من الأمن ولا من الاطمئنان على الأرواح. وكان الرجل لا يأمن أن يسير فى وسط الطريق وحده والمخاوف والمهاترات تجعل العقلاء منهم يتطلعون إلى مصلح ينقذ الناس من هذه الحياة الدنيئة التى لا استقرار فيها ولا اطمئنان.

وبينما هم فى هذه الحالة وإذا بحكمة الله تظهر فى الأفق فيطلع فجر الإصلاح والإنقاذ وتشرق شمس النبوة ويظهر نور الحق فيتجلى الله برحمته على العالمين بمولد الحبيب سيد الكائنات صلي الله عليه وسلم فى فجر يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول قد اختاره الله من سلاله طيبة قد امتازت بالشرف والسيادة وكان كل أجداده ساده وقادة حفظهم الله من دنس الجاهلية وكان أبواه من أكرم القبائل وأرفعها قدرا وأعظمها شرفا وأحسنها نسبا..

وإذا كان للأمم أن تحتفل بذكريات مولد زعمائها و عظمائها شيئا من آثارهم ونبذة من تاريخ حياتهم وجهادهم ليعتنق السامعون هذا الزعيم أو العظيم فعلى أبناء الأمة الاسلامية أن يتأثروا بما يسمعونه فى الاحتفالات الخاصة بذكرى مولد الرسول صلي الله عليه وسلم من آثاره وهديه وجهاده بحيث يخرجون من الحفل وقد ملئت قلوبهم بالعظة والعبرة التى تجعلهم متضامنين فى الاقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم والتمسك بدينه والتضحية بالنفس والمال فى سبيل نصرة الحق.

ونريد أن نتصفح سيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم تلك السيرة العطرة نذكرها بكل حب لرسول الله صلي الله عليه وسلم فلقد مات أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه آمنة.

فلما وضعته أمه صلي الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد غلام فآتاه فنظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما أمرت به أن تسميه وأنها حين حملت برسول الله صلي الله عليه وسلم فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع على الأرض فقولى: أعيذه با لواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورا رأت به قصور بصرى من أرض الشام.

وكان من عادة العرب أن يرسلوا أولادهم ليرضعوا فى البادية لينشأ الطفل صافى الذهن قوى العزيمة صحيح الجسم.

قالت حليمة السعدية: قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما من امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها أنه يتيم فكل النساء الذين جاؤوا معى أخذن رضيعا.

فقلت لزوجى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى وليس معى رضيع والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم.. فقال لها زوجها: عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت إليه فأخذته فلما أخذته ووضعته فى حجرها أقبل على ثديها بما شاء الله من لبن فشرب حتى روى وشرب معه أخوه من الرضاعه حتى روى ثم ناما.

وقدمنا إلى منازلنا وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع فكان دخول رسول الله عليهم خيرا وبركة.

حديث الملكين اللذين شقا بطنه صلي الله عليه وسلم:

قالت حليمة السعدية:فرجعنا به فو الله إنه بعد مقدمنا بأشهر كان يلعب مع أخيه خلف بيتنا إذ أتانا أخوه يسرع فقال لى ولأبيه ذلك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه فشقا بطنه.. قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه متغير الوجه..

قالت: فأخذناه وقلنا له: ما لك يا بنى؟ قال: جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى، وشقا بطنى ووضعا شيئا فيه لا أدرى ما هو فرجعنا به إلى أمه.

رجوع حليمة به صلي الله عليه وسلم إلى أمه:

قالت فقدمنا به على أمه.. قالت: ما أقدمك به؟ فأخبرتها بما حدث فقالت أمه آمنة: إن لابنى شأنا فلقد رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى قصور بصرى من أرض الشام.. ولما حملت به ما رأيت من حمل كان أخف على منه.. ارجعى به ثم عادت به و لما بلغ سن الخامسة من عمره عاش مع أمه سنة.. وأرادت أمه أن تزور أخواله من بنى عدى بن النجار بالمدينة..

وأثناء عودتها إلى مكة وكان معها رسول الله صلي الله عليه وسلم وجارية اسمها أم أيمن قد تركها أبوه.. ولكن القدر قد فاجأ أمه فماتت بمكان اسمه الأبواء بين مكة والمدينة وعادت به أم أيمن إلى جده عبد المطلب..

إكرام عبد المطلب له صلي الله عليه وسلم وهو صغير:

قال ابن إسحاق: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب وكان يوضـــع لعبد المطلب فراشـــا فى ظل الكعبة فكان بنوه يجلســـون حول فراشـــه حتى يخرج إليه ولا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له.. فكان رســـول الله صـــلي الله عليه وســـلم يأتى حتى يجلس عليـه فيأخذه أعمامه عنه فيقول عبد المطلب: دعوا ابنى.. فو الله إن له شأنا ثم يجلسه على الفراش..

وقبل وفاته وصـى عمه أبو طالب بكفالته.. و إن شـاء الله سـنكمل سيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم..

أقول قولى الله هذا وأستغفر الله لى ولكم..

* * *

٨ ـ كفالة أبو طالب لرسول الله صلي الله عليه وسلم وزواجه بالسيدة خديجة رضى الله عنها والحجر الأسود

الحمد لله رب العالمين الذى تفضل على العالمين برحمته وتجلت فى الكائنات أثار قدرته أكرم البشرية بميلاد محمد صلي الله عليه وسلم وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسوله محمدا صلي الله عليه وسلم رحمة للعالمين.. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.. أرسله الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين ومحبة للمتفرقين وإخراج للناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم واليقين..

سيدى يا رسول الله..

صلت عليك ملائك الرحمان ::: وسرى الضياء بسائر الأكوان

لما طلعت على الوجود مزودا ::: بحمى الإله وراية القرآن

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد....

فيا عباد الله... ففى الخطبة الماضية تحدثنا عن حالة العرب قبل مولد الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم ثم تحدثنا عن مولد المصطفى صلي الله عليه وسلم وعن نشأته وعرفنا أن أباه مات وهو فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن ست سنين ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فوقفنا عند كفالة عمه أبى طالب.. كان أبو طالب يعول أسرة كبيرة.. وكان قليل الثراء رغم أنه ورث سدانة الكعبة فاضطر إلى الاشتغال بالتجارة.. ولم يلبس محمد صلي الله عليه وسلم عند عمه حتى أخذه أبو طالب فى تنظيم قافلة تجارية بقريش يقودها هو إلى سوريا فلما تهيأ الركب للرحيل أثار منظره فى نفس محمد ذكريات البادية المحببة إلى قلبه وسافر مع عمه أبو طالب..

قصة بحيرى:

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج مع ركب تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير نظر رسول الله صلي الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال: لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا فخرج به فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى.. فى صومعته وكان إليه علم أهل النصرانية فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى ذلك العام..

فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك عن شئ رآه وهو فى صومعته أنه رأى رسول الله صلي الله عليه وسلم بالركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم..

قال: ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبة منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة على رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بجيرى نزل من صومعته.

ثم أرسل إليهم فقال: إنى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش.. وأحب أن تحضروا صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم..

فقال له رجل منهم: إن لك لشأنا اليوم.. فما كنت تصنع هذا بنا فقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟

قال له بحيرى: صدقت.. قد كان ما تقول ولكنى أحببت أن أصنع لكم طعاما فتأكلوا منه فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلي الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه.. فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يبحث عنها..

فقال بحيرى: يا معشـــر قريش هل تخلف منكم أحد؟.. قالوا: ما تخلف منا إلا غلام وهو أحدث القوم سنا.. فقال: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم..

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شـديدا وينظر إلى أشـياء من جســده كان يجدها عنده من صـــفة حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فقال له: يا غلام.. أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أســألك عنه.. وإنما قال بحيرى ذلك لأنه ســمع قومه يحلفون بهما.. فقال له رســول الله صــلي الله عليه وســلم : لا تسألنى باللات والعزى.. فو الله ما أبغضت شيئا قط بغضهما.. فجعل بحيرى يسأله عن أشياء من حاله وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صـــفاته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه..

قال ا بن إســحاق: فلما فرغ أقبل على عمه أبا طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟..

قال: ابنى.. قال له بحيرى: ما هو بابنك.. وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا..

قال أبو طالب: هو ابن أخى.. قال: فما فعل أبوه؟.. قال: مات وأمه حامل به.. قال:صدقت.. فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود فو الله لإن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبلغنه شـــرا فإن لابن أخيك شأنا عظيما..

فخرج به عمه أبو طالب ســريعا إلى مكة حين فرغ من تجارته بالشام.. واشتغل رسول الله صلي الله عليه وسلم برعى الغنم وقال: ما بعث الله نبيا إلا وهو يرعى الغنم..

حديث تزويج رسول الله صلي الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها:

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم خمسة وعشرين سنه تزوج خديجة بنت خويلد وهى فى سن الأربعين وكانت خديجة بنت خويلد أمرأه تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم.. فلما بلغها عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة..

فقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم وخرج فى مالها ومعه غلامها ميسرة حتى قدم على الشام.. فنزل رسول الله صلي الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فنظر الراهب إلى ميسرة وقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟

قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم.. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى..

رغبة خديجة فى الزواج منه:

ثم باع رسول الله صلي الله عليه وسلم سلعته التى خرج بها واشترى ما أراد أن يشترى ثم أقبل راجعا إلى مكة ومعه ميسرة.. فلما قدم مكة حدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من العجائب وهو مع رسول الله.. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته.. فبعثت إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت: يا ابن عم.. إنى قد رغبت بالزواج منك بقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك..

وكانت يومئذ من أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا..

زواجه صلي الله عليه وسلم من خديجة:

فلما قالت ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها..

قال ابن هشام: وأصدقها رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانت أول امراة تزوجها ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضى الله عنها..

اختلاف قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى موضعه:

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبناء الكعبة حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيمن يضع الحجر الأسود وكادت تنشب بينهم معركة.. إلا أن أحدهم اقترح وقال: نحتكم لأول داخل علينا فوافقوا.. فكان أول داخل عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم.. فلما رأوه قالوا: هذا هو الأمين.. رضيناه حكما وأخبروه الخبر..

قال صلي الله عليه وسلم :♂**هلم إلى بثوب**▬.. وأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال: تأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب.. ثم ترفعونه جميعا.. ففعلوا.. حتى إذا بلغوا به موضعه فوضعه الرسول بيده.. وكان سنه صلي الله عليه وسلم خمسة وثلاثين سنه أثناء نيل هذا الشرف العظم بوضع الحجر الأسود فى مكانه.. وكان معروفا قبل بعثتة بالصادق الأمين..

ولما بلغ سن الأربعين بعثه الله رحمة للعالمين..

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى..

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

٩ ـ فى ظلال النبوة والرسالة

الحمد لله الذى تفضل على العالمين برحمته وأكرم البشرية بمحمد صلي الله عليه وسلم وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسوله محمدا بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين وائتلاف ومحبة للمتفرقين المتباغضين وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم واليقين.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.. أما بعد...

فيا أيها المسلمون... مازلنا نعيش فى ذكرى مولد الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم بخطبة الجمعة اليوم..

فى غار حراء: ولما تقاربت سنه صلي الله عليه وسلم الأربعين حبب إليه الخلاء فكان يأخذ الطعام والماء ويذهب إلى غار حراء فى جبل النور على بعد نحو ميلين من مكة فيقيم فيه شهر رمضان ويقضى وقته فى العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون وفيما وراءه من قدرة مبدعة وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك.

وكان اختياره صلي الله عليه وسلم لهذه العزلة طرفا من تدبير الله له وليعده لما ينتظره من الأمر العظيم وهكذا دبر الله لمحمد صلي الله عليه وسلم وهو يعده لحمل الأمانة وتغير وجه الأرض دبر له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة.

جبريل ينزل بالوحى..

ولما تكامل له أربعون ســـنة وهى رأس الكمال بدأت آثار النبوة تتلوح وتتلمع له من وراء آفاق الحياة وتلك الآثار هى الرؤية فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

قالت عائشة رضى الله عنها: (أول ما بدء به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصـــبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء يتعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك)..

فقال: ♂**اقرأ فقلت ما أنا بقارئ.. قال: فأخذنى فضـمنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسـلنى فقال اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فضمنى الثالثة ثم أرســلنى فقال:**{ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾} [العلق: ١ - ٤].

فرجع رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال:♂زملونى زملونى▬ فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشــيت على نفســى فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصـــل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر..

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان رجلا تنصر فى الجاهلية.

فقالت له خديجة: يا ابن عم اســمع من ابن أخيك فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزله الله على موســى ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك.. فقال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم :♂**أو مخرجى هم؟**▬ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك، أنصرك نصرا مؤزرا.

جبريل ينزل بالوحى مره ثانية:

تلقى النبى صلي الله عليه وسلم الأمر بالدعوى إلى الله فى قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾} [المدثر: ١ - ٧].

المرحلة الأولى لهذه الدعوة:

مرت ثلاث سنوات والدعوة لم تزل سرية فردية وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون وتبليغ الرسالة ثم نزل الوحى يكلف رسول الله صلي الله عليه وسلم بمعالنته قومه ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم.

المرحلة الثانية الدعوة جهاراً:

أول أمر لإظهار الدعوة: أول ما نزل بهذا الصدد قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء: ٢١٤].

الدعوة فى الأقربين.. وأول ما فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية وبدأ بعشيرته الأقربين فكلف ابن عمه (على بن أبى طالب) أن يصنع لهم طعاما ويدعو أهله إليه وفيهم عمومته

(بنو عبد المطلب) وأولادهم نحو الأربعين رجلا.. فلما اجتمعوا كلمهم الرسول فى شأن الدعوة الإسلامية الجديدة.

ما تدعو إليه من نبذ معتقداتهم الفاسدة والإيمان بالله وحده ولكنه لم يكد يعرض حديثه حتى قاطعه (أبو لهب) وكان أشدهم عنفا به ليفسد عليه الغرض من الاجتماع ودعى أبو لهب القوم إلى الانصراف معلنا ما كان ينبغى أن نضيع وقتا فى هذا العبث والهذيان وطلب منهم أن يقوموا وسكت رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وتفرقت جماعتهم ولكن رسول الله صلي الله عليه وسلم لم

يفقد الأمل ولم تضعف عزيمته فأعاد الوليمة مرة ثانية فى الغداة.

فلما اجتمعوا قال لهم:♂**وما أعلم أن إنسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به فقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى ربى أن أدعو إليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر؟—.**

فأعرضوا عنه وهموا بتركه ولكن عليا نهض وهو لا يزال صبيا وقال أنا يا رسول الله حرب على من حاربت فابتسم بنو هاشم وأخذ نظرهم ينتقل بين (أبى طالب) وابنه ثم انصرفوا على أن استخفافهم هذا لم يقعده عن عزمه ولم يسلمه إلى يأس بل انتقل بدعوته من عشيرته الأقربين إلى أهل مكة جميعا.

واتجه الرسول صلي الله عليه وسلم نحو الصفا يوما وصعد إلى أعلاه ونادي:
" يا معشر قريش فقالت قريش: (محمد) على الصفا ينادى وأقبلوا عليه يسألونه عن حاجته فقال:♂**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى؟—.**

فقالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا قط قال:♂**فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى زهرة فأخذ ينادى على باقى القبائل إنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله—** فنهض أبو لهب وصاح قائلا: تبا لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟

فسكت محمد صلي الله عليه وسلم ونظر إليه نظرة يملؤها الأسى والحزن ثم نزل عليه الوحى فى قوله تعالى:{تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣} [المسد: ١ - ٣].

وهكذا دمغه الوحى بهذا الآيات البينات التى كانت بمثابة التشجيع للنبى صلي الله عليه وسلم كما كانت سابقة فأل ومقدمة بشارة بأن الله سينصر الحق على الباطل ويتم نوره ولو كره المشركون.

إيذاؤهم للرسول صلي الله عليه وسلم :

روى عن طارق المحاربى أنه قال: رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فى السوق.. يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل خلفه يرميه بالحجارة قد أدمى عقبه... وقال: لا تطيعوه فإنه كذاب فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد وعمه أبو لهب...

أما امرأة أبو لهب أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان فكانت فى غاية العداوة لرسول الله صلي الله عليه وسلم وكثيرا ما كانت تضع الشوك فى طريقه وتلقى بالقاذورات أمام بيته ولم تترك عملا فيه إيذاء للرسول صلي الله عليه وسلم إلا فعلته ولم تكتف بهذا الإيذاء بل كانت تسب الرسول صلي الله عليه وسلم وتذمه وتوقع العداوة بينه وبين الناس لعنها الله وأنزل فيها قوله تعالى:{وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾} [المسد: ٤ - ٥].

أما أبو جهل لعنه الله فكان كثيرا ما يسئ إلى الرسول صلي الله عليه وسلم وقد ألقى عليه مرة أثناء صلاته أمعاء شاة مذبوحة فتحمل الأذى وذهب إلى ابنته فاطمة رضى الله عنها فأزالت عنه النجاسة والأقذار وقد نهى الرسول صلي الله عليه وسلم عن الصلاة فى البيت الحرام فلما لم ينته تعرض له بالمنع فقابله الرسول صلي الله عليه وسلم بشدة وهدده فقال: أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ومنزلة؟

فرد الله تعالى عليه تهديدا ووعيدا بقوله:{كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ﴿١٩﴾} [العلق: ١٥ - ١٩].

وكان عقبة بن أبى معيط يجاور رسول الله صلي الله عليه وسلم ومما صنعه ذلك الشقى ما رواه البخارى فى صحيحة فقال: بينما النبى صلي الله عليه وسلم يصلى فى الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلي الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلي الله عليه وسلم وقال: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ} [غافر: ٢٨].

وكان الوليد بن المغيرة عم أبى جهل من أكابر قريش فى المركز الاجتماعى والمادى وكان كذلك من أكابر المجرمين الذين كادوا للرسول صلي الله عليه وسلم سمع القرآن مرة من النبى صلي الله عليه وسلم فقال لقومه:♂**والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن لـه لحلاوة وإن عليـه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه**▬.

فقالت قريش: صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه ثم جلس أمام الوليد حزينا وكلمه مما حمسه ضد محمد صلي الله عليه وسلم مما جعل الوليد يأتى القوم فى ناديهم ويخاطبهم قائلا: أتزعمون إن محمدا مجنون؟ فهل رأيتموه يهلوس؟ وتقولون: إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يقول شعرا قط؟ وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟

فقالوا فى كل ذلك: اللهم لا.. ثم قالوا: فما هو؟ ففكر قليلا ثم قال: ما هو إلا ساحر.. أما رأيتموه فرق بين الرجل وأهله وولده.. فاهتز النادى فرحا بهذا الرأى.

وأنـزل الله ردا عليـه فى آيـات بينـات مخاطبا الرسول صلي الله عليه وسلم :{ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦)} [المدثر: ١١ - ٢٦].

ويروى أن قريشا قالت للنبى صلي الله عليه وسلم : ادعوا لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فنؤمن بك فدعا ربه فأتاه جبريل فقال له: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إن شئت أجعل الصفا لهم ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة..

قال صلي الله عليه وسلم :♂**بل التوبة والرحمة**▬ رواه البخارى ومسلم.

" توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ".

* * *

١٠ ـ الرحمة باعتبارها صفة لله ولرسول الله والمبادئ العامة

الحمد لله الذى وسعت كل شئ رحمته وتعالت فى الكائنات آثار قدرته وحكمته لا إله إلا الله وحده لا شريك له بعث رسوله رحمة للعالمين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير أرسل رسوله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد...

فيا عباد الله.. الرحمة لها مكانة كبرى فى الإسلام وفيها يرتكز هدف الرسالة الإسلامية.. فالحق تبارك وتعالى حينما يقول لرسوله وحبيبه ومصطفاه محمدا صلي الله عليه وسلم :{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾} [الأنبياء: ١٠٧].

لم يقل رحمة الأهل أو العشيرة فقط وإنما قال رحمة للعالمين لتشمل كل العوالم فى ملك الله عز وجل وسور القرآن الكريم مفتتحة كلها بقول الله:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ما ترى فى الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر أثر من رحمة الله التى أودع جزءا فى قلوب الخلائق فأرق الناس أفئدة أوفرهم نصيبا من هذه الرحمة وأرهفهم إحساسا بحياة الضعفاء..

أما غلاظ الأكباد من الجبارين والمستكبرين فهم فى الدرك الأسفل من النار وفى الحديث:♂**إن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى▬**.. رواه مسلم.

وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعد جمود العين واستغلاق القلب من الشقاء..

ولقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستميت فى هدايته ويأخذ بناصر الضعيف.

فأرسل (محمدا) عليه الصلاة والسلام وسكب فى قلبه من العلم والحلم وفى خلقه من الإيناس والبر وفى طبعه من السهولة والرفق وفى يده من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرا.

وقد لازمته هذه الفضائل العزبة فى أعصب الساعات عندما حاول المشركون فى (أحد) اغتياله وألجؤوه إلى حفرة ليكب فيها ونظر إلى زهرة أصحابه فوجدهم مدرجين بدمائهم.

ونظر إليه بقية أصحابه فإذا خده قد شق وسنه قد سقطت فى هذه الأزمة قيل: ادع على المشركين فغلبه رفقه وجعلت نفسه العالية يدعو ويقول:♂**اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون▬**.

إن القلوب الكبيرة قلما تستجيشها دوافع القسوة فهى أبدا تميل إلى الصفح والحنان.. إن القسوة فى خلق الإنسان دليل نقص كبير وفى تاريخ أمة دليل فساد خطير فلا عجب إذا حذر الإسلام منها واعتبرها علة الفسق عن أمر الله والخروج عن صراطه المستقيم.

عن أبى هريرة: قال♂**قبل رسول الله الحسن أو الحسين ابن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى▬** فقال الأقرع: إن لى عشرة من

الأولاد ما قبلت منهم أحدا قط فنظر إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال: ♂من لا يرحم لا يرحم▬ رواه البخارى.

والسيدة خديجة تصف رسول الله صلي الله عليه وسلم فى بدء البعثة: ♂إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وهذا كله يتبلور فى كلمة الرحمة▬.

ولقد تعدت رحمته صلي الله عليه وسلم من الإنسان إلى الحيوان أنه صلي الله عليه وسلم مر على بستان فوجد جملا يئن وتذرف عينه بالدموع فمسح على ظهر الجمل ثم قال: من رب هذا الجمل؟ ومعنى: رب هذا الجمل أي: من صاحبه.

فجاء شاب من الأنصار وقال:هو لى يا رسول الله.. فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : ♂إلا تتقى الله فى هذه البهيمة؟▬ إنك تجعيه.. فتغير سلوكه مع الجمل.

ونختم الحديث عن رحمة الرسول صلي الله عليه وسلم بوصف الله له بقوله: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾} [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩].

الرحمة باعتبارها صفة للمؤمنين:

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ♂مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى▬ رواه البخارى ومسلم.

ومن القصص ذات المغزى العميق.. أن رسول الله صلي الله عليه وسلم جلس مع أصحابه يتحدث عن الرحمة ويعرف منزلتها من الدين.

فقال أحد الصحابة: إننا نرحم أزواجنا وأولادنا وأهلنا ولم يرض هذا رسول الله وقال: ♂**ما هذا أريد وإنما أريد الرحمة العامة▬** وما من شك أن من الرحمة رحمة الأزواج والأولاد والأهل.. ولكن ما أراده رسول الله صلي الله عليه وسلم أن تتغلغل الرحمة فى الكيان الإنسانى كله بحيث تصبح من فطرته وطبيعته وجبلته فيكون الإنسان وكأنه قبس من الرحمة الإلهية ينثرها حيثما كان وينثرها إذا سار وينثرها حيثما حل وإذا كان كذلك فقد استحق الطابع العام واستحق أن يغمره الله برحمته واستحق الطابع العام بالرسالة الاسلامية..

بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم : ♂**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء▬** رواه البخاري.

ويقول الله فى الحديث القدسى: ♂**اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى فإنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنى جعلت فيهم سخطى▬** رواه الترمذي.

فإنه والعياذ بالله مطرود من رحمة الله يقول صلوات الله وسلامه عليه: ♂**لا تنزع الرحمة إلا من شقى▬** رواه البخاري.

ورحمة الإنسان بنفسه تتلخص فى كلمتين هما: اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ونبه الإسلام إلى أن هناك أقواما مخصوصين ينبغى أن يحظوا بأضعاف من الرحمة والرعاية من هؤلاء ذوى الأرحام. والرحم مشتقة من الرحمة فى مبناها فيجب أن تستقيم معها فى معناها..

وعلى المسلم أن يؤدى حقوق أقربائه وأن يقوى بالمودة صلة الدم القائمة وأجود الناس بجميل بره آمنهم عليه وأولاهم به وهم والداه..

قال تعالى:{ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾} [الإسراء: ٢٤].

ثم أولاده فعن البراء رضى الله عنه قال: أتى أبو بكر عائشة وقد أصابتها الحمى فقال: كيف أنت يا بنيه؟ وقبل خدها والمشاهد فى أجلاف الناس أن عواطفهم لا تأخذ هذا الطابع من الرقة والحنو فى أخلاقهم وألفاظهم ولا يجوز للمسلم أن يوصد قلبه وبيته دون أقاربه فيحيا بعيدا عنهم لا يواسيهم فى اللمم ولا يسدى إليهم عونا.

إن هذه القطيعة تحرم الإنسان من بركة الله وتعرضه لسخطه عن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه البخارى عن النبى صلي الله عليه وسلم قال:♂**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب.. قال: فهو لك**▬ رواه البخارى ومسلم.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : فاقرؤوا إن شئتم:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾} [محمد: ٢٢، ٢٣].

ومن تجب الرحمة بهم: اليتامى فعن أبى هريرة أن رجلا شكا إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال:♂**امسح رأس اليتيم والمسكين**▬.. وذلك أن القلب يتبلد فى المجتمعات التى تضج بالمرح الدائم التى تصبح وتمسى وهى لا ترى من الحياة غير آفاقها الباهرة والمترفون إنما يتنكرون لآلام الجماهيرلأن الملذات التى تتيسر لهم تغلف أفئدتهم وتطمس بصائرهم فلا تجعلهم يشعرون

بحاجه المحتاج وألم المتألم وحزن المحزون ومن الرحمة: الرحمة بالجار فقد وردت أحاديث كثيرة يقول صلوات الله وسلامه عليه: ♂**مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**▬ رواه مسلم.

وإذا كان الدين قد عين الطوائف بالذات فإنه لم يرد بذلك أن تقتصر الرحمة عليها لأن المقصود كما يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم : (الرحمة العامة) الرحمة التى تعم العالم التى تعم البشرية بأكملها بل تتجاوز إلى العوالم الأخرى.. ولذلك قال تعالى:{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧].

ومن أجل ذلك تتضمن الرحمة فى الجو الإسلامى الرحمة بالحيوانات أيضا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من حشائش الأرض**▬ رواه الترمذى.

وكان رسول الله ينتهز الفرصة ليعظ الناس ويحببهم فى الله رأى امرأة تضم طفلها فى حنان بالغ وحب عميق.. قال:♂**أهى طارحة ولدها فى النار؟**▬ فقالت الصحابة: لا يا رسول الله، قال الرسول: ♂**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**▬ رواه مسلم.

ونختم الحديث عن رحمة الله تعالى بقول سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، مخاطبا قومه:{ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠].

وإن وصف الله سبحانه بالرحمن الرحيم وبأنه أرحم الرحمين وبأنه رحيم ودود لينقض باطل المستشرقين وأصحاب الهوى فى زعمهم أن الدين الإسلامى لا رقة فيه وهل هناك أرق من وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم؟ ووصفه بأنه أرحم الرحمين وأن الرقة كلها تتمثل فى قوله

تعـالى:{إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هـود: ٩٠] ومـن النمـاذج الرائعـة فـى الحـث علـى الرحمـة قولـه صـلي الله عليـه وسـلم فيمـا رواه الإمـام مسـلم:♂إن الله عـز وجـل يقـول يـوم القيامـه يـا بـن ادم مرضـت فلـم تعـدنى قـال يـا رب كيـف أعـودك وأنـت رب العـالمين؟ قـال: أمـا علمـت أن عبـدى فلانـا مـرض فلـم تعـده؟ أمـا علمـت أنـك لـو عدتـه لوجـدتنى عنـده؟ يـا بـن آدم اسـتطعمتك فلـم تطعمنـى.. قـال: يـا رب كيـف أطعمـك وأنـت رب العـالمين؟ قـال: أمـا علمـت أنـه اسـتطعمك عبـدى فـلان فلـم تطعمـه أمـا علمـت أنـك لـو أطعمتـه لوجـدت ذلـك عنـدى؟ يـا بـن آدم استسـقيتك فلـم تسـقنى.. قـال: يـا رب فكيـف أسـقيك وأنـت رب العـالمين؟ قـال: استسـقال عبـدى فـلان فلم تسـقه أمـا علمـت أنـك لـو سـقيته لوجـدت ذلـك عنـدى؟▬ رواه البخارى ومسلم.

ويتحدث رسول الله صلي الله عليه وسلم عن وضعه فى هذا العالم فيقول صلي الله عليه وسلم :♂إنما أنا رحمة مهداة▬ رواه مسلم.

ما من يوم جمعة وإلا فيه سـاعة إجابه فادعو الله لعلها تكون تلك الساعة.

* * *

١١ ـ الأمانة

الحمد لله الذى أمر عباده بالعدل والأمانة ونهاهم عن الظلم والخيانة أحمده فهو أهل للحمد والثناء وأشكره فى السراء والضراء وفى الشدة والرخاء وأسأله العافية من كل داء والنجاة من كل بلاء إنه سميع مجيب الدعاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما تسرون وما تعلنون وما تبدون وما تكتمون. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله وصفه قومه بالصادق الأمين اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سلك صراطه المستقيم صلاة وسلاما ندرك بهما الفلاح والفوز يوم يحاسب الله عباده...

أما بعد....

فيقول الله جل شانه:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾} [النساء: ٥٨].

أيها المؤمنون: الأمانة هى كل ما اؤتمن عليه الإنسان من حقوق أو ودائع وقد أمرنا الله بأدائها أمرا مؤكدا لسمو شأنها وعظم آثارها وجعل التفريط فيها والامتناع عن أدائها خيانة تستوجب غضب الله على فاعلها.

وقد بين الرسول صلي الله عليه وسلم أن الخيانة من علامات النفاق فقال:♂**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا اؤتمن خان**▬ رواه النسائى وغيره.

كما بين الرسـول صـلي الله عليه وسـلم أن خائن الأمانة محروم من كمـال الإيمـان حيث قـال: ♂**لا دين لمن لا عهد له ولا إيمان لمن لا أمانة له▬** رواه البخارى.

ولقد نهى الله جل شانه عن خيانة الأمانات بكل أنواعها نهيا يحمل معـه الوعيد القاسـى للخـائنين فقـال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧} [الأنفال: ٢٧].

هذا نـداء من الله تبـارك وتعـالى إلى المؤمنين أن يوفوا بـالأمـانـة وأن يحذروا الخيانة وقد فسر العلماء خيانة الله بترك الفرائض وتعدى الحدود وانتهاك الحرمات التى بينها فى كتابه الكريم. وخيانة الرسول بترك سنته والانصراف عنها إلى الأهواء.

وأمـا أمانـات النـاس فكـل مـا يتعلـق بذمـة العبـد مـن أسـرار وأمـوال وأنفس وأعـراض وودائـع وتشـمل كـذلك مـا بيـنهم وبـين أوليـاء أمـورهم فـى الشـؤون الحربيـة والسياسـية والاجتماعيـة وغيرهـا والأمانـة واسـعة الدلالـة وهـى ليسـت بـالمعنى الضـيق الـذى يحصـرها فيـه بعـض النـاس فـى حفـظ الودائـع وإنمـا هـى أشـمل مـن ذلـك وأعـم ومناطهـا يقظـة الضـمير والشـعور بالتبعـة والمسـؤوليات فـى كـل أمـر يتـولاه العبـد علـى النحـو الـذى بينـه الرسـول صـلي الله عليـه وسـلم فـى قولـه: ♂**كلكـم راع وكلكـم مسؤول عـن رعيتـه فالإمـام راع وهـو مسـؤول عـن رعيتـه والرجـل راع فى أهلـه وهـو مسـؤول عـن رعيتـه والمـرأة فى بيـت زوجهـا راعيـة وهـى مسـؤولة عـن رعيتهـا والخـادم فى مـال سـيده راع وهـو مسـؤول عـن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته▬** رواه البخارى ومسلم.

والمراد بالأمانة في هذه الآية: التكليف بالطاعات وكما عظم شأن الأمانة وحث عليها حقر من شأن الخيانة وحذر منها..

ولقد عظم الإسلام شأن الأمانة وأكد أمرها وبين أن الوجود كله أبى أن يحملها إشفاقا ورهبة وخوفا وتسليما لله عز وجل بالطاعة ومن ثم وجب على المؤمن أن يرعاها ويحفظها وألا يفرط فى أدائها قال تعالى:{ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾} [الأحزاب: ٧٢].

ولما كانت السعادة القصوى أن يوقى الإنسان شقاء العيش فى الدنيا وسوء المنقلب فى الآخرة فإن رسول الله صلي الله عليه وسلم جمع فى استعاذته بين الحالين معا إذ قال:♂**اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**▬ فالجوع: ضياع الدنيا والخيانة: ضياع الدين.

وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم فى حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين. وكذلك شوهدت الأمانة على موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين سقى لابنتى الرجل الصالح ورفق بهما واحترم أنوثتهما وكان معهما عفيفا شريفا.

قال الله تعالى:{ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾} [القصص: ٢٤ - ٢٦].

وقد حدث هذا قبل أن يبعث نبى الله موسى ويرسل إلى فرعون. ولا غرو فرسل الله يختارون من أشرف الناس طباعا وأزكاها معادن والنفس التى تظل معتصمة بالفضيلة على شدة الفقر ووحشة الغربة لا توجد إلا فى رجل قوى أمين.

والمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد تتطلب خلقا لا يتغير باختلاف الأيام بين نعيم وبؤس ذلك جوهر الأمانة. ومن الأمانة وضع كل شئ فى المكان الجدير به واللائق له فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيقي به ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذى ترفعه كفاءته إليها.

ألا ترى إلى يوسف الصديق أنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته وتقواه فحسب بل لأنه حفيظ عليم. وأبو ذر لما طلب الولاية لم يجده الرسول صلي الله عليه وسلم لها أهلا فحذره منها. فالأمانة تقتضى أن نصطفى أحسن الناس قياما بها فإذا ملنا عن ذلك لهوى أو قرابة أو غير ذلك ارتكبنا خيانة فادحة.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه خان الله ورسوله والمؤمنون**▬ رواه مسلم.

وعن يزيد بن أبى سفيان قال: قال لى أبو بكر الصديق حين بعثنى إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة إياك أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم**▬ رواه أحمد. •

والأمة التى لا أمانة فيها هى الأمة التى تعبث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم وتقدم من دونهم وقد أرشدت السنة أن هذا من مظاهر الفساد الذى سوف يقع آخر الزمان.

جاء رجل يسأل رسول الله صلي الله عليه وسلم متى تقوم الساعة؟ قال له: ♂**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة▬** قال: وكيف إضاعتها؟ قال: ♂**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة▬** رواه الإمامين.

ومن معانى الأمانة: أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا فى العمل الذى يناط به وأن يستنفد جهده فى إبلاغه تمام الإحسان. أجل إنها الأمانة يمجدها الإسلام ويطلب أن يخلص الرجل فى عمله وأن يعنى بإجادته وأن يسهر على حقوق الناس التى وضعت بين يديه. وإن التفريط فى العمل والإهمال فيه ضرر كبير يهدد الأمة ويؤدى إلى انتشار الفساد بين ربوعها وتلك جريمة ينكرها الدين.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال هذه غدرة فلان▬** رواه مسلم.

ومن الأمانة: ألا يستغل الرجل منصبه الذى عين فيه لجلب منفعة شخصية فإن الاستغلال جريمة. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول▬** رواه البخارى ومسلم.

لأنه اختلاس من مال الجماعة الذى هو حق للجميع من ضعفاء وفقراء وعاملين وموظفين. وتلك مكاسب محرمة وسلب للأموال وجريمة نكراء، قال تعالى:{وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ} [آل عمران: ١٦١].

أما الذى يلتزم حدود الله فى وظيفته ويعف نفسه ويلتزم حدود الله ويؤدى عمله بإخلاص وأمانة فذلك من المجاهدين الذين يشملهم الله بعنايته ويدخلهم فى رحمته.. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد فى سبيل الله حتى يرجع إلى بيته**▬ رواه مسلم.

وحدث أن استعمل الرسول صلي الله عليه وسلم رجلا على الصدقة فلما قدم بها قال: هذا لكم وهذا أهدى إلى فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:♂**أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى ويقول هذا لكم وهذا أهدى إلى أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله عز وجل يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار**▬ ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه وقال:♂**اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد**▬ رواه الشيخان.

ومن معانى الأمانة: أن تنظر إلى حواسك التى أنعم الله بها عليك فتستخدمها فيما يرضيه وتبتعد بها عن كل ما يغضبه ويجلب سخطه قال تعالى:{إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا} [الإسراء: ٣٦].

وقد نص القران الكريم على أناس عطلوا هذه الحواس التى حباهم الله بها فحجبوا عنها نور المعرفة والهداية فانحدروا إلى درك أسفل من مرتبة الحيوان لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.

وسوف تقف هذه الجوارح من أصحابها يوم القيامة موقفا يندى له الجبين وتنفطر له قلوب الخائنين حسرة وندما على ما فرطوا فى جنب الله قال تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٤، ٢٥].

ومن معانى الأمانة: أن تنظر إلى المواهب التى خصك الله بها وإلى ما أحببت من أموال وأولاد فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك فيجب أن تسخرها فى التقرب إليه وأن تستخدمها فى مرضاته فإن ابتليت بنقص شىء منها فلا يستخفنك الجزع متوهما أن ملكك المحض قد سلب منك فالله أولى بك منك وأولى بما أفاء عليك وله ما أعطى وله ما أخذ وإن ابتليت ببقائها فما ينبغى أن تجبن بها عن جهاد أو ترك طاعة أو تستقوى بها على معصية.

ومن معانى الأمانة: أن تحفظ حقوق المجالس التى تشارك فيها فلا تدع لسانك يفشى أسرارها ويسرد أخبارها فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس وذكرهم ما يدور فيه من كلام منسوبا إلى صاحبه أو غير منسوب. وحرمات المجالس تصان مادام الذى يجرى فيها مضبوطا بقوانين الأدب وشرائع الدين وإلا فليست لها حرمة. وعلى كل مسلم شهد مجلسا يمكر فيه المجرمون بغيرهم ليلحقوا بهم الأذى أن يسارع إلى إفساد مكرهم وإفشاء

أمـرهم وإحبـاط كيـدهم وهـو بـذلك يسـاهم مسـاهمة فعالـة فـى إزالـة المنكـر ومحاربـة الفسـاد ويحـول دون وقـوع الجريمـة. قـال رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم :♂**المجلــس بالأمانــة إلا ثلاثــة مجـالس مجلـس سـفك دم حـرام أو فـرج حـرام أو اقتطـاع مـال بغـير حق**▬ رواه النسائى وغيره.

وللعلاقات الزوجية فى نظر الإسلام قداسة فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل وامرأته يجب أن يطوى فلا يطلع عليه أحد مهما قرب. والســفهاء من الناس يثرثرون بما يقع داخل بيوتهم من أمور نهى الرسول صلي الله عليه وسلم عن التحدث فيها.

فعـن أسـماء بنـت يزيـد أنهـا كانـت عنـد رسـول الله صـلي الله عليـه وسلم والرجـال والنسـاء قعود عنده فقال:♂**لعـل رجـلا يقـول مـا فعـل بأهلـه ولعـل امـرأة تخـبر بـما فعلـت مـع زوجهـا. فلـزم القـوم (فقلـت: والله يـا رسـول الله إنهـم ليفعلـون وإنهـن لـيفعلن. قـال فـلا تفعلـوا فـإنما مثـل ذلـك مثـل شـيطان أتـى شـيطانة فغشـيها والنـاس ينظرون**▬ رواه مسلم.

وقال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم :♂**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يفشى سرها**▬ رواه الإمامين.

والودائع التى تدفع إلينا لنحفظها حينا ثم نردها إلى أصحابها حين يطلبونها هى من الأمانات التى نسأل عنها. وقد استخلف رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم عند هجرته ابن عمه (الإمام على رضـى الله عنـه) ليســلم المشــركين الودائع التى كـانت عنـده مع أن هؤلاء المشركين اضطروه إلى ترك وطنه.

واعتبار الوديعة غنيمة هو ضرب من السرقة وأكل أموال الناس بالباطل...

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:♂**القتال فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة. قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل فى سبيل الله— فيقال له: أد أمانتك فيقول:♂أي ربى كيف وقد ذهبت الدنيا— فيقال:♂انطلقوا به إلى الهاوية وتمثل له الأمانة كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت قدماه فيهوى فى أثرها أبد الآبدين— ثم قال:♂الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة—..**

والأمانة ضمير حى إلى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة. فإذا مات الضمير انتزعت الأمانة فما يغنى عن المرء ترديد للآيات أو قراءة للسنن. وأدعياء الإسلام يزعمون للناس أنهم أمناء ولكن هيهات أن تستقر الأمانة فى قلب تنكر للحق... إن الأمانة فضيلة لا يستطيع حملها إلا مؤمن تقى ورع يخاف الله والعلم أمانة فى أعناق العلماء ولذلك بعد أن تقرأ الآية التى حملت الإنسان الأمانة تجد أن الذين خانوا ونافقوا وأشركوا قد حق عليهم العذاب قال تعالى:{كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣} [الصف: ٣].

ويقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من كتم علما مما ينفع الله تعالى به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار—** رواه البخارى ومسلم.

فيا معشر المؤمنين اتقوا الله وأدوا الأمانات إلى أهلها وحافظوا على حقوق الله وحقوق العباد فإن من حافظ عليها سلم في دنياه وآخرته واستحق من الله الثواب الجزيل والفوز العظيم ومن أضاعها وفرط فيها فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قالوا: وما الغرباء يا رسول الله؟ قال: هم الذين يصلحون عند فساد الناس**▬ رواه الشيخان.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة.

* * *

١٢ ـ إكرام الوالدين

الحمد لله الذى خلق الإنسان من سلالة من طين. ثم جعله نطفة فى قرار مكين. ثم خلق النطفة علقة. فخلق العلقة مضغة. فخلق المضغة عظاما. فكسا العظام لحما ثم أنشأه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.. أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأثنى عليه الثناء كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:{ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾} [لقمان: ١٤، ١٥].

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله نبى الهدى ورسول الرحمة وشفيع الأمة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم وسار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد..

فيقول الله تبارك وتعالى:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾} [الإسراء: ٢٣] أيها المسلمون: فى هذه الآية الكريمة قرن الله طاعة الوالدين بطاعته وجعل الإحسان إليهما جزءا من عبادته ثم حذرنا من أن نسيء إليهما أو نقسوا عليهما أو نعاملهما بالغلظة والجفاء وما هذا إلا لمزيد فضلهما وعظيم حقهما.

فالأم هى التى حملتك فى بطنها تسعة أشهر وذاقت عند وضعك الآلام والأوجاع وهى التى أرضعتك من ثديها لبنا سائغا ومنحتك من فؤادها عطفا وحنانا وهى التى غسلت وأزالت عنك الأذى وآثرتك على نفسها بكل عزيز لديها. إذا مرضت سهرت عليك وبكت لألمك ولو خيرت الأم بين حياتك وموتها لآثرت حياتك على حياتها.

أما الأب فإنه يكد ويكدح ويسعى فى سبيل راحتك وهناءتك وإسعادك وتربيتك وتقويمك حتى تشب على خير حال وأهنا بال.

وبالجملة فكل من الوالدين يبذل غاية جهده فى تربيتك. فهو يتعب لتستريح أنت ويشقى لتسعد. يتألم لآلامك ويبكى لبكائك ويضحك لابتسامتك ويسهر لسهرك ويسكن لسكونك ولا يهدأ له بال إلا إذا رآك هادئ النفس مستريحا فى صحتك وغذائك. واذا تأملت عناية الله بالوالدين وجدتها عناية بالغة الأثر. فلقد أمر الله بالإحسان إليهما أمرا مقرونا بالأمر بتوحيده تعالى فى عدة مواضع.

فيقول:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا } [الإسراء: ٢٣].

وفى آية آخرى يقول:{وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا } [النساء: ٣٦].

وفى آية ثالثه يقول:{أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ } [لقمان: ١٤].

من يكثر من الوصية بالإحسان إلى الوالدين مبينا بواعث هذه الوصية الإلهيةالكبرى..

فيقول:{ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ } [لقمان: ١٤].

وفى آية أخرى يقول:{حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف: ١٥] ولقد بين الله لنا كيفية الإحسان إليهما فى حياتهما وبعد موتهما أما كيفية الإحسان إليهما فى حياتهما فيشير إليها

قوله تعالى:{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾} [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

أما كيفية الإحسان إليهما بعد موتهما فقد علمنا الله إياها فى قوله:{وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤].

فيا أيها المسلم... أحسن إلى والديك واعلم بأن رضا الله فى رضاهما يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين**▬ رواه البخاري.

وأن عقوقهما من أعظم الكبائر فلقد بين لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن عقوق الوالدين مقرون بالشرك بالله تعالى حيث قال:♂**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**▬ قالوا:♂**بلى يا رسول الله وكان متكئا**▬ فجلس ثم قال:♂**ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت**▬ رواه الشيخان.

وإن العاق لوالديه يعجل الله له بعض عقابه فى الدنيا وينتقم منه فى عاجله قبل آجله.

فيقول صلي الله عليه وسلم :♂**كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه فى الحياة قبل الممات**▬ رواه الترمذي.

ومن يتق الله فى والديه فيبرهما ويحسن إليهما فإن الله يبارك له فى عمره ويرزقه الذرية الصالحة التى تبره وتحسن معاملته. يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم**▬ رواه مسلم.

وقد أوحى الله إلى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام: ♂**من لم يبر والديه فليس له جزاء عندى إلا النار**▬ رواه البخارى ومسلم.

فيا معشر المسلمين: إن من أجل ما يتقرب به العبد إلى ربه بر والديه وإكرامهما والإحسان إليهما وطاعتهما فى غير معصية لقول الله تعالى: { وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾} [لقمان: ١٥].

فاتقوا الله وأحسنوا إلى والديكم يحسن الله إليكم فى الدنيا ويجزل لكم العطاء فى الآخرة

شكا رجل أباه إلى النبى صلي الله عليه وسلم وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا هو شيخ يتوكأ على عصاه فسأله النبى صلي الله عليه وسلم فقال إنه كان فقيرا وأنا غنى وضعيفا وأنا قوى فكنت لا أبخل عليه بمالى واليوم وأنا فقير وهو غنى وأنا ضعيف وهو قوى يبخل على بماله. فبكى رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال: ♂**ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى**▬، ثم قال للولد: ♂**أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك**▬ رواه مسلم.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

١٣ ـ السعادة

الحمد لله الذى تجلى بفضله وكرمه على المؤمنين السعداء وبمقته وغضبه على العصاة الأشقياء{مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا} [الكهف: ١٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل السعادة منتهى الآمال وأمنية النساء والرجال وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله سعيد من اقتدى به واهتدى بهديه واتبع أوامره واجتنب نواهيه وشقى من رغب عن سنته وأعرض عن طاعته متبعا شهواته وهواه صلي الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه الذين أدركوا معنى السعادة الحقة فعملوا لها وحملوا مشعل الهداية بعد الرسول صلي الله عليه وسلم فنصر الله بهم الحق وأعز بهم الدين وكانوا سعداء فى الدنيا والآخرة أولئك عند الله هم الآمنون... أما بعد....

فيا عباد الله.. يقول الله عز وجل وهو أصدق القائلين:{وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾} [هود: ١٠٨].

أيها المؤمنون: لقد قررت الآية الكريمة مصير السعداء وما أعد لهم من النعيم المقيم الخالد وقد ذكرت آية قبلها مصير الأشقياء وما أعد لهم من العذاب الشديد حيث قال جل شانه:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ } [هود: ١٠٦ - ١٠٧].

فالسعادة يا عباد الله أمل كل مفكر. إليها يسعى كل الناس وعنها يبحث جميع العقلاء لأنها بالنسبة للجميع كعبة الآمال وغاية الغايات ولكن الناس قد اختلفوا فى فهم معنى السعادة. ففهم كل فريق منهم فى السعادة معنى خاصا على حسب ظروفه وأهوائه فهى التى تحقق لكل منهم أمله المنشود وبغيته المقصودة... فمن الناس من يرى أن السعادة فى الغنى وجمع المال وهو من أجل هذا يعمل جاهدا وبكل ما أوتى من قوة على جمع المال ليكون سعيدا. ولكن قد تبين خطأ هذا المعنى. فما أكثر مال قارون الذى عجزت العصبة أولوا القوة عن حمل مفاتيح كنوزه فقد خسف الله به وبداره الأرض. وما أغنى عنه ماله.

ومنهم من يرى أن السعادة فى الصحة والقوة فقط. وهو من أجل هذا يعمل لتحسين صحته والمزيد من قوته لأنها غايته وهذا أيضا مخطئ لأننا قد رأينا جبابرة الأرض من بنى الإنسان قد أزلهم الله وما أغنت عنهم قوتهم شيئا..

ومنهم من يرى أن السعادة فى المنصب والجاه وهم من أجل هذا يتسابقون إلى المناصب بمختلف الوسائل وهؤلاء أيضا مخطؤون. فهذا فرعون الذى وصل فى جاهه وسلطانه وغطرسته إلى الحد الذى جعله يدعى الإلوهية ويقول للناس:{مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨].

ويقول:{قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف: ٥١].

قد أذله الله فأغرقه وجعله عظة وعبرة وآية لمن بعده من الأمم ولم يغن عنه جاهه ولا جبروته من عذاب الله شيئا.

ومنهم من يرى أن السعادة فى الزينة والكمال الخلقى.. وهم من أجل هذا يتغنون فى ضروب التزين والتجمل كى يكونوا سعداء ولكنهم مخطؤون أيضا فما رأينا الجمال الخلقى كان سببا فى سعادة دائمة بل ربما عاد الجمال على صاحبه بالضرر والوبال ولم يغن الجمال عنه شيئا وأكثر ما يكون هذا فى محيط النساء.

ومنهم من يرى السعادة فى الذكاء.. وهؤلاء يرون أن الأذكياء سعداء فيغبطونهم ويتمنون أن يكونوا مثلهم ولكنهم مخطئون أيضا فكثيرا ما رأينا بعض الأذكياء قد انحرف بهم ذكاؤهم عن الطريق المستقيم فاستعملوا ذكاءهم فى الإفساد فى الأرض وإضلال الناس.

وهؤلاء الأذكياء الذين نبغوا فى الاختراعات كمخترع المذياع والكهرباء وأسلحة التدمير هؤلاء أيضا لم يفكروا فى اعتناق دين الله بل ظلوا منصرفين عنه جاهلين بأحكامه ومقدساته وليس لهم حظ فى نعيم الآخرة..

ومنهم من يرى أن السعادة فى تقوى الله وطاعته وفى التدين والتخلق بالأخلاق الفاضلة وهذا المعنى هو المعنى الكريم الحقيقى للسعادة فان التدين بطاعة الله هو الذى يحقق لصاحبه سعادة كاملة فى الدنيا والآخرة.

أما فى الدنيا.. فان اتباعه لأوامر الدين وإرشاداته يجعله محافظا على صحته.. راضيا بما قسمه الله له من الرزق.. وهذه هى القناعة التى يشعر صاحبها بالسعادة. وأما فى الآخرة فإن طاعته لربه توصله إلى التمتع بنعيم الجنة ولا يدخل الجنة إلا السعداء. وإن العمل الصالح يحقق لصاحبه حياة طيبة فى الدنيا ومكافأة بالأجر العظيم فى الآخرة..

{وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا} [طه: ١١٢].

على أن الناس إذا أخذوا أنفسهم بالعمل بأحكام دين الله تمكنوا من محاربة الأعداء الثلاثة التى هى: الجهل والفقر والمرض وهذه منتهى السعادة فى الدنيا للمجتمع وقد بين الله أن نعيم الجنة خاص بالأتقياء فقال تعالى:{تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣} [مريم: ٦٣] لم يقل الله تعالى من كان غنيا. ولا من كان قويا. ولا من كان ذكيا. بل إن التقوى وحدها هى السبب. فى دخول الجنة،كما جعل الله ميزان التكريم عنده التقوى حيث قال:{إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ} [الحجرات: ١٣]... ولم يقل أغناكم ولا أذكاكم ولا أقواكم.

وما أحسن قول القائل:

ولست أرى السعادة جمع مال ::: ولكن التقى هو السعيد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون وان أردتم لأنفسكم السعادة فهى فى تقوى الله وطاعته والتخلق بالأخلاق الفاضلة فاعملوا بهذا لتتحقق لكم السعادة فى الدنيا والآخرة فإذا انضم إلى تقوى الله شئ من الصحة أو الجاه أو المال كان ذلك خيرا من الله.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**أد ما افترض الله عليك تكن أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن أورع الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس**▬ رواه البخارى ومسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم فى الحديث القدسى الذى رواه عن رب العزة:♂**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.. يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم. يا عبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم. يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم. يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا.**

لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما ضرنى ذلك شيئا. يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قد اجتمعوا فى صعيد واحد فسألونى. فأعطيت كل واحد ما سأل. ما نقص ذلك من ملكى إلا بقدر ما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ــ رواه البخارى ومسلم.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ::: إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فان بناها بخير طاب مسكنه ::: وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ::: ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة ::: حتى سقاها بكاس الموت ساقيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بنيت ::: أمست خرابا وأفنى الموت أهليها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ::: فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
المرء يبسطها والدهر يقبضها ::: والنفس تنشرها والموت يطويها
إن المكارم أخلاق مطهرة ::: الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ::: والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها ::: والصبر تاسعها والدين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها ::: ولست أرشد إلا حين أعصيها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها ::: والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ::: والزعفران حشيش نابت فيها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة ::: تسبح الله جهرا فى مغانيها
من يشترى الدار فى الفردوس يعمرها ::: بركعة فى ظلام الليل يحييها
النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ::: أن السلامة فيها ترك ما فيها

ومن القصــص ذات المغزى العميق أن مالك بن عوف ذهب إلى رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم وقال: يا رسـول الله إن ابنى ذهب معك غازيا ولم يعد من الأسر وليس لى سواه فقال له الرسول صلي الله عليـه وسـلم :♂**يا مالك أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم**ـــ.

فلما رجع مالك سـألته زوجته بماذا وصـاك رسـول الله؟ قال لها: وصـانى وإياك بـالإكثـار من قول: لا حول ولا قوة إلا بـالله العلى العظيم فلقيت هذه الوصـية نفسـا مؤمنة وظل الرجل وزوجته يرددان تلك الوصـية الغالية وفى المسـاء إذا بابنهما يطرق الباب ومعه قطيع من الأغنام. فسـأل والديه ماذا كنتما تفعلان فى غيابى لقد كنت مكبلا بالسـلاسل والأغلال وتعجبت عندما وجدتها تنفك شـيئا فشـيئا وعدت من الأسـر وتبعتنى هذه الأغنام. ففرح الأب وذهب إلى رسـول الله صلي الله عليه وسلم يخبره بعودة ابنه فقال له الرسول صلي الله عليه وسـلم :♂**يا مالك لقد أنزل على قول الله عـز وجـل**:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ}ـــ [الطلاق: ٢ - ٣].

وقد سـئل الإمام على عن التقوى فقال: (ترتكز على أربعة أركان: الخوف من الجليل.{وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١} [النازعات: ٤٠ - ٤١].

والعمل بالتنزيل..{وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥] والرضا بالقليل يقول الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس**) (رواه البخارى ومسلم) والإسـتعداد ليوم الرحيل. قال تعالى:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [البقرة: ١٩٧] ادعوا الله يستجب لكم.. * * *

١٤ ـ الشباب فى موكب الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.. وأشهد أن محمدا رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير. اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

أيها المؤمنون...

نحن نعلم أن القوة البدنية من نعمة الله على الإنسان كى يؤدى واجبه ويبلغ أهدافه ويؤدى الحقوق الأدبية المكتوبة عليه ولهذا نرى القران الكريم نوه عنها فى الوظائف القيادية وفى الوظائف العامة.

فأما الوظائف القيادية فإن اليهود لما اعترضوا أن بعث الله فيهم من يقودهم قالوا:

{أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ} [البقرة: ٢٤٧].

كانت طبيعة القوم فى تقدير الأشخاص بالمال تهيمن عليهم وتطل من وراء حكمهم على الأمور فأفهم الله جل شانه أن الرجال الكبار يكونون كبارا بمعادنهم التى يصاغون منها والمواهب التى يرزقون بها والقوة العلمية والبدنية التى تجعلهم يستطيعون أن ينهضوا بما يحملون من أعباء، قال تعالى موضحا هذه الحقائق:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ} [البقرة: ٢٤٧].

ومعنى البسطة فى العلم: أن يكون القائد حكيما فقيها مدركا للأمور واضعا كل شئ فى موضعه دون مغالاة أو تفريط.

ومعنى البسطة فى الجسم: أن الإنسان يستطيع أن يؤدى ما عليه وينطلق إلى بغيته دون أن يغلبه إعياء أو يقف به داء ومعروف فى تاريخ الرجال أن الهمم الكبيرة تدوخ أصحابها وان القلوب الحية تكلف الأجساد مالا تطيق ولذلك قال المتنبى: -

وإذا كانت النفوس كبارا ::: تعبت فى مرادها الأجسام

ولأمر ما وصف النبى عليه الصلاة والسلام بعض نعم الله على خلقه فقال:♂**وبدنا على البلاء صابرا**▬ ومعنى البلاء: التكاليف التى يختبر الإنسان بها فإذا كان الإنسان صاحب طاقة على تحمل الأعباء كان ذلك من نعمة الله عليه.

قال العلماء: فالقوة يقصد بها: الطاقة المادية على الوفاء بما يطلب والأمانة يقصد بها: الرقابة الروحية ويقظة الضمير التى تجعل الإنسان يدرك مسئولياته ويؤرقه خوف التفريط فيها فهو أمين وهو قوى فأمانته تجعله يؤدى ما عليه بدقة. وقدرته تجعله ينهض بما عليه دون عجز.

ولأن القوة بهذه المثابة فى جميع الوظائف القيادية والعامة كانت مرحلة الشباب من أخطر المراحل فى حياة الناس وكان لها حساب خاص عند الله لأن مرحلة الشباب هى مرحلة القوة. فإن الإنسان يبدأ وبه ضعف الطفولة و جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد القوة ضعفا وشيبة قال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾} [الروم: ٥٤].

هذه القوة بين ضعفين جعلت لفترة الشباب حسابا خاصا وجعلت النبى صلي الله عليه وسلم يقول:♂**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه. وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به**▬ رواه البخارى ومسلم.

ولما كان الشباب من العمر وسنسأل عنه جعل الله له حسابا خاصا دون فترة الصبا والشيخوخة فإن فترة الشباب تعتبر أعمر الفترات بالقوة وأغناها بالطاقات المادية والأدبية وهذه الطاقات التى حفت بفترة الشباب جعلت لهذه الفترة ولأصحابها مكانة خاصة ولذلك لما ظهر الشباب المؤمن حول رسول الله صلي الله عليه وسلم بدأ الإسلام يؤدى رسالته تأدية رائعة جليلة. النبى نفسه عليه الصلاة والسلام بعث فى اكتمال شبابه على سن الأربعين وإن كانت خصائص الشباب من قوة وسعة ورحابة وعاطفة حارة وسنرى ما نعرض من نماذج أن الشباب قوة وفكر وموهبة انظر إلى الرجال الثلاثة، الذين استشهدوا فى مؤتة زيد بن حارثه وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة كانوا شبابا فى الثلاثين من أعمارهم تقريبا ومن ذلك فإن زيد بن حارثة تلاشى فى رماح الرومان وجاء بعده جعفر فقاتل بضرواة وكان رجلا فيه كبرياء الإيمان واعتزاز أهل اليقين بما وهبوا من معادن وشرف والروم يومئذ أقوى دولة فى العالم وجاء بعده عبد الله بن رواحة فقاتل واستشهد.

هذا زيد بن حارثة أنجب ولدا اسمه أسامة بن زيد جعله النبى صلي الله عليه وسلم قائدا على الجيش لمقاتلة الرومان وليدرك ثأر أبيه. شاب عمره ثمانية عشر عاما يتولى القيادة بجدارة ويشعر الشاب وهو يمتطى فرسه وينطلق أن خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو أبو بكر رضى الله عنه يمشى إلى جانبه وسنه واحد وستون عاما فيخجل أسامة ويقول: يا خليفة رسول الله إما أن تركب

وإما أن أنزل فيقول الخليفة له: والله لا أركب ولا تنزل وما على أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله.

ثم من باب إعطاء القائد حرمة القيادة ومكانة الرياسة يقول أبو بكر لأسامة:

هل تأذن لى فى عمر ليبقى معى؟ وعمر بن الخطاب مجند فى الجيش فيأذن أسامة بن زيد أن يبقى عمر ويصدر أمرا ببقائه مع خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم.

عندما أتصور شابا فى الثامنة عشر من عمره أقول فى نفسى طبيعة الإيمان وتربية القرآن لهؤلاء الرجال مضى الإيمان فى طريقه لم يتوقف والغريب أن ضريبة العمل صاحبت كل إنسان مهما كانت مكانته المعروفة فى عالم اليوم إذا نبغ فرد فى أسرة تسلق على أكتافه كثيرون كلهم يطلب أن تكون له المكانة.

لأن فردا من أسرته نبغ. الغريب أن النبى الهاشمى عليه الصلاة والسلام رفض هذه القاعدة ورفض أن تكون لها قيمة فى حياته وسيرته وتقديره للأشخاص ولذلك وجدناهم فى غزوة بدر أول من بارز كان عم النبى عليه الصلاة والسلام وابن عمه أول الفرسان الذين يقاتلون وأول قتيل سقط فى بدر كان من بنى هاشم وأول شهيد عظيم فى أحد كان حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلي الله عليه وسلم وجعفر بن أبى طالب نفسه مات شهيدا فى مؤتة كان الرجال الكبار من شباب هذا الدين يعلمون أن مكانتهم عند الله بمقدار ما يضحون وبمقدار ما يؤدون ولذلك ذكرهم القران الكريم فقال:{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى} [الكهف: ١٣].

وسمعوا القرآن يتحدث عن شباب يوسف عليه السلام كيف زانته العفة وعن شباب موسى كيف كان ذو قوة وحكمة:{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [القصص: ١٤].

وليس هذا له وحده بل للمحسنين قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ} [القصص: ١٤].

ولما غضب إبراهيم من مسلك أبيه صانع الأصنام التى يصنعها ويغرى الناس بعبادتها واستطاع إبراهيم أن يحاور بلسانه ثم بيده كان حديث الناس:{قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾} [الأنبياء: ٦٠].

فالفتى الذى حطم الأصنام كان شابا كانت قدرة الشباب وطاقاته وعواطفه وأفكاره وآماله كانت كلها تدور حولها قيم حقيقية. هذا من الناحية العسكرية..

أما من الناحية العلمية: -

فعندما أنظر إلى الرجال الذين اعتبروا أئمة لهذه الأمة أرى أنهم كانوا من الشباب..

١- عبد الله بن عباس.

٢- عبد الله بن الزبير.

٣- عبد الله بن عمر.

٤- عبد الله بن عمرو.

العبادلة الأربعة الذين ورثوا الدين كانوا شبابا أبو هريرة كان شابا شغل نفسه بالعلم حفظا واستيعابا والشافعى الذى سعدت القاهرة بأنه كان يدرس بمساجدها هذا الإمام مات وعمره بضع وخمسون سنة والشافعى هو الواضع لعلم أصول الفقه وفن التشريع فى الإسلام وفن تقنين القوانين واستخراج الأحكام.

وهو الذى قال:

شـــكوت إلى وكيع ســـوء حفظى ::: فـأرشـــدنى إلى ترك المعـاصـــى

وأخبرنى بـــأن العلـــم نـــور ::: ونـــور الله لا يهـــدى لعاصـــي

ولذلك، فالشـباب أحوج أهل الأرض إلى مشـرفين أمناء يدركون كيف يســـتغلون قوتـه فى الخير وكيف يهذبون غرائزه ويجعلونها لا تتمرد ولا تنزلق ولا تنحرف.

الأمر محتـاج إلى أوليـاء أمور فى المجتمع كلـه وفى الأســـرة خاصة يؤمنون بالله ويؤمنون بالقيم التى أودعها الله فى دينه وبالقواعد الســلوكية والأخلاقيه التى لابد أن يســير الشــباب عليها حتى تؤمن عقباه وينتظر الخير له إن الإنسان ينبغى أن يلتزم بآداب الإسلام نحن نريد الشـباب نهما علميا وعسـكريا ورياضـيا واجتماعيا يملأ حياتهم بالجديد الذى لابد منه كى يؤدى ما عليه لأمته.

أقــول لأى شــاب مــؤمن: كــن رجــلا وكــن قــوى الشخصــية ورسـخ قـدمك فـى الأرض وأمعـن فـى طريقـك طالبـا وجـه ربـك ناشـدا ثوابـه منتظـرا عونـه وتوفيقـه وإذا حاربتـك الـدنيا كلهـا لـن تنـــال منـــك وستصـــل إلـــى غرضـــك واعلـــم أن دوام الحـــال مـــن المحـال ولـيكن مـا يكفيـك مـن ثـواب الله أنـك أحـد الـذين يظلهـم الله بظلـه يـوم لا ظـل إلا ظلـه شـاب نشـأ فـى طاعـة الله فـإذا تعـاون هـذا الشـاب مـع غيـره فهمـا أخـوان تعارفـا فـى الله اجتمعـا عليـه وتفرقا عليه.

هذا المعنى أرجو أن يكون فى نفس كل شـــاب مؤمن إن العالم تهب منه تيارات حمراء وصفراء تريد أن تسرق من الإيمان أفخر ما فيه تريد أن تسرق من الإسـلام أحب ما لديه وأخرى تريد أن تسرق الشباب. نريد من المسؤولين العناية بالشباب وأن يعينوهم على الحق وأن يعملوا بما وصانا به رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**اجعلوا الشباب فى مجالسكم فإنهم أقرب إلى زمنهم**▬ رواه أحمد فى مسنده.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

* * *

١٥ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الحمد لله الكبير المتعال، ذى العظمة والجلال، سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

{مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا} [الكهف: ١٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له غمرنا بواسع فضله وإحسانه.. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبى لخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

فيقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } [آل عمران: ١٠٤].

أيها المسلمون.. إن الأمة الإسلامية لم تكن خير أمة أخرجت للناس ولم تنل الأولوية على سائر الأمم إلا لما وهبها الله تعالى من فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقول الله سبحانه وتعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

والمعروف كل قول أو عمل يرضاه الله تبارك وتعالى ورسوله وعباده الصالحون كالبر والإحسان والصدق وحسن المعاملة وغير ذلك من أعمال الخير الكثيرة.

أمـا المنكر فهو كل قول أو عمل لا يرضـــــاه الله تبـارك وتعـالى وينكره الرســـول ولا يقره الـدين كشــــهادة الزور والكذب وعقوق الوالدين والرشـوة وأكل أموال الناس بالباطل وظلم القوى للضـعيف والاعتـداء على حقوق العبـاد وغير ذلـك من المنكرات التى يمقتهـا الشـرع ويبرأ منها الله ورسـوله والملائكة والصـالحون من المؤمنين. وقد أمرنـا الله سـبحانه وتعالى أن يأمر بعضـنا بعضـا بالمعروف وأن ينهى بعضـنا بعضـا عن المنكر حتى يسلم المجتمع من الفساد وينتشر الأمن والسلام بين العباد.. فإن تركنا الأمر بالمعروف وتغاضـينا عن المنكر ولم نضـرب بيد من حديد على أيدى الظالمين صـب الله علينا العذاب صـبا كما صـبها على بنى إسـرائيل من قبل حينما كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.

قـال تعـالى:{ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾} [المائدة: ٧٨].

ويقول النبى صـلي الله عليه وسـلم :♂**إن من كان قبلكم كانوا إذا عمـل العـامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهى تعذيرا—** فقال: يا هذا اتق الله فاذا كان الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

♂**والـذى نفسـى بيـده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر و لتأخذن على يد السـفيه أو ليضربـن الله بقلوب بعضـكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم—** رواه مسلم.

فالمعاصى والمنكرات لا تضر صاحبها وحده وإنما يقع ضررها ووزرها على من يراها ويشـهدها ولا يرد صـاحبها إلى الحق والصواب.

يقول الله تعـالى:{ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً } [الأنفال: ٢٥].

وقد يقول قائل: مالى وللناس ما دمت مسـتقيما أؤدى ما على لله والناس. وهذا خطأ عظيم وفكر سقيم. وكان أبو بكر رضـى الله عنه يقول: إنكم تقرءون هذه الآيـة:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ } [المائدة: ١٠٥].

وإنى سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول:♂**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشـك أن يعمهم الله بعذاب من عنده**▬ رواه الترمذي.

وقد حكى أن داود عليه السـلام ارتكب خطيئة فقال: يارب اغفر لى فقال: غفرت لك وألزمت عارها بنى إسـرائيل. فقال داود: يارب كيف وأنت الحكم العدل لا تظلم أحدا؟ أنا أعمل الخطيئة وتلزم بها غيرى. فأوحى الله إليه إنك لما عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالإنكار.

وقد أرسل الله على ثمود الصيحة لما قتل واحد منهم ناقة صالح وذهبوا جميعا ضـحية سـكوتهم وصـمتهم على ما قدمت يداه، قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾} [الشمس: ١١ - ١٥].

كل هذا دليل على أن ضرر المنكر ليس عائدا على فاعله وحده وإنما عائد على جميع من رأوه ولم يمنعوه. فما أشبهنا أيها المسلمون بركاب سفينة تجرى وسط البحر بعضنا أعلاها وبعضنا أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا احتاجوا الماء طلبوه من فوقهم. فإذا حاول من فى أسفل السفينة أن يخرقوها ليستقوا من البحر مباشرة غرقت السفينة بمن فيها. وإذا منعهم الذين فى أعلاها نجوا جميعا وسلموا من الغرق وقد أخذ هذا التشبيه من هدى رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد قص القرآن الكريم علينا ما يوضح أن ضرر المنكر ليس قاصرا على فاعله فقط بل سيلحقه ويلحق من وراءه إذا لم يقم بالنهى عنه.

وذلك واضح جلى فى قصة أصحاب السبت حيث نهى الله اليهود عن صيد السمك يوم السبت واختبرهم بكثرة الأسماك فى هذا اليوم الذى نهوا عن الصيد فيه وقلته فى غيره من الأيام فلجؤوا إلى حيلة يتخلصون بها من نهى الله لهم فنصبوا الفخاخ للسمك يوم السبت وكانوا يأخذون السمك فى الأيام التى تليه فقامت طائفة بوعظهم وجاءت طائفة أخرى تؤنب الواعظين فأثبت الواعظون حجتهم فلما وقع عذاب الله أخذ به العصاة ومن لم يقوموا بوعظهم ونهيهم عن معصية الله. ونجى الله عز وجل كل من نهى عن السوء.

استمعوا إلى قول الله تعالى: { وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ } [الأعراف: ١٦٣].

ولكن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال الله للرسول صلي الله عليه وسلم :{ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ } [النحل: ١٢٥]، رواه مسلم.

وقد أمر الله موسى وأخاه أن يقولا لفرعون قولا لينا..

فاتقوا الله أيها المسلمون وتيقظوا من قبل أن يأتيكم عذاب لا مرد له من الله. طهروا نفوسكم وقلوبكم واتحدوا جميعا على البر والتقوى واضربوا على أيدى العابثين والمجرمين الذين يعيثون فى الأرض فسادا والظالمين الذين يبغون على الضعفاء ويسلبونهم أموالهم وأقواتهم. والكذابين الذين يشهدون الزور ويكونون سببا فى ضياع الحقوق وتضليل العدالة. والمحتكرين الذين يحتكرون السلع لتقل فى السوق ويرتفع ثمنها. والتجار الجشعين الذين يغالون فى الأثمان ويرفعونها بغيا وظلما. وأذناب الحقد والجهل الذين يكرهون التقدم والرقى لوطنهم ويريدون أن نعيش مكبلين فى أغلال التأخر والجهل. والنساء اللائى يخرجن إلى الطريق متبرجات. أولئك أعداء الله وأعداء الدين وأعداء الوطن والإنسانية. فيجب علينا أن ننكر عليهم أعمالهم ونبصرهم بالهدى ونعرفهم طريق الحق لنكون خير أمة أخرجت للناس ونسلم من عذاب الله فى الدنيا والآخرة.

هدانى الله وإياكم سبيل الرشاد ووفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه..... قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**أيها الناس اتقوا ربكم. إن ربكم يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعونى فلا أجيبكم وتستنصرونى فلا أنصركم وتسألونى فلا أعطكم**▬ رواه النسائى.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂خمس خصال يا معشر المهاجرين أعوذ بالله أن تدركوهن.. ما فشت فاحشة الزنا فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأمراض التى لم تكن معروفة فى أسلافهم من قبل... وما طففوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.. وما منعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء، وما لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ أحسن ما فى أيديهم. وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم▬ رواه البخارى ومسلم.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂كيف بكم يا معشر المهاجرين إذا فسق شبابكم وطغت نساؤكم؟ قالوا: وأن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما اشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف وأصبح فيكم المعروف منكرا والمنكر معروفا▬ رواه مسلم.

يقول الله عز وجل فى حديثه القدسى:♂وبى حلفت لأتيحن لهم حينئذ فتنة يصير الحليم فيها حيرانا▬ رواه أحمد.

ويقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت إعمل ما شئت كما تدين تدان▬.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

١٦ ـ صفات المتقين

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله ألا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير...

أما بعد... فيا عباد الله... يقول الله عز وجل فى كتابه الكريم:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾} [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

قوله تعالى:{وَسَارِعُوٓاْ} أي: بادروا - وفى الآية حذف أي وسارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهى الطاعة قال أنس بن مالك:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ} أي: إلى تكبيرة الإحرام. وقال على بن أبى طالب: إلى أداء الفرائض. وقال عثمان بن عفان: إلى الإخلاص وقيل: إلى التوبة من الربا. وقيل: إلى الثبات فى القتال.

وقوله تعالى:{وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ} تقديره كعرض السماوات فحذف المضاف. وقوله تعالى:{أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ} من هم المتقون؟ يبين الله سبحانه وتعالى لنا صفاتهم فى قوله:{ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ} هذه صفة من صفاتهم{فِي ٱلسَّرَّآءِ} أي: فى اليسر{وَٱلضَّرَّآءِ} أي فى العسر. وقيل: فى السراء والضراء (أي فى الرخاء والشدة) وقوله تعالى:{وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ} ومعناها.. كظم غيظه أي: سكت عليه

ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعده وقد ورد فى كظم الغيظ أحاديث كثيرة..

فقال صلي الله عليه وسلم :♂**ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد هو الذى يملك نفسه عند الغضب▬** رواه البخارى ومسلم.

وروى أنس أن رجلا قال: يا رسول الله، ما أشد من كل شيء؟ قال:♂**غضب الله▬** قال: فما ينجى من غضب الله؟ قال:♂**لا تغضب▬**.

وإذاغضبت فكن وقورا كاظما ::: للغيظ تبصر ما تقول وتسمع..
فكفى به شرا فاصبر ساعة ::: يرضى بها عنك الإله وترفع..

وقوله تعالى:{وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ}.. العفو عن الناس أجل ضروب فعل الخير..

قصة: روى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بإناء فيه مرقة شديدة الحرارة وعنده ضيوف فعثرت قدمها فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يعاقبها فقالت الجارية: يا مولاى استعمل قول الله تعالى:{وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ } قال لها: قد فعلت. فقالت: اعمل بما بعده:{وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ} قال: قد عفوت عنك..

فقالت الجارية:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }.. قال: (اذهبى فأنت حرة لوجه الله).

إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال: من ذا الذى كان أجره على الله؟ فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب..

وقوله تعالى:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤] أي: يثيبهم على إحسانهم..

{وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ} [آل عمران: ١٣٥] ذكر الله في هذه الآية صنفا دون الصنف الأول وهؤلاء هم التوابون.

فعن على بن أبى طالب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:♂**ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له**▬. والمراد بقوله تعالى:{ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ} أي حياء منه وخوفا من عقابه.{فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٣٥] أي: طلبوا الغفران لأجل ذنوبهم. روى الترمذى أن النبى صلي الله عليه وسلم قال:♂**من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفر الله له وإن كان قد فر من الزحف**▬ رواه ابن ماجه.

وقوله تعالى:{وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥] أي: ليس أحد يغفر الذنوب والمعاصى ولا يزيل عقوبتها إلا الله:{وَلَمْ يُصِرُّوا۟} [آل عمران: ١٣٥] أي: لم يثبتوا ويقيموا على معاصيهم والإصرار: هو العزم بالقلب على ترك الأمر والإقلاع عنه وقوله تعالى:{وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أي: يعلمون أن لهم ربا يغفر الذنوب ويقبل التوب.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**▬ رواه مسلم.

وبعد أن بين لنا صفات المتقين بشرهم بالجزاء الحسن فقال: {أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾} [آل عمران: ١٣٦].

وقد بين الله لنا ما حدث للأمم الســـابقة فقال تعالى:{ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧} [آل عمران: ١٣٧] والسنن جمع سنة وهى الطريق المستقيم. وانظروا إلى ما حدث للمكذبين قبلكم كعاد وثمود.

حديث قدسي:

♂يا ابن آدم لا تخف من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى باق لا يزول أبدا يا ابن آدم لا تخف فوات الرزق مادامت خزائنى ملآنة وخزائنى ملآنة لا تنفذ أبدا يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تنشغل بما خلقته لك عنى. يا ابن آدم لى عليك فريضة ولك على رزق فإن خالفتنى فى فريضتى لن أخالفك فى رزقك. يا ابن آدم إن رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموماـــ رواه البخارى ومسلم.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

١٧ ـ عقبات مزيفة فى طريق إسلام الوجه لله

الحمد لله الذى أرسل رسوله بشيرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له يبسط يده بالليل ليتوب مذنب النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مذنب الليل. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله.

سيدى يا رسول الله..

صلت عليك ملائك الرحمن ::: وسرى الضياء بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مذودا ::: بحمى الإله وراية القران

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين حملوا مشعل الهداية من بعده فنصر الله بهم الحق وأعز بهم الدين...

أما بعد...

إذا فهم الإنسان التوحيد على حقيقته. واتخذه شعارا له وطابعا. فإنه يتحرر من رق العبودية لغير الله فى مختلف ألوانه وأشكاله.

والإنسانية فى مختلف أزمنتها وأمكنتها تخاف الموت وتخشاه وهذا يقودها إلى الاستعباد للأقوياء والذلة أمام الطغاة. ولكن هذا الوضع لا يتمشى قط مع عقيدة التوحيد. فإن مالك الملك إنما هو الذى يملك الموت والحياة. إنه يملك إماتة الطغاة أو تركهم لحكمة يعلمها سبحانه. وهو الذى قدر الآجال وحددها. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

والحرص على الحياة أو الجبن ليسا من أسباب إطالة الأجل. والشجاعة والإقدام ليسا من أسباب تقصير الأجل وقد بين الله ذلك فى كتابه الكريم.

أما هؤلاء الذين قالوا:{لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا} [آل عمران: ١٥٤].

فإن الله يرد عليهم:{قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ} [آل عمران: ١٥٤].

وهؤلاء الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا:{لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ} [آل عمران: ١٦٨] فإن الله سبحانه وتعالى يقول:{فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} [آل عمران: ١٦٨].

أما هؤلاء الذين يفرون أمام أعداء الله فهؤلاء قد استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا.

إذن المؤمن الصادق لا يعرف الجبن ولا يستذله الشيطان قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل لأن لو تفتح عمل الشيطان**▬ رواه البخارى ومسلم.

وإذا كان الخوف من الموت هو الدعامة الأولى فى ذل الإنسان واسترقاقه فإن الدعامة الثانية هى الخوف من فوات الرزق.

والنـاس عادة ينتابهم القلق ويتملكهم الحرص على أقواتهم ويذهب بعضـــهم إلى وســـائل لا تليق بالكرامة الإنســـانية. بل يصـــل الأمر بالبعض إلى مسـتوى التملق والمداهنة وبعضــهم يصـل به الأمر إلى الغش والرشوة والاختلاس وتستعبد المادة والحصول عليها الإنسان فيصبح لها عبدا مسترقا.

ولكن الإنسان وقد حرره المجتمع الإسلامى من خوف الموت فقد حرره أيضـــا من هم الرزق قال تعالى:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا } [هود: ٦]، وقال تعالى:{ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾} [فاطر: ٢].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن الرزق فى السماء محدود مقسوم وأقســـم ســـبحانه على أن ذلك حق وواقع يقول ســـبحانه:{وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾} [الذاريات: ٢٢ - ٢٣].

على أن صـــاحب الثراء العريض الذى يعتمد على ثرائه غير ناظر لله تعالى واهب الرزق والثراء وأنه القادر على أن يخســـف به وبداره الأرض كما صنع بقارون أو يطوف بمزارعه وبساتينه طائف منه سـبحانه وتعالى فتصـبح خاوية على عروشـها كما فعل سـبحانه بأصـحاب الجنة الذين قص علينا أمرهم فى القرآن الكريم فى سـورة القلم. والواقع أن ســـنن الله ســـبحانـه وتعـالى لا تتخلف. فـالقـاعدة الإســـلامية أن الله عز وجل يمهل ولا يهمل. صـــحيح أنه يملى للظالم ولكنـه إذا أخذه يـأخذه أخذ العزيز المقتدر وما حدث لمن ظلم وطغى أو بغى وافترى من القائمين على الحكم فى بلاد الإســـلام فيه العبرة والعظة لكل من تسـول له نفسـه أن يحكم بأهوائه أو يسـتعبد الشـعب الذى هو مسؤول عنه أمام الله. وعلى كل حاكم أن يعى جيدا قول الله

عز وجل فى كتابه الكريم: { قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)} [آل عمران: ٢٦].

فالعاقل يعلم بأن الملك والملكوت لله وحده. وأن العدل أساس الملك. ومعلوم أن الحق تبارك وتعالى قد حرم الظلم على نفسه لا يظلم مثقال ذرة وجعل الظلم محرما بين خلقه فقال:♂**لا تظالموا**▬.

وقد حذر الظالمين من العاقبة الوخيمة فى الدنيا والآخرة فقال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ (٤٥)} [إبراهيم: ٤٢ - ٤٥].

إن ما حدث فى مصرنا قديما وحديثا من عقاب الله للظالمين والتنكيل بهم أمام من ظلموا لهو أعظم دليل على عدل الله عز وجل. فمن العز والمنعة إلى الذل و الإهانة. ومن القصور إلى القبور. فسبحان من حرم الظلم وأمر بالعدل. فالحاكم العاقل العادل إذا حكم لا يظلم. وإذا حدث لا يكذب. وإذا وعد لا يخلف وإنه لا خير فى القول إلا مع العمل. وأن يرجع إلى رأى العقلاء. ويفزع إلى استشارة العلماء. لك أن تسال وتسلم خير لك من أن تستبد وتندم. وإياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذى منه كنت. والذى إليه تصير.

أيها المسلمون...

ليعلم كل من يظلم أن الظلم لا يدوم لأنه إن دام دمر. وان الحرام لا يدوم وان دام لا ينفع أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

١٨ ـ الزواج وفوائده

الحمد لله الذى شرع الزواج رحمة للعالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الزواج وقاية للناس من الوقوع فى المهلكات والمنكرات التى تهدم صرح المسلمين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. وصفيه وخليله رسم للناس فى الزواج طرقا طيبة إذا سلكوها كانوا سعداء فائزين. وإذا أعرضوا عنها كانوا أشقياء أذلاء خاسرين. اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

أما بعد... فيا عباد الله.... قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:

{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} [الروم: ٢١].

أيها المؤمنون.. إن الزواج من سنن الله الكونية التى لا بد منها لتنظيم الكون وذلك لما له من فوائد متعددة وآثار كريمة طيبة تجعلنا نؤمن بأن الزواج هو الأساس القويم الذى تبنى عليه نظم الطوائف والجماعات ولهذا كانت مشروعية الزواج من أعظم نعم الله على بنى الإنسان. فمن فوائد الزواج وحكمه التى من أجلها شرع: أن الزواج خير وسيلة للترابط بين الأسر والجماعات لما فيه من المودة والرحمة والاطمئنان وغير ذلك من الصفات الكريمة التى تنشأ بين الزوجين. وهذه هى المعانى التى أشارت إليها الآية الكريمة ومن حكمه وفوائده أيضا أنه سبب فى عمارة الكون بطريق التناسل الذى بينه رسول الله صلي الله عليه وسلم فى قوله:♂**تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة**▬ رواه مسلم.

ومنها: أنه هو الوسيلة لحفظ الأنساب وحفظ الأموال من أن تنتقل إلى بعض الأشخاص بغير حق باسم الميراث.

فالزواج هو الطريق القويم الذى ينظم هذه الشـؤون تنظيما دقيقا تجنبنا من الوقوع فى الزلل من جهة هذه الأخطار... ومنها أيضا: أن فى الزواج وقاية طيبة وحصنا حصينا للكثيرين من الناس من الوقوع فى فاحشة الزنا وما قد ينشأ عن ذلك من الأمراض التناسلية الخبيثة الفتاكة التى تهدم كيان المجتمع لأن هذه الأمراض قد تنتقل بالوراثة إلى عدد من الطبقات المتعاقبة. فلهذا كله وغيره من المخاطر التى لا تكاد تحصر رأينا عناية جميع الأديان السماوية بمشروعية الزواج فى جميع الأمم على اختلاف عصورها.

ولقد كانت عناية الإسـلام بالزواج عناية بالغة الأثر حيث وردت نصـوص كثيرة فى القرآن الكريم والسـنة النبوية تحث على الزواج وترغب فيه وترشـد إلى بعض فوائده ومزاياه وتنظم قواعده وتبين أحكامه..

قال تعالى:{وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾} [النور: ٣٢].

فلا عجب إذا رأينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ينادى الشباب ويحثهم على الزواج ويرغبهم فيه متى توفرت لديهم أسـبابه ودواعيه فيقول:♂**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**▬ رواه البخارى ومسلم.

ونراه صـــلي الله عليه وســـلم يوجه اللوم إلى المعرضـــين عن الزواج مع قدرتهم عليه كما جاء واضـحا فى جوابه صـلي الله عليه وســـلم للقوم الذين جاؤوا ليســـالوا عن عبادته فقال أحدهم: أما أنا فأصـــوم الدهر ولا أفطر. وقال الثانى: وأما أنا فأقوم الليل أبدا، وقال الثالث: وأما أنا فأعتزل النساء أبدا.

فأجابهم صـلي الله عليه وسلم بقوله:♂**أما أنا فأصـوم وأفطر. وأقوم وأنام. وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**▬ رواه مسلم.

وإذا كان الممتنع عن الزواج تقربا إلى الله قد حكم عليه الرسـول بقوله:♂**ليس منى**▬.

فمـا بـالكم بـالممتنع عن الزواج اكتفـاء بـارتكـابـه للمنكرات متبعـا أهواءه وشهواته..

قال صــلي الله عليه وســلم :♂**لا رهبانية فى الإســلام. والرهبانية الممنوعة هى الامتناع عن الزواج ولو تنسكا**▬ رواه مسلم.

ونراه صـــلي الله عليه وســـلم يلقى فى الزواج عدة بيانات رائعة يرسـم فيها للناس خطوطا رئيسـية تحقق لمن سـلكها سـبيل السـعادة والهنـاءة. فنبـه الراغبين فى الزواج:♂**أن المرأة تنكح لأربع. لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**▬ رواه مسلم.

ويقول:♂**من تزوج امرأة لمـالهـا لم يزده ذلـك إلا فقرا. ومن تزوجهـا لجاهها لم يزده ذلك إلا ذلا. ومن تزوجها لجمالها لم يزده ذلك إلا خسة ودناءة. ومن تزوجها لدينها ليغض بها بصرـه ويحصـن بها فرجه. بارك الله له فيها وبارك لها فيه**▬ رواه البخارى ومسلم.

فقد جعل رسول الله صلي الله عليه وسلم تدين المرأة هو الهدف المقصود فى اختيار الزوجة فإذا انضم إلى الدين شيء من المال أو الجمال أو الجاه كان ذلك زيادة فى الخير. ومن الإرشادات النبوية لأولياء أمور البنات فى اختيار الأزواج لبناتهم، قوله صلي الله عليه وسلم: ♂**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**▬ رواه مسلم.

فقد جعل الرسول صلي الله عليه وسلم الميزان القويم فى اختيار الزوج هو الدين والخلق.

فيا معشر الشباب: أقبلوا على الزواج متى توفرت لكم أسبابه ودواعيه. ولا تعبثوا فى اختيار الزوجات بكرامة البيوت واجعلوا التدين والحياء وطاعة الله هدفا أساسيا فى اختيار الزوجة.

ويا أيها الآباء والأولياء: لا تتعسفوا فى زواج بناتكم ولا تعقدوا المشاكل أمام الراغبين حقا فى الزواج والمصاهرة.. ولا تثقلوا كواهلهم بالمطالب المالية التى قد تكون سببا فى تنفيرهم من الزواج واجعلوا هدفكم فى اختيار الأزواج لبناتكم الدين والخلق قبل كل شىء كما أوصانا نبينا فإنكم إن فعلتم هذا تحققت أمالكم فى إعزاز بناتكم والاطمئنان على حياتهن فى بيوت الزوجية لأن الزوج التقى إن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

وقد رأينا الكثيرين ممن غرتهم المناصب والجاه والأموال فجعلوها هدفهم فى الاختيار قد فشلوا فى حياتهم الزوجية وتبدل نعيمهم جحيما وتحول هناؤهم شقاء وانقلب عزهم ذلا وتوترت العلاقات وحل الشقاق محل الوفاق وامتلأت قلوب الفريقين بالعداوة والبغضاء والغل والحقد والكراهية نتيجة لانحرافهم عن التعاليم الإسلامية والسنة النبوية. وقد لاحظنا بعض الناس يعتقدون أن عقد

الزواج فى شـهر المحرم حرام. وهذه عقيدة باطلة وصـاحبها قد حرم ما أحل الله.

يقول صـلي الله عليه وسـلم :♂**ليس منا من أحل حراما أو حرم حلالا**▬ رواه مسلم.

فعقد الزواج فى شـهر المحرم وغيره جائز وشـهر المحرم كغيره من سائر الشـهور لا فرق بينه وبين الشـهور الأخرى فى صـحة عقد الزواج ولا يحرم عقـد الزواج إلا على من كـان محرمـا بـالحج أو العمرة.

فاتقوا الله أيها المؤمنون واتبعوا أوامر دينكم وسـيروا على سـنة نبيكم فيمـا رسـمه لكم فى زواجكم تنعموا بـالحيـاة الهنيئـة التى هى أمنيتكم وكل أمالكم.

سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم أي النساء خير؟ فقال:♂**التى تسر زوجها إذا نظر وتطيعه فيما أمر ولا تتصرف فى نفسها وماله بما يكره**▬ رواه الإمام فى مسنده.

وفى روايـة أخرى:♂**من إذا نظر إليهـا سرته. وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله**▬ رواه البخارى ومسلم.

وقد يسـأل بعض النـاس عن حكم الزواج بعقد عرفى؟ ونجيب وبالله التوفيق فنقول: هذا الزواج قد تم بعقد غير مسجل. والإسلام قد بين أن الأحكام تبنى على المصـالح المرسلة وعدم الضـرر بالفرد أو المجتمع ومعلوم أن السبب فى تسجيل عقد الزواج فى أوراق رسمية أسباب كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر..

(أولا): - خراب الذمم.

(ثانيا): - المحافظة على حقوق الزوجة.

(ثالثا): - إعلان الزواج دفعا للفتن.

(رابعا): - بناء الأسرة على أساس قويم.

ونتساءل ما هو السبب وراء اللجوء إلى الزواج العرفى؟ ونقول لا بد وأن سوء النية متوفر مهما كان السبب. لأن مخالفة الشرع والقوانين واللوائح لا بد وراءه أبواب خلفية تجر على المجتمع الدمار والفساد.

يقول رسولنا: كل بنى آدم خطاء. وخير الخاطئين التوابون..

* * *

١٩ ـ عاقبة الإعراض عن ذكر الله

الحمد لله الكبير المتعال ذى العظمة والجلال لا رب غيره ولا معبود سواه. أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله. الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير. اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين...

أيها المؤمنون... يقول الله عز وجل:{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾} [الزخرف: ٣٦].

إذا تمكن الشيطان من الإنسان. فقد يصبح الإنسان أستاذا للشيطان ويصبح الشيطان له تابعا ألم تر يا أخى ذلك الحبر الكبير من بنى إسرائيل ويدعى (بلعام بن باعوراء) بلغ من ثقة نبى الله موسى فيه أن أوفده إلى أهل مدين يدعوهم إلى عبادة الله. يقف (بلعام الحبر) مرشدا وهاديا. ويقف الشيطان منه عدوا عنيدا ومضلا وخصما لدودا. فيغرى الشيطان أهل مدين أن يقدموا له المال فى سبيل أن يكف عن هذا الكلام. فيعرضون عليه المال.. وما أدراك ما المال؟.. سلاح قتال. فالذهب له بريقه. الذى يلعب بالقلوب. والفضة لها رنينها الذى يسيل له لعاب الضعفاء. وتمكن الإغراء والإغواء من قلب (بلعام) فقبل المال وترك الدعوة وقاطع موسى. وقد سجل القران الكريم هذا الحدث ليكون فيه المثل والعبرة.

قال جل شانه:{ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾} [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

تأمل هذا المشهد الذى أورده القرآن الكريم ليكون عبرة للبشرية وذكرى لأولى الألباب. إنه نبأ الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها. قف أخى المسلم عند قوله تعالى:{فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا} فإن لهذه الكلمات أثرها الكبير ومغزاها العظيم لم يقل القرآن الكريم: **(فانفصل عنها)** أو **(فتركها)** وإنما قال:{فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا} والسلخ.. كما يقولون.. كشط الجلد عن اللحم..

فلو أن هذا الرجل انفصل عن الآيات أو تركها من الجائز أن يعود إليها يوما ولكن لفظ الإنسلاخ أفاد أن عودته إليها أصبح مستحيلا كما لا يمكن أن يعود الجلد إلى اللحم بعد سلخه.. ثم الق نظرة على قوله تعالى:{فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ} وكيف جاء العطف بالفاء.. التى تفيد الترتيب والتعقيب..

كأن الشيطان انتهزها فرصة بمجرد أن انسلخ هذا الإنسان من الآيات فاتبعه.

ثم تأمل وتدبر فى قوله تعالى:{فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ} ولم يقل فتبع الشيطان فإن فى هذا الترتيب عبرة بالغة. أي أنه لتأصل الغواية فى قلبه أصبح متبوعا والشيطان له تابعا.

ثم انتقل بعد ذلك إلى قوله تعالى:{فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ} وكيف جاء التعبير بقوله:{فَكَانَ} التى تفيد الكينونة والاستقرار كأن هذا الذى ضل استقر فى الغواية والضلال. ثم انتقل إلى الآية التى تليها وتأملها بعد أن انسلخ هذا من الآيات وبعد أن صار الشيطان له تابعا. وبعدما استقر فى الغواية. تثبت المشيئة الإلهية بعد ذلك إلى أن الله تعالى لو شاء لرفعه بالآيات. ولكن الذى حدث أنه لم يكن عنده أي استعداد لأن يرتفع بالآيات..

ورضى بالحياة الدنيا واطمأن بها. وركن إليها. ومال إلى زينتها وغرورها. دون أن يكون له ضمير يؤنبه. أو نفس تلومه.

فبين غيبة الضمير وحب الدنيا نامت النفس على هدهدة الشهوات. وذهب وازع الخوف من الله. وما أجمل هذا التركيب القرآنى فى أعلى طبقاته عندما يعبر عن الدنيا بأنها الأرض فيقول: {وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ} دون أن يقول ولكنه أخلد إلى الدنيا. وصدق القائل:

تالله لو عاش الفتى فى دهره ::: ألفا من الأعوام مالك أمره
لا يعتريه السقم فيها مرة ::: كلا ولا ترد الهموم بباله
متلذذا فيها بكل نفيسة ::: متنعما فيها بنعمى عصره
ما كان هذا كله فى أن يفى ::: بمبيت أول ليلة فى قبره

ثم انظر: كيف استحكمت حلقات الغواية حول هذا الذى سقط وهوى وكيف أحاطت به من كل جانب؟ إنه بعد أن مال إلى الأرض مطمئنا لها قلبه. اتبع هواه، وما أدراك ما الهوى؟ إنه نوازع النفس إلى مسالك الشر. وهوى النفس قد أعيا الطبيب المداوى. ومن ثم فالقرآن الكريم يحذر من اتباع الهوى. ومن طاعة من اتبع الهوى.

قال تعالى فى حق المشركين:{إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ} [النجم: ٢٣].

وقال تعالى:{إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [ص: ٢٦].

وقد قرن الله عز وجل بين غفلة القلب عن ذكر الله وبين إتباع الهوى فقال تعالى:{وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا} [الكهف: ٢٨].

ومن هذه المقدمات... آتيناه آياتنا فانسلخ منها.... فأتبعه الشيطان.... فكان من الغاوين.... ولكنه أخلد إلى الأرض.... واتبع هواه....

وإذا اجتمعت هذه المقدمات فى شخص تسلمه إلى نتيجة حتمية. فما عسى أن تكون هذه النتيجة؟ إنها الحال العجيبة التى صورها الله عز وجل فى هذا المثل..

فقال جل شأنه:{فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ} [الأعراف: ١٧٦] ولكن كالكلب فى أي حال؟ إن الكلب قد يكون أمينا لا يعرف الخيانة لسيده. ولكن هذا وأمثاله خانوا الله عز وجل. والكلب قد يؤدى دوره من حراسة دون أن يفرط فيما نيط به إليه ولكن هذا كلف بعمل فخان ما كلف به.

ومن ثم: وصف الله أهل النار بأنهم أضل من الأنعام لأنهم عطلوا الانتفاع بحواسهم وقلوبهم التى خلقها الله لهم وأنعم عليهم..

وهكذا طلاب الدنيا والساعون لها المكذبون بآيات الله الغافلون المعرضون عن ذكره..

هم دائما فى تعب. فى ليلهم ونهارهم. وصحتهم ومرضهم وغناهم وفقرهم.

إن أعطوا فى الـدنيـا طلبوا المزيـد. وان لم يعطوا منهـا حزنوا وابتأســوا وغزا الهم والنصــب والوصــب نفوســهم. لو كان لأحدهم واديان من مال لابتغى ثالثا لأن جوفه لا يملؤه إلا التراب.

ومن هنـا جاءت النصــــيحة الغالية التى يوجهها العلى العظيم فى حديثه القدسى الجليل:

♂ابن آدم عنـدك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك. لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع▬.

آخى المســلم: إذا كنت معافى فى بدنك. آمنا في ســـربك. عندك قوت يومك. فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

النفس تجـــزع أن تكون فقيـــرة ::: والفقر خير من غنى يطغيهـــــا
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت ::: فجميع مـا فى الأرض لا يكفيهـا

ويقول رســول الله صــلي الله عليه وســلم :**♂إن هذه الدنيا حلوة خضرــة وإن الله مســتخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء▬** رواه البخارى ومسلم.

ويقول:**♂من أخـذ المـال بســخـاوة نفس بورك لـه فيـه. ومن أخـذه باستشراف نفس لم يبارك له فيه. وكان كالذى يأكل ولا يشبع▬** رواه مسلم.

إذا كـان ميزان النـاس مبنيـا على كثرة المال والعرض فهو ميزان مختل ومعيار معكوس لا يمكن أن تقوم به قيم ولا ترجح به كفة.

ثم إذا نظر الناس إلى المال وحده وجعلوه المعيار لقيم الناس فهذا الحكم غير صحيح لأن المعيار الحق فى تقوى الله عز وجل وإن كان الإنسان فقيرا.

فقد مر رجل غنى على رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم فقال الرسـول لأصـحابه: ♂**ما تقولون فى هذا؟**▬.. قالوا: يا رسـول الله هو حرى إذا شفع أن يشفع. وإذا خطب أن ينكح. وإذا قال أن يستمع إليه. ثم مر رجل فقير معروف بتقواه فقال الرسـول صـلي الله عليه وسـلم لأصـحابه: ♂**وما تقولون فى هذا؟**▬.. قالوا: يا رسول الله هو حرى إذا شـفع ألا يشـفع. وإذا خطب ألا ينكح. وإذا قال ألا يسـتمع إليه. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: ♂**والله إن هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا**▬ رواه البخارى ومسلم.

ما أعدل قولك يا رسـول الله: يا صـاحب الخلق العظيم. ويا صـاحب القلب الرحيم. يا رافع لواء الوحدانية عاليا. شـتان بين قول الحق وبين نظرة الناس بعضـهم إلى بعض. فالمعروف عند الناس والمشـهور لديهم أن الدنيا إذا أقبلت على أحد خلعت عليه محاسـن غيره. فإذا أعرضت عنه سلبته محاسن نفسه.

يذل غنى النفس إن قل ماله.. ويغنى غنى المال وهو ذليل وهذه عبر فى ساحة الإسلام عرفناها. والأمثال والعبر والقصص ليست قاصرة على أحد بعينه. وإنما الحكم شامل وعام لكل من توافرت فيه هذه المشـخصـات ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى:{فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ } [الأعراف: ١٧٦].

يقول رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: ♂**البر لا يبلى. والذنب لا ينسى. والديان لا يموت. اعمل ما شئت كما تدين تدان**▬.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

٢٠ ـ شكر المنعم

الحمد لله الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة. وأكرم بفضله ومحبته كل من نظم عمله فأحكمه وأتقنه. كذلك يجزى الله الشاكرين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر الناس بشكره على نعمه. ووعد الشاكرين لأنعمه بالبركة والزيادة فى الرزق والفضل والثواب. وأوعد الجاحدين لنعمه بالسحق والدمار وشدة العذاب. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله إمام المتقين وسيد الشاكرين وصفوة خلق الله أجمعين. اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين أدركوا نعم الله فشكروا الله عليها شكرا يحبه ويرضاه. ففازوا بما أعده الله من الجزاء للأتقياء الشاكرين.

أما بعد.. فيا عباد الله.... قال الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين:{فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢} [البقرة: ١٥٢].

أيها المؤمن. إذا أسدى إليك إنسان معروفا ثم أمرك بأمر فماذا يكون موقفك من هذا الإنسان؟ الجواب الحق: أنك ستحاول بقدر استطاعتك أن تنفذ أمره. فما بالك بالإله الخالق المنعم البارئ الذى غمرك بفضله ونعمه. فكل ما تشعر به من نعم فى جسمك وصحتك ورزقك وحياتك وأولادك ووطنك فهو من الله.

ونعم الإله عليك كثيرة لا تحصى. قال تعالى:{وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ} [النحل: ١٨].

هذا الإله الذى غمرنا بنعمه الظاهرة والباطنة يأمرنا فى هذه الآية الكريمة أن نذكره ونتذكر نعمه علينا وأن نشــكره عليها. ونهانا عن الكفر بنعمه وحذرنا من جحودنا لها. ثم بين لنا أن الشــاكر هو الذى ينتفع وحده بفوائد شكره وبين أنه غنى عن شكر الشاكرين.

وقال ســبحانه:{ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ } [الزمر: ٧].

ووعد الشاكرين بالزيادة فى أرزاقهم وأوعد الجاحدين لنعمه بشدة العذاب قال تعالى:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧].

وحين وصى الإنسان بالإحسان إلى والديه أمره بشكره فقال:{أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ } [لقمان: ١٤]. وهكذا نرى القرآن الكريم يحثنا على الشكر ويرغبنا فيه.

فما معنى الشــكر الذى يريده الله عز وجل؟ إن الناس يقولون بألسنتهم نشكرك يارب. والله عز وجل يقول:{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ } [سبأ: ١٣].

إذا يكون المقصود بالشكر شيئا آخر غير النطق باللسان والمعنى الحقيقى هو أن نوجه كل نعمة أنعم الله بها علينا إلى ما خلقنا الله لأجله ابتغاء رحمة الله ورضــوانه وهذا المعنى هو المراد بقول الله{وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ } [القصص: ٧٧].

أي اطلب بكل نعمة من نعم الله عليك ثواب الدار الآخرة.

فإذا أنعم الله عليك بنعمة المال وأردت أن تشــكره عليها. فمعنى الشكر أن تؤدى زكاة مالك وأن تنفق من الفائض منه بعد حاجة

أســـرتك فى وجوه البر والخير ومعاونة الفقراء والمحتاجين وتنفيس الكربات عن المكروبين.

أما من يمتنع عن أداء زكاة ماله أو يبخل به على الفقراء أو ينفقه فيمـا حرم الله كـالزنـا والخمر والمخـدرات والقمـار وغير ذلـك من المحرمـات فهو من الـذين يعرفون نعمـة الله ثم ينكرونهـا وأكثرهم الجاحدون...

وإذا أنعم الله عليك بنعمة العقل وأردت أن تشكره عليها فاستعمل عقلك فى التفكير فيما يصــلح شــأنك وشــأن وطنك وفى آيات الله فى الكائنات لتعرف كمال قدرته..

أما الذين يتلفون عقولهم بتناول المخدرات الســامة الفتاكة بـالعقول كـالخمر والحشـــيش والـذين يفكرون بعقولهم فى إيذاء النـاس وإلحـاق الضـــرر بهم فهم من الـذين يعرفون نعمـة الله ثم ينكرونهـا وأكثرهم الجاحدون..

وإذا أنعم الله عليك بنعمة النسل وأردت أن تشكره عليها فعليك أن تربى أولادك تربية دينية قويمة وأن تنشـأهم نشـأة أخلاقية كريمة وأن تجعل هذه التربية الدينية بمثابة تحصـــين لهم من مســاوئ الأشـــرار المفسدين حتى يصلوا إلى سن الرجولة بالتوجيه والرعاية فإذا كبروا لا يكونون فريسة ومرتعا خصبا لعقائد الملحدين وأفكار المضللين.

يقول رسول الله صـلي الله عليه وسـلم :♂**يولد الإنسان على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه**▬ رواه البخارى ومسلم.

وكـذلـك الـذين يتركون أولادهم بلا تربيـة ولا رعـايـة ولا تـأديـب فنراهم يجنون عـاقبـة الإهمـال ومخـالفة الشـــرع فى الدنيا وســـوف يسألون بين يدى الله يوم القيامة.

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الجاه وأردت أن تشـــكر الله على هذه النعمة فعليك أن تخفض جناحك لمن حولك من المســـتضـــعفين وأن تســـتغل جاهك فى قضـــاء حوائج الناس ابتغاء وجه الله بحيث تكون كعبة آمالهم ومحط رحالهم لقول الرسول صلي الله عليه وسلم :♂خير **الناس أنفعهم للناس**▬ رواه البخارى ومسلم..

وقوله:♂**خيركم خيركم لأهله**▬ رواه البخارى ومسلم.

وقوله:♂**خيركم من قضـيـت حوائج الناس على يده**▬ رواه البخارى ومسلم.

ويجب عليك أن تقربهم منك وأن تحسن لقاءهم. أما الذين يغترون بالجاه وتمتلئ قلوبهم ونفوســـهم بالكبر والغرور والزهو ويترفعون على الناس ويعيشـون لأنفســهم فهؤلاء من الجاحدين لنعم الله وما هم بشاكرين..

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الصـحة وأردت أن تشـكره عليها فعليك أن تستعين بها على طاعة الله وعبادته والسعى على رزقك من طريق حلال. وتغيث الملهوف وتنصـر المظلوم وتأخذ بيد الضـعيف وتخدم وطنك بالدفاع عنه والعمل على رفع مســتواه والجهاد فى ســبيل الله والوطن. أما الذين يضـــيعون صـــحتهم وقوتهم فى إيذاء الناس والإضـــرار بهم ويحجمون عن خـدمتهم ويمتنعون عن معـاونـة المنكوبين ونصـــرة المظلومين وإغاثة الملهوفين فهؤلاء الجاحدون لنعم الله وما هم بشاكرين.

وإذا أردت أن تشـــكر الله على نعمته عليك بوجودك فى الدنيا فعليك أن تتفانى فى عبادة الله فقد خلقك الله لأجلها قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات: ٥٦].

وأن تستعمل كل جوارحك فيما يرضى الله عز وجل...

أما الذين يؤذون الناس بألسنتهم بالغيبة والنميمة أو بأعينهم ليتتبعوا عوراتهم أو بأى عضو من أعضائهم فهؤلاء هم الجاحدون لنعمة الله وما هم بشاكرين.

فاتقوا الله أيها المؤمنون واشكروا الله على نعمه امتثالا لأمره كى تفوزوا بما أعده الله من حسن الجزاء للشاكرين. واحذروا كفران النعمة كى تنجوا من الوعيد الذى أعده الله للجاحدين.

يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم فى حديثه:♂**لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه. وعن شبابه فيم أبلاه. وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وعن علمه ماذا عمل به▬** رواه البخارى.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**البر لا يبلى. والذنب لا ينسى. والديان لا يموت. إعمل ما شئت كما تدين تدان▬..**

* * *

٢١ ـ آداب الصحبة

الحمد لله الذى جعل الأخلاق الفاضلة للمؤمنين شعارا. وجعل طريقها للراغبين فى المجد مثابة ومنارا. وجعل التخلق بأهدافها نبلا وشرفا وكرامة وفخرا....

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأخلاق الفاضلة فى أية أمة سببا فى بقائها وعزها ومجدها. كما جعل ضياع الأخلاق فى أية أمة سببا فى ضياعها وشقائها واضمحلالها. لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله شهد له ربه فقال فى كتابه الكريم:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [القلم: ٤].

اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين تخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه ففازوا بالفضل والرضوان والنعيم المقيم...

أما بعد...

فيا عباد الله... قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:{وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾} [النساء: ١١٥].

أيها المؤمنون.... إن سبيل المؤمنين هو الأخلاق الفاضلة التى هى مصدر الخير كله فمن عرف هذا وسلك سبيلا غيره مندفعا وراء شهواته وأهوائه فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير..

فضل الألفة والأخوة:

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر.

وحسن الخلق مدح الله عز وجل به نبيه عليه الصلاة والسلام إذ قال:♂**وإنك لعلى خلق عظيم**▬ وقال صلي الله عليه وسلم :♂**أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق**▬ قال أبو هريرة:♂**يا رسول الله وما حسن الخلق؟ تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك. وتعطى من حرمك**▬ رواه البخارى.

وقد ورد فى الثناء على النفس المطمئنة إذا كانت الرابطة هى التقوى والدين والمحبة فى الله قال تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة:{لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} [الأنفال: ٦٣].

ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل:{ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا } [آل عمران: ١٠٣].

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويألفون**▬ رواه مسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**▬ رواه مسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**فى الثناء على الأخوة فى الدين من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه**▬ رواه البخارى ومسلم.

المتحابون فى الله:

يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**ينصب لطائفة من الناس كراســى يوم القيامة حول العرش وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال هم المتحابون فى الله**▬ رواه مسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**ما تحابا اثنان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه**▬ رواه البخارى ومسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى**▬ رواه أحمد.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل. وشاب نشأ فى عبادة ربه. ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه. ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**▬ رواه مسلم.

قال صلي الله عليه وسلم :♂**ما زار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة**▬ رواه الترمذى.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**إن رجلا زار أخا له فى الله فأرصد الله له ملكا سأله إلى أين؟ قال: أريد أن أزور أخى فلانا فقال: لحاجة لك عنده؟ قال: لا. قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا. قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا. قال: فبم؟ قال: أحبه فى الله. قال: فإن الله أرسلنى إليك لأخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة**▬ رواه البخاري.

بيان الصفات الواجبة فيمن تختار صحبته:

واعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان. قال صلي الله عليه وسلم :♂**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**▬ رواه مسلم.

فإذا أردت أن تتخذ لك صديقا فانظر فى أمره فان كان على خلق حسن فاتخذه خليلا وإذا كان ذا خلق سيئ فابتعد عنه ولا تصحبه. وينبغى أن تتوفر تلك الخصال فيمن تؤثر صحبته (أن يكون عاقلا. حسن الخلق. غير فاسق. وأن لا يكون مبتدعا. ولا حريصا على الدنيا)

ولا خير فى صحبة الأحمق قال الإمام على رضى الله عنه: -

لا تصحب أخا الجهل ::: وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ::: حليما حين آخاه

قال حكيم: لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك فى النوائب ويؤثرك بالرغائب..

وقال الإمام على رضى الله عنه:

إن أخاك الحق من كان معك ::: ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ::: شتت فيك شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء: -

لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك. ورجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك. والثالث تهرب منه.

وقال جعفر الصادق رضى الله عنه: -

لا تصـــحب خمســـة: الكذاب فـإنك منه على غرور وهو مثل الســـراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب. والأحمق لســـت منه على شـــيء يريد أن ينفعك فيضـــرك. والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه. والجبان فإنه يسـلمك ويفر عند الشـدة. والفاسـق فإنه يبعك بـأكلـة. فإن لم يجد رفيقا يؤاخيه ويســـتفيد به فالوحدة خير من جليس السوء

قال أبو ذر رضـــى الله عنه: - الوحدة خير من الجليس الســـوء والجليس الصالح خير من الوحدة..

قال لقمان: - يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض بالماء..

الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته:

الـدعـاء للأخ فى حيـاتـه وبعـد ممـاتـه بكل ما يحبه لنفســـه ولأهله فتدعو له كما تدعوا لنفسك ولا تفرق بين نفسك و بينه فإن دعاءك له دعاء لنفسك.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**إذا دعا الرجل لأخيه. بظهر الغيـب قـال الملك ولك مثل ذلك▬** رواه البخارى ومســـلم.. ويقول عليه الصـلاة والسـلام:♂**مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شـىء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب▬** رواه مسلم.

وإنـه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال.

وقـال بعض الســـلف: - الـدعـاء للأموات بمنزلـة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور فيقول: - هذه هدية لك من عنـد أخيـك فلان أو من عنـد قريبـك فلان فيفرح كمـا يفرح الحى بالهدية.

الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت وبعد الموت مع أصدقائه وأولاده فإن الحب إنما يراد للآخرة قال عليه الصلاة والسلام:♂**فى السبعة الذين سيظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه▬** رواه البخارى.

ولذلك روى أنه صلي الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال:♂**إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين▬**.

ومن الوفاء أن لا تتغير حالة التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فيا أيها الآباء: - نشؤوا أبناءكم على الأخلاق الفاضلة وحصنوهم من الانحراف كما تحصونهم من الأمراض ووجهوهم إلى اختيار الأصدقاء الأخيار لتدوم الأخلاق الفاضلة شعارا لهم واعلموا أنكم مسؤولون عن تربيتهم ورعايتهم وتوجيههم فإن فرطتم وانحرف الأولاد عن الخلق الفاضل فأنتم المسؤولون عن ذلك.

قال صلي الله عليه وسلم :♂**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق▬** رواه البخارى.

وقد جعل النبى الدين والخلق الفاضل فى اختيار الأزواج أساسا حيث قال:♂**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير▬** رواه البخارى.

فاتقوا الله أيها المؤمنون واسلكوا سبيل المؤمنين كى تحشروا معهم لأن المرء يحشر مع من أحب وتخلقوا بأخلاق نبيكم تحققوا المجد لأمتكم فإن الأخلاق الفاضلة هى الركن الوحيد الذى يبنى عليه مجد الأمم وكمالها:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيــــت ::: فـان هم ذهبـت أخلاقهم ذهبوا
صـــلاح أمرك للأخلاق مرجعـه ::: فقوم النفس بالأخلاق تســتقــــم
وإذا أصــيب القوم فى أخلاقهـــم ::: فأقم عليهم مأتمـــا وعويــــلا

يقول صـلوات الله وسـلامه عليه:♂**أنا زعيم بيت فى الجنة لمن حســن خلقه**▬ رواه البخارى.

وقال عليه الصـــلاة والســـلام:♂**وخالق الناس بخلق حســـن**▬ رواه البخارى.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم. وإن الله يعطى الـدنيـا لمن يحـب ولمن لا يحـب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب**▬ رواه البخارى.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٢٢ ـ فضل شهر رجب

الحمد لله الذى جعل السنة اثنتى عشر شهرا منها أربعة حرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى أفرده الله وحده وجعله موسما للخيرات ومغنما للسعادة وغنيمة للصادقين.

فسبحانه من إله تفرد بالوحدانية فى ذاته وصفاته وأفعاله ليس كمثله شىء وهو السميع البصير..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المولى القدير.. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بين لأمته ما يصلح أحوالها وأسس قواعد الدين فهو الشفيع فيمن يصلى عليه ومن أكثر من الصلاة عليه فاز بدار السلام صلى الله عليه وعلى آله السادة الكرام..

أما بعد...

قال تعالى:{ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦} [التوبة: ٣٦].

اعلموا إخوانى وفقنى الله وإياكم لطاعته أن الله جل ذكره وتقدست أسماؤه فضل الأوقات بعضها على بعض لحكم كثيرة منها: أن سائر الأمم كان لهم عمر طويل وعمل كثير فأراد الله تعالى أن تكون أمة رسوله وخاتم أنبيائه سابقة عليهم فأعطاها أياما وليالى لها قدرها لتسبق إلى الخيرات..

وقد قال جل وعلا:

{ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا } [التوبة: ٣٦].

والمراد والله أعلم أن حساب الشهور التى وجبت فيها الزكاة اثنا عشر شهرا فى كتاب الله أي اللوح المحفوظ:{يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} [التوبة: ٣٦]، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب لا يحل فيهن القتل والغارة..

{ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ} [التوبة: ٣٦]، ذلك العدد والحساب الصواب لوجوب الزكاة والصدقات:{فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ} [التوبة: ٣٦] بالغارة والقتل فى هذه الأشهر الأربعة الحرم{وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً} [التوبة: ٣٦].

أي: كما يحاربونكم جميعا:{وَٱعْلَمُوٓا۟} [التوبة: ٣٦]، معاشر المجاهدين:{أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٣٦]، أي: ناصر المتقين الذين اتقوا الجهاد فى هذه الأشهر الأربعة الحرم. وهذا كان فى ابتداء الإسلام ثم نسخ تحريم القتال فى الأشهر الحرم..

وقال تعالى:{ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: ٢١٧]

وكان المشركون فى الجاهلية يعظمون حرمة رجب ويكفون عن القتال فيه فلما بعث النبى صلي الله عليه وسلم وخرجت سارية إلى بطن نخل قبيل وقعة بدر بشهرين حيث أن قافلة لقريش هناك وقد أمر الرسول بأخذها وكان ذلك فى أواخر جمادى الثانية واستهل عليهم شهر رجب ولم يعلموا فقاتلوا المشركين فى أول يوم من رجب فبعث المشركون إلى رسول الله يعيرون المسلمين بذلك ويقولون: إنكم قد استحللتم القتال فى الشهر الحرام فأنزل الله تبارك وتعالى:{ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} [البقرة: ٢١٧].

أي: يسـألونك عن القتال فى رجب قل للمشـركين صـدكم الناس عن سـبيل الله وإخراجكم أهل الحرم بكثرة الأذى أكبر إثما عند الله من القتال فى رجب.

كانوا فى الجاهلية يكفون عن القتال فى شـهر رجب فكيف لا يحفظ المسـلمون ألسـنتهم ويكفون عن الخوض فى الأعراض فإن اللسان فى بعض المواضع أحد من السيف القاطع.

ولهذا قال سفيان الثوري: (لأن ترمى إنسانا بسهم أهون من أن ترميه بلسانك فإن السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه). وقد قيل:

احفظ لسـانك واسـتعذ من شـره ::: إن اللسـان هو العدو الذابـح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس ::: وزنا يلوح به الصـواب اللائح

قال الحكماء فى الاستنباط المليح للعدد أربعة:

الأشـهر الحرم أربعـة: (ذو القعدة. وذو الحجة. والمحرم. ورجب).

وأخيار الملائكة أربعـة: (جبريل. وميكائيل. وإسـرافيل. وعزرائيل).

وأفضـل الكتـب أربعـة: (التـوراة. والإنجيـل. والزبـور. والفرقان).

وأعضـاء الوضـوء أربعـة: (الوجـه. واليـدان. والـرأس. والرجلان).

وكلمات التسبيح أربعة: (سبحان الله. والحمد لله. ولا إله إلا الله. والله أكبر).

والحساب أربع: (آحاد. وعشرات. ومئات. وألوف).

والأوقات أربعة: (الساعة. واليوم. والشهر. والسنة).

وفصـــول الســـنة أربعـــة: (الربيـــع. والصـــيف. والخريـــف. والشتاء).

والطبائع أربعـة: (الحرارة. والبرودة. والرطوبة. واليبوسة).

والخلفاء الراشدون أربعة: (أبو بكر. وعمر. وعثمان. وعلى).

وزين الله الأنبياء بأربعة: (الخليل. والكليم. والروح. والحبيب).

وزين السماء بأربعـة: (العرش. والكرسي. والجنة. والملائكة).

وزين الأرض بأربعـة: (الأنبياء. والعلماء. والشهداء. والأولياء).

وزين النفوس بأربعـة: (الوضوء. والصلاة. والصوم. والحج).

وزين القلب بأربعـة: (المعرفة. والعلم. والعقل. والتوحيد).

وزين الأعضاء بأربـع: (العين. والأذن. واليد. والرجل).

ويرسل الله عز وجل عند موت الإنسان أربعة يقدمون على رأس قبره ينادى أحدهم ويقول: انقضـــت الآجال وانقطعت الآمال. وينادى الثانى ويقول: ذهبت الأموال وبقيت الأعمال. وينادى الثالث ويقول: زال الاشـتغال وبقى الوبال. وينادى الرابع ويقول: طوبى لك إن كان مطعمك من الحلال وكنت مشغولا بخدمة ذى الجلال وقيل: إن رجب اسـم لنهر فى الجنة ماؤه أشـد بياضـا من اللبن وأحلى من العسـل لا يشرب منه إلا من صام فى شهر رجب.

قال النبى صـلي الله عليه وسلم :♂**رجب شـهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى)** رواه مسلم.

وقيل:♂**من صام أياما من شهر رجب تقربا إلى الله عز وجل لم يسأل الله شـيئا إلا أعطاه. واسـتوجب رضوان الله. وجعل الله بينه وبين النار حجابا. وعوفى من البـلايا▬** رواه مسلم.

يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم▬** رواه الترمذي.

فيا أيها المؤمنون: -

إن أردتم الفوز والنجاة والرضا والعفو والمغفرة وستر العيوب وتفريج الكروب فعليكم بطاعة الله عز وجل والتقرب إليه بما يرضيه عنكم وخاصة بكثرة الصيام والقيام بالليل والناس نيام لتذكروا الواحد الديان وتندموا على ما سلف من الذنوب والآثام واعلموا أن لله عز وجل فى أيامه نفحات فاغتنموها فها هو شهر رجب ويأتى بعده شعبان ثم رمضان بما فيه من العطاء الربانى وغير ذلك من النفحات الإلهية التى من الله علينا بها رحمة وكرما وقد روى أن أربعة تخفف عذاب القبر:♂**قراءة القرآن فى كل زمان. وإكرام اليتيم فى كل مكان. وصوم أيام البيض وخاصة فى رجب وشعبان. والصلاة فى جوف الليل تنور القلب وتورث رضا الرحمن▬.**

وقد ورد: -♂**إذا صام أحدكم من الشهر ثلاثا فليصم ثالث عشرة ورابع عشرة وخامس عشرة▬** رواه البخارى ومسلم.

والحسنة بعشر أمثالها فيكون اليوم بعشرة أيام أي أنه صام الشهر كله ثوابا من عند الله.

وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس ويقول: -

♂**تعرض الأعمال على الله يوم الاثنين والخميس وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم▬**رواه البخارى ومسلم.

فيا أيها المؤمنون كم من إنسان أدرك رجب ولم يدرك شعبان وكم من إنسان أدركهما ولم يدرك رمضان فلا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ. ولا قدر الصحة إلا المرضى ولا قدر الغنى إلا الفقراء ولا قدر الحياة إلا الموتى.

فعليكم بالتوبة وكثرة الصيام فى شهر رجب والندم على ما سلف واحرصوا على العمل الصالح قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله.

فبادروا بالأعمال الصالحة. هل تنتظرون إلا فقرا منسيا. أو غنى مطغيا. أو مرضا مفسدا. أو هرما مفندا. أو الدجال فشر غائب ينتظر. أو الساعة والساعة أدهى وأمر

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

٢٣ ـ الإسراء والمعراج

الحمد لله على نعمه التى لا تستطيع الخلائق لها حصرا. وأستزيده من فضله دنيا وأخرى وأشكره والشكر بالزيادة أحرى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا ذخرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. نزه الله عمله عن الضلال والغواية فقال:{مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَىٰ ﴿٢﴾} [النجم: ٢]. ونزه نطقه عن الهوى... فقال:{ وَمَايَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾} [النجم: ٣]. ونزه فؤاده عن الكذب... فقال:{مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَارَأَىٰٓ ﴿١١﴾} [النجم: ١١]. ونزه بصره عن الزيغ والطغيان.. فقال:{ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ ﴿١٧﴾} [النجم: ١٧].

أكد الله سبحانه وتعالى ذلك كله وأقسم عليه ولا ريب أنه ثناء من رب العزة على رسوله صلي الله عليه وسلم اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد...

فيا عباد الله... قال الله عز وجل فى كتابه الكريم:{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾} [الإسراء: ١].

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: أتى جبريل عليه السلام بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة فى الحلقة التى يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بى إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت؟ قال جبريل، قال:

ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرســل إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرســـل إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيســى فرحبا بنا ودعوا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى الســماء الثالثة فاســتفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بيوســف عليه الســلام وإذا هو قد أعطى شــطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير..

ثم عرج بنا إلى الســماء الرابعة فاســتفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد أرســـل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير..

ثم عرج بنا إلى السماء الخامســة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم: ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الســابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: قد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه الســلام وإذا هو مســتند إلى البيت المعمور فرحب بى ودعا لى بخير. ثم ذهبت إلى ســدرة المنتهى فإذا أوراقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالغلال..

فلما غشيها من أمر الله ما غشيها فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها. قال: فأوحى الله إلى ما أوحى وقد فرض على فى كل يوم خمسين صلاة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى قال ما فرض الله على أمتك؟ قلت: فرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك وإنى قد خبرت بنى إسرائيل.

قال: فرجعت إلى ربى فقلت: ربى خفف عن أمتى فحط عنى خمسا. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فعلت؟ فقلت حط عنى خمسا فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا حتى قال: يا محمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة الصلاة بعشر فتلك خمس فى العمل وخمسون فى الأجر والثواب، ما يبدل القول لدى. ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لا يكتب عليه شيء فإن عملها كتبت سيئة واحدة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى وأخبرته فقال: ارجع إلى ربك واسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**لقد رجعت إلى ربى حتى استحييت**▬. ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبى وروحه عليه الصلاة والسلام وفى رواية ابن مسعود: ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين وهم ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ جبريل بيدى فقدمنى فصليت بهم. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى**▬، فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عزبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. (رواه البخارى ومسلم).

وللحديث بقية نكمله إن شاء الله فى خطبنا القادمة...

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

* * *

٢٤ ـ بعض المرائى التى رآها رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج

الحمد لله على نعمه التى لا تستطيع الخلائق لها حصرا و أستزيده من فضله دنيا وأخرى وأشكره والشكر بالزيادة، أخرى.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا زخرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقد:

١- نزه الله علمه عن الضلال:{مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ}.

٢- وعلمه عن الغواية:{وَمَاغَوَىٰ}.

٣- ونطقه عن الهوى:{وَمَايَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ}.

٤- وفؤاده عن التكذيب:{مَاكَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَارَأَىٰٓ}.

٥- وبصره عن الزيغ:{مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ}.

٦- وعن الطغيان:{وَمَاطَغَىٰ} [الآيات من سورة النجم].

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد فيا عباد الله: إن موضوع خطبة الجمعة اليوم بعض المشاهد التى شاهدها رسول الله ليلة الإسراء والمعراج:

(١) مر رسول الله على قوم يزرعون ويحصدون فى كل يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام: ما هذا؟

قال: هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.

(٢) ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: ما هذا يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين تثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة

(٣) ثم أتى على قوم على أقبلاهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال: ما هؤلاء؟

قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد.

(٤) ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيح فى قدر ولحم نيئ خبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيح، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟

قال: جبريل، هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى أمرآة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح و المرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح. رواه البخارى ومسلم.

(٥) ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها..

(٦) ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

(٧) ثم رأى رسول الله صلي الله عليه وسلم نهرا من دم يفور كفوران المراجل وعلى حافتى النهر ملائكة بأيديهم نار كلما طلع طالع قذفوه بها فتقع فى فيه فيشتعل إلى أسفل ذلك النهر.. فلما سأل رسول الله عنهم قيل له أولئك الذين أكلوا الربا فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار.

(٨) ثم أتى على واد توجد فيه ريح طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: رب آتنى ما وعدتنى فقد كثرت غرفى واستبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلؤى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى وعسلى ومائى ولبنى وخمرى. قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ولم يتخذ من دونى أندادا ومن خشينى فهو آمن ومن سألنى أعطيته ومن أقرضنى جازيته ومن توكل على كفيته إننى أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد. قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين. قالت قد رضيت.

(٩) ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا نتنة. فقال ما هذا يا جبريل؟

قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتنى ما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغساقى وعذابى وقد اشتد حرى. قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب قالت: قد رضيت.

(١٠) وانطلق الرسـول والأمين جبريل فشـم الرسـول فى مسـراه رائحة طيبة فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه رائحة ماشـطة بنـت فرعون وأولادهـا. بينمـا كـانـت تمشـــط بنـت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت: بسم الله تعس فرعون. فسألتها ابنة فرعون أولك رب غير أبى؟ قالت: نعم. قالت: أو أخبر بذلك أبى؟ قالت: نعم. فأخبرته. فدعاها وسـألها: أولك رب غيرى؟ قـالـت: نعم ربى وربـك الله. وكـان للمرأة زوج وثلاثة أولاد أصـغرهم رضـيع فأحضـرهم جميعا وطلب من المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا. فقال: إنى قاتلكما.

فقـالـت: إن قتلتنـا فـاجعلنـا فى مكـان واحـد. فـأمر ببقرة من نحاس فـأحميت بزيـت ثم أمر بهم فـألقوا فيهـا واحـدا بعـد واحـد حتى بلغ الرضـيع وكانت أمه تحمله نظرت إلى الرضـيع وتلكأت شـفقة وحنانا وعطفا والدموع تنهمر على خديها فإذا بالرضـيع ينطقه الله عز وجل ويقول لأمه: تقدمى ولا تقاعسـى فإنك على الحق فكان هذا الرضـيع ممن تكلموا فى المهد. إن الشـهداء لهم رائحة طيبة زكية تستمر حتى يوم القيـامة وهم أحياء عند ربهم يرزقون فى رياض الجنة. وعن ابن مسـعود رضـى الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم :♂**لقيـت الخليـل إبراهيم عليه السـلام ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السـلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة وأنها قيعان وأن غراسـها سـبحـان الله والحمـد لله ولا إلـه إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بـالله العلى العظيم**▬. أخوة الإسـلام والإيمان سـنكمل فى اللقاء القادم باقى المشاهد. أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم رواه البخارى ومسلم.

* * *

٢٥ ـ بقية المرائى التى رآها رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج

الحمد لله الكبير المتعال. ذى العظمة والجلال. لا رب غيره ولا معبود سواه. أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره. وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. وأسأله العافية من كل داء والنجاة من كل بلاء. إنه سميع قريب مجيب الدعاء. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا وعظيمنا سيد المرسلين وقائد المجاهدين صلي الله عليه وسلم..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا زخرا.

أما بعد.. فإن موضوع خطبة الجمعة اليوم.. هو استكمال المشاهد التى شاهدها رسول الله ليلة الإسراء والمعراج. فقد رأى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقال: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده شيء والمقترض لا يقترض إلا من حاجة.

ورأى رسول الله صلي الله عليه وسلم الجنة من درة بيضاء وإذا فيها قباب اللؤلؤ فقال: يا جبريل إنهم يسألوننى عن الجنة فقال: أخبرهم أنها قيعان وأن ترابها المسك. وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم صوتا خفيا فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت بلال المؤذن. ثم سار فإذا هو بأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وبينما هو يسير إذا بنهر على حافتيه قباب الدر المجوف وإذا طينه مسك أزفر فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر.

ثم عرضـــت عليه جهنم نســتعيذ بالله منها فإذا فيها غضـــب الله وزجره ونقمتـه لو طرحـت فيهـا الحجـارة لأحرقتهـا ولو طرح فيهـا الحديد لأذابته وإذا فيها قوم يأكلون الجيف فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس...

ورأى الرســول صــلي الله عليه وســلم مالك خازن النار فإذا هو عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدأ النبى بالسلام.

ثم رفع الرســول إلى ســدرة المنتهى إلى جنة المأوى إذ يغشـــى السـدرة ما يغشـى ما زاغ البصـر وما طغى عند ذلك رأى من آيات ربـه الكبرى نظر بـالنور الـذى قواه من غير إدراك ولا إحـاطـة فردا صـمدا لا فى شـىء ولا من شىء ولا على شىء ولا قائما بشىء ليس كمثله شــىء من غير أين ولا كيف فخر النبى سـاجدا وألقى بالتحيات المبـاركـات فقـال الله عز وجل لحبيبـه: لبيك تكلم وســـل فقـال عليـه الصــــلاة والســــلام:♂**اتخـذت إبراهيم خليلا. وكلمت موســى تكليما. وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد. وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده وسخرت له الجن والشياطين وسخرت له الرياح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب. وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك وأعذته وأمه من الشــيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل▬** رواه البخارى ومسلم.

فقال له سبحانه وتعالى:

(قد اتخذتك حبيبا وأرســـلتك إلى النـاس كـافة بشــــيرا ونذيرا. وشــرحت لك صــدرك ووضــعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معى. وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس. وجعلت أمتك وســـطا. وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون. وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى. وجعلتك آخر

النبيين بعثا وأولهم يقضى له. وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام. والهجرة. والجهاد. والصلاة. والصدقة. والصوم. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وجعلتك سيد المرسلين. وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. ما أعظم هذا التكريم لرسولنا وحبيبنا ومصطفانا محمد صلي الله عليه وسلم. ومع الصباح أخبر قومه بأنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

فكان القوم بين مصدق ومكذب وكان المثل الأعلى فى التصديق هو سيدنا أبو بكر رضى الله عنه حينما أعلن فى غير تردد ولا فتور لئن كان قاله فقد صدق إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه هذا الإيمان المطلق بالرسول الذى جعل الرسول يطلق على أبى بكر رضوان الله عليه (الصديق)...

ثم طلب القوم من رسول الله أن يصف لهم بيت المقدس ومنهم من كان قد سافر إليه. فوصفه لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم. وكانت العطية والمنحة والفريضة من الله عز وجل لرسوله وأمته أن فرض الصلاة وجعلها الصلة بينه وبين عبده رواه البخارى ومسلم

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء**▬ رواه مسلم.

... أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم...

* * *

٢٦ ـ الصلاة وثمراتها

الحمد لله الذى أنار قلوب المؤمنين بالصـلاة وجعل الخشـوع فيها خير طريق يوصــل المؤمنين إلى الفوز برحمة الله إن الله لذو فضــل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له شـرف العبد بالوقوف أثناء صـلاته بين يدى خالقه ومولاه ليتفرغ إلى ربه بما يهذب نفسـه، ويبعده عن الفحشــــاء والمنكر ابتغاء رضـــوان الله، إن الله يعلم مـا تسـرون وما تعلنون وأشـهد أن محمداً عبده ورسـوله وصـفيه وخليله فرضت الصلاة على أمته فى شخصه من فوق سبع سموات وجعلت فرضـيتها على المكلفين من المؤمنين والمؤمنات وكانت الصـلاة أول فريضـة أداها رسول الله صلي الله عليه وسلم من بين جميع العبادات أرســـلـه الله بـالهدى ودين الحق ليظهره على الـدين كلـه ولو كره المشركون اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا النور الذى أُنزل معه أولئك هم المهتدون..

أما بعد فيا عباد الله...

قـال الله تعـالى وهو أصـــــدق القـائلين:{وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا} [المزمل: ٢٠].

أيهـا المؤمنون بـدأت هذه الآيـة الكريمـة بمطـالبـة المؤمنين بـأداء فريضـــتين عظيمتين همـا من أقدس أنواع العبادات وهما الصـــلاة والزكاة..

فالصــلاة أيها المؤمنون هى أسـمى أنواع العبادات وأعظمها أثراً وأجلها قدراً وهى أول عبادة فرضت وقد فرضت ليلة الإسراء شفوياً على شخص النبى صلي الله عليه وسلم من فوق سبع سموات دون بقية العبادات حيث فرضت بطريق الوحى ينزل على الرسول صلي الله عليه وسلم وهو فى الأرض.

وقد فرضت على المكلفين رجالاً ونساءً بلا فرق بينهما ولفريضة الصــلاة مميزات خاصــة متعددة تعود آثارها وفوائدها على من أداها فمنها أنها هى الصلة بين العبد وربه وهى التى تقرب العبد من خالقه عز وجل فترتبط قلبه بالحضرة القدسية فإذا وقف العبد يصلى وتذكر بقلبه وعقله معانى الألفاظ التى ينطق بها لســانه فى قرآءته وتكبيراته وتســـبيحاته فى قيامه وركوعه وســـجوده إذا فعل هذا امتلأ قلبه بالخشوع من جلال الله وحده والخضوع لعظمة الله، وجبروته والذل لرحمة الله وحكمه و نســـى كل شـــئ حوله ما عدا جلال خالقه الذى وقف بين يديه يناجيه ويناديه ويتضــرع إليه ابتغاء رحمته وخوفاً من عذابه وهنا يشرف العبد بقربه من ربه ذى الجلال والإكرام..

كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:♂**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاذا وصل العبد فى صلاته إلى هذا المقام الجليل أبعدته صلاته عن الفحشاء والمنكر ووضعته فى صفوف الصديقين والصالحين**ـــ..

قال تعالى:{إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ} [العنكبوت: ٤٥]، والمراد بالصــلاة: الصــلاة التى اتصــف صــاحبها بالخشــوع والخضــوع لربه يقول الرسول صــلي الله عليه وســلم :♂**من لم تنهه صــلاته عن الفحشــاء والمنكر فلا صــلاة له**ـــ " رواه ابن ماجه " أي: فلا ثواب له فى صلاته..

وقيل فليست له صلاة مقبولة لأنها مجردة من الخشوع والخضوع لا روح فيها تشبه الجثة الميتة ويشبه صاحبها بالشخص الذى رفع إلى رئيسه هدية هى عبارة عن جثة ميتة فإنها بالطبع غير مقبولة وسترجع آثارها على صاحبها بالنكال والوبال إننا نلاحظ أن كثيراً من الناس يصلون ولا يبتعدون عن الفحشاء والمنكر هؤلاء تكون صلاتهم لا خشوع فيها إذا بدأت صلاتهم بدأت معهم وساوس الشيطان..

تذكرهم بكل ما حولهم من ألوان الحياة وأنواعها ومظاهرها فيشتغلون بالتفكير فى هذا متبعين شياطينهم وينسون جلال وقوفهم أمام الرقيب الجبار المطلع على القلوب والأسرار.

ثم يكونون مع الله بألسنتهم وحركات أجسامهم فى القيام والركوع أما قلوبهم فهى مع الشيطان طوال صلاتهم وهؤلاء تكون صلاتهم آلية لا تفيدهم شيئاً..

ومن ثمرات الصلاة أنها تكون سبباً فى نظافة الجسم والقلب فنظافة الجسم مستفادة من الوضوء أو الغسل الذى فرض لأجل الصلاة ونظافة القلب قد استفيدت من الخشوع الذى يملأ القلب أثناء الصلاة ومنها أن الصلاة تعلمنا كيف نتعود توحيد صفوفنا وجمع كلماتنا فى نظام محكم عند ملاقاة أعدائنا..

وإننا نتعلم هذا النظام من صلاة الجماعات فى تنظيم الصفوف فيها وتبعيتنا جميعاً للإمام فى جميع حركاته فى قيامه وقعوده مصغين إليه إذا قرأ متبعين له فى كل شئ ومنها أن الصلاة تزيل الفوارق بين الطبقات تلكم الفوارق التى تولد الكبر والغرور واحتقار الفقراء وحقد الفقراء على الأغنياء..

فإذا اجتمعنا فى مسجد للصلاة وأدركت قلوبنا وعقولنا أننا جميعاً نقف بنظام واحد أمام إله واحد مستقبلين قبلة واحدة ونسجد بجباهنا على الأرض لإله واحد وتتضرع قلوبنا إلى الله بأسلوب واحد لا فرق بين غنى وفقير ولا عظيم ولا حقير فإذا أدركنا أن جميع أفراد البشر متساوون أمام الله فى التكاليف بالعبادات وهنا يتم تهذيب النفوس وفطام القلوب عن الكبر والغرور والعجب واحتقار بعض الناس لبعض.

ومتى تم للمسلمين هذا النظام استطاعوا أن ينهضوا بأمتهم إلى أعلى درجات الكمال وتلكم غاية دونها كل غاية.

ومنها أن الصلاة تعودنا كيف نحافظ على نظافة ملابسنا وكيف نحافظ على الجالسين معنا فى المساجد وذلك لأن طهارة الثوب شرط فى صحة الصلاة ولأن الرسول حثنا على التطيب ولبس أفخر ما عندنا من الثياب لاسيما الثياب البيض وذلك إذا اجتمعنا لصلاة الجمعة والعيدين وقد نهانا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ريحٍ كريه إذا اجتمعنا فى المسجد حيث قال:♂**من أكل ثوماً او بصلاً فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا**▬ رواه مسلم.

وذلك حرصاً على تطييب نفوس الجالسين وحذراً من تنفيرهم من بعضهم كى يتم لهم حسن اللقاء وجمع الكلمة وارتباط القلوب فلهذه الامتيازات ولغيرها نرى عناية الدين بالصلاة عناية عظيمة فنرى رسول الله صلي الله عليه وسلم يصدر أمره لأولياء الأمور فيقول:

♂**مروا أولادكم بالصلاة وهم أولاد سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**▬ رواه ابن حبان، وذلك كى ينشؤوا متعودين عليها من الصغر فلا يستطيعون تركها وقت الكبر وإن كل من خالف أمر النبى من أولياء الأمور يكون عاصياً و لعل السبب فى ترك بعض الكبار للصلاة هو أن أولياء الأمور لم ينفذوا معهم وقت صغرهم أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد جعل النبى صلي الله عليه وسلم فريضة الصلاة الركن الثانى فى الإسلام حيث قال:♂**بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلاً)** رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

وقد حكم النبى: على تارك الصلاة باللعن فقال:♂**تارك الصلاة ملعون**▬ رواه الترمذى، وجاء فى القرآن وعيد متعدد مختلف الأساليب لتارك الصلاة رجلاً كان أو امرأة فقد أعد الله الويل لمن سها عن صلاته فأخرها عن وقتها أو صلى لله رياء.

♂فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾} [الماعون: ٤ - ٦].

ثم بين ان مقر تارك الصلاة سيكون فى سقر وسيكون التاركون للصلاة وهم فى سقر محل توبيخ وتأنيب من المؤمنين فلا يسعهم إلا أن يعترفوا بجرمهم:{إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾} [المدثر: ٣٩ - ٤٣].

ولقد نصت الشريعة الإسلامية على أن تارك الصلاة تطلب منه التوبة بعد ثلاثة أوقات فإن تاب وصلى نجا وإذا استمر تاركاً لها كسلاً وهو معتقد أنها مفروضة عليه قتله الإمام حداً ويدفن فى مقابر المسلمين أما إذا تركها وهو معتقد أنها غير مفروضة عليه فعلينا أن نرشده

ونعلمه حكم الدين فإن أبى إلا أن يبقى كما هو وجب على الإمام قتله كفراً ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين وماله غنيمة للمسلمين لأنه أصبح مرتداً فلا يرث ولا يورث ولا يحل لمسلمة. فطبقوا يا عباد الله هذه الأحكام على التاركين للصلاة رجالاً أو نساءً فإن رأيتم أن بعضهم يرى أنها عمل إنسانى وليست مفروضة عليه فعلموه أمر دينه.

فاتقوا الله أيها المؤمنون وحافظوا على فريضة الصلاة ونشؤوا عليها أولادكم منذ صغرهم امتثالاً لأمر رسول الله وأملؤوا قلوبكم بالخشوع أثناء صلاتكم تفوزوا بابتعادكم عن المنكرات التى تغضب ربكم..

قوموا بالنصح والإرشاد للتاركين للصلاة ممن حولكم فإن صلوا فهذا نجاح لكم ولهم وإن رفضوا فاجتنبوهم ولا تخالطوهم ولا تآكلوهم غيرة على دينكم وابتغاء رضوان ربكم حتى يعودوا إلى أداء هذه الفريضة لأن أداءها شرط فى أخوة الدين فمن تركها وأصرّ على تركها فليس من إخواننا فى الدين..

وقد قرر بعض الأئمة أن تارك الصلاة المصر على تركها لا تعطى له الزكاة بل وتحرم معاونته حتى ولو كاد أن يموت جوعاً إلى أن يعود إلى الصلاة (عن خلاد بن رافع وهو المعروف بالمسئ صلاته (لأنه كان يسرع فى الصلاة)..

روى أن النبى صلي الله عليه وسلم رآه وهو يصلى فلما انتهى خلاد من صلاته، قال له الرسول صلي الله عليه وسلم:♂**صل فإنك لم تصل**ـــ فصلى مرة ثانية كما فعل فى الأولى..

فقال الرسول صلي الله عليه وسلم:♂**صل فإنك لم تصل**ـــ فصلى مرة ثالثة كما فعل فى المرة الأولى والثانية..

فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم: ♂صلى فإنك لم تصل—..

فقال خلاد: هذا ما أعلمه يا رســول الله فعلمنى ما لم أكن أعلم فقال: صــلي الله عليه وســلم: ♂إذا قمت إلى الصــلاة فكبر ثم اقرأ فاتحة الكتاب وفى رواية ما تيسر من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تطمئن رافعاً ثم اسـجد حتى تطمئن ســاجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك فى كل ركعة— رواه ابن أبى الدنيا.

وقال صلي الله عليه وسلم: ♂صلوا كما رأيتمونى أصلى— رواه مسلم.

وفى الحديث القدسى: ♂أهل ذكرى أهل مجالستى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصــيتى لا أقنطهم من رحمتى إن تابوا إلىّ فإنى حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصــائب لأطهرهم من المعايب— رواه البخارى ومسلم.

(توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون).

* * *

٢٧ ـ الزكاة وفوائدها

الحمد لله الذى طهر بالزكاة قلوب المؤمنين وهذب بها قلوب الأتقياء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع الزكاة للتطهير والنماء وتأمين الخائفين وسد حاجة المعوزين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أمره ربه بقتال المانعين للزكاة وبين أَنَّ سفك دمائهم موقوف على أدائهم الزكاة للمسلمين اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه الذين طبعت نفوسهم على البذل والسخاء وفطموا عن البخل والشح فكانوا من المهتدين الفائزين.

أما بعد فيا عباد الله يقول الله عز وجل وهو أصدق القائلين: {وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ} [المزمل: ٢٠].

أيها المؤمنون.. قد اقتضت حكمة الله أن يخلق الناس فى الدنيا متعاونين فى أرزاقهم فمنهم الغنى ومنهم الفقير وهذا ضرورى لتمام نظام الكون إذ لو كان الناس جميعاً أغنياء فى درجة واحدة لما وجدوا من يقومون بقضاء مصالحهم الضرورية ولو كانوا جميعاً فقراء لما وجدوا من يعينوهم بالمال كأجر على أعمالهم التى يقومون بها ليستعينوا به فى معايشهم وإلى هذا المعنى الكريم يشير الله جل شأنه بقوله:{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢].

وقد جعل الله حق الفقير فى مال الغنى على نوعين: أحدهما: الحق الذى يستحقه أجراً على عمل يقوم به للغنى، ثانيهما: حق جعله الله للفقير منحة فى مال الغنى وهذا الحق الثانى هوعلى ضربين أيضاً: أحدهما: حق واجب على الأغنياء للفقراء وهو المعروف بالزكاة.

الثانى: حق مستحسن قد حث عليه الدين ورغب فيه وهو المعروف بصدقة التطوع والزكاة هى التى أمر الله بأدائها فى هذه الآية الكريمة: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} [البقرة: ٤٣]، بين الله أن من أدى هذه الزكاة فكأنه قد أقرض الله قرضاً سماه حسناً فيضاعفه له فى الأجر وقد تكرر الأمر بأداء الزكاة والترغيب فيها مع بيان الوعيد لتاركيها فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولقد جعل الرسول صلي الله عليه وسلم أداء الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام حيث قال:♂**بنى الإسلام على خمس**▬ إلى أن قال:♂**وإيتاء الزكاة..**▬.

وقد قال صلي الله عليه وسلم:♂**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم**▬ رواه البخارى ومسلم.

وهكذا نرى عناية الدين بالزكاة عناية بالغة الأثر لما لها من أثار عظيمة واسعة الآفاق فى تنظيم وبناء مجتمع الدولة الإسلامية فمن الحكم التى من أجلها شرعت الزكاة:

١ - التطهير الشامل فى مال المزكى ونفسه وقلبه والزيادة فى ماله بإحلال البركة فيه قال تعالى:{خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ} [التوبة: ١٠٣].

أي: (ادع لهم):{إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ١٠٣].

٢ - هذه الزكاة قد شرعت لسد حاجة الفقراء ومعاونتهم فى معاشهم وهذا بالتالى يؤدى إلى اطمئنان الأغنياء على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم لأنه قد ثبت أن أكثر البواعث على ارتكاب جرائم السرقة والقتل وانتهاك الأعراض ترجع كلها إلى الجوع الناشئ عن قسوة قلوب الأغنياء وامتناعهم عن أداء الزكاة للفقراء فكأنهم بهذا قد فتحوا مدارس للإجرام تخرج لنا فى كل عام عدداً من المجرمين والمتسولين الذين يعتدون على الأموال والأرواح رغبة فى الحصول على المال وأساتذة هذه المدرسة هم الأغنياء الذين قست قلوبهم فبخلوا على الفقراء بزكاتهم فلو أن جميع الناس قاموا بأداء الزكاة التى فرضها الله عليهم على الوجه الذى أمر الله به فى مصارف الزكاة لاستغنى بها الفقراء فى قضاء حوائجهم ودفع غائلة الجوع عنهم وعن أولادهم وما رأينا بعد هذا فقيراً تسول له نفسه فى الاعتداء على إنسان ليقتله كى يحصل على ماله أو فى الاعتداء عليه ليسرقه أو على عرض لينتهكه رغبة فى الحصول على مال وذلك لأن دوافع هذه الاعتداءات تكون حينئذ قد أزيلت ومحيت آثارها من الوجود وما دام كل فقير قد اطمأن على رزقه ورزق أولاده وبهذا يتم اطمئنان الأغنياء على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وبهذا يزول الحقد الذى كان كامناً فى قلوب الفقراء على الأغنياء..

وهنا يمكن بناء مجتمع سليم للدولة الإسلامية لن يشوبه ما يعكر الصفو تلكم هى غاية المصلحين وأمنية الهداة المرشدين خصوصاً إذا عرفنا مقدار ما يمكن جمعه من الزكاة على الوجه الذى أمر الله به فهى على قلتها فى النسبة المئوية للأموال تجمع المليارات من الجنيهات وذلكم لأن الله فرض الزكاة فى المال والتجارة بنسبة ٢,٥ % كل عام وقد فرضها فى المزروعات التى هى أقوات الآدمين بنسبة ٥ % كل عام إذ كانت تروى بالآلة وبنسبة ١٠ % كل عام إذ

كانت تروى بدون آلة وفرضـــها فى الإبل والبقر والغنم التى لا تكلف صاحبهاجهدا لطعامها بنسبة ضئيلة جداً وفرضها أيضاً فيما وجد من الأموال والمعادن فى بطن الأرض مثل البترول والذهب وما استخرج من باطن الأرض ويسمى بالركاز بنسبة ٢٠% وأعفى حلى النساء من الزكاة..

كما فرض الله على المؤمنين زكاة أخرى فى الأبدان هى زكاة الفطر قيمتها قدحان من قوت البلد عن كل فرد من هذا كله تتضـــح قيمة الأموال التى يمكن أن تجمع من الناس لو أن كل المسلمين أدوها كما أمر الله فإذا قارنا بين إيرادات هذه الزكاة وبين مصـــارفها التى أرشدنا الله إليها لوجدناها ميزانية ضخمة تتسع لتحقيق جميع مصالح الدولة وتنظيم مرافق الحياة تنظيماً يكفى لرفع شـــأن الدولة إلى المســـتوى العلمى فى درجات المجد. فلا عجب حينئذ إذا رأينا الدين يهتم بأداء هذه الزكاة ويتوعد الممتنعين عن أدائها بالهلاك والنكال و رأينا من قصص القرآن الكريم قصة فى هذا الشأن تصور ما حل بالممتنعين عن الزكاة من هلاك ودمار القصـــة الأولى: قصـــة ثعلبة وخلاصتها أن رجلاً يدعى ثعلبة طلب من الرسول أن يدعو له ليكثر ماله وقد عاهد الله ورســـوله على أنه إن كثر ماله فســـيؤدى زكاته كاملة. فقال الرســـول صـــلي الله عليه وســـلم:♂**يا ثعلبة إن قليلاً تؤدى زكاته خير من كثير لا تؤدى زكاته فيبعدك عن رحمة الله**▬ فألح ثعلبة فى طلبه الدعاء فدعا له الرسول فكثر ماله حتى ملأ الوادى فلما أرسل إليه الرســـول فى طلب الزكاة رفض وتبجح ونقض عهده مع الله ورسوله وقد علم الرسول بهذا قبل أن يأتيه الجواب من الجباة فقال: يا ويح ثعلبة وكررها ثلاثاً فلما علم ثعلبة جاء بزكاته نادماً فردها رسول الله ثم جاء فى عهد أبى بكر بزكاته فردها عليه ثم جاء بها فى عهد عمر فردها اقتداء برسول الله وقد أنزل الله فيه قوله:

{وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾} [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

والقصة الثانية: أن قارون كان من قوم موسى عليه السلام وقد أغناه الله بالمال حتى أن مفاتيح كنوز أمواله كانت حملاً ثقيلاً على حامليها مع قوتهم وكثرة عددهم وكان بعض أفراد من قوم قارون إذا رأوه فى زينته يعجبون من عظم حظه ويتمنون أن يكونوا مثله ولكن ذوى العلم والعقل كانوا يؤنبونهم وأن ثواب الله خير من هذا كله..

ولقد جاء موسى عليه السلام يطلب من قارون زكاة ماله فأخبره قومه بأنها حيلة لجأ إليها موسى ليأخذ مال قارون بها وأشار أصحابه عليه بمكيدة دبرت لنبى الله موسى وهى أن يستأجروا بغياً لترمى موسى بالزنا كى يكف لسانه عن السير فى دعوته ويحتفظ قارون بماله فلما وقف موسى يوماً بين الناس يقول لهم: أيها الناس من زنا رجمناه ومن سرق قطعناه قال قارون: حتى أنت يا موسى؟ قال: حتى أنا قال قارون: إن فى هذا المجلس امرأة قررت أنك زنيت بها فطلب موسى أن تقف المرأة لتقرر هذا أمامه فوقفت فقال لها موسى: أناشدك الله الذى خلق السماوات والأرض أن تنطقى بالحق..

ففزعت المرأة ورفضت أجر قارون وقالت: والذى بعثك بالحق نبياً يا موسى إنهم قد استأجرونى على أن أرميك بالزنا والله يعلم أنك منه برىء فغضب موسى وتضرع إلى ربه وقال: اللهم إن كنت نبيك حقاً فاغضب لى فنزل جبريل يخبر موسى بأن الله أمره بأن يخسف الأرض بقارون وماله وداره ليكون عظة وعبرة..

فاتقوا الله أيها المؤمنون وخذوا لنفسكم العبرة بهاتين القصتين وأدوا زكاة أموالكم التى فرضها عليكم ربكم كى تعملوا على بناء مجتمع سليم وتقضوا على آثار الفقر بينكم ولا تظنوا أن أداء الزكاة يسبب نقصاً فى أموالكم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:♂**ما نقص مال من صدقة**▬ رواه مسلم.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون هذه الساعة..

* * *

٢٨ ـ فضائل ليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذى عظم حرمة شعبان بليلة نصفه الفاضلة وفرق فيها كل أمر حكيم إلى مثلها من السنة القابلة وقدر فيها الأرزاق والآجال فهى الليلة المباركة فسبحان من شرف بعض الليالى وجعلها موسماً للخيرات.. أحمده حمد عبد متطفل على موائد كرمه فى تلك الليالى.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقرب قائلها من الجنات..

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذى كان يتقرب لمولاه فى تلك الليالى بكثرة السجود متعوذاً حامداً بمحامد تليق بذلك المعبود صلي الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الذين بذلوا فى محبته المجهود..

أما بعد...

قال الله فى كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم{حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾} [الدخان: ١ - ٤].

قوله تعالى:{وَٱلۡكِتَٰبِ}، قال ابن عباس رضى الله عنهما: يريد القرآن الكريم وما أُنزل فيه من البيان والحلال والحرام والمبين أي: الموضح لكل ما يراد منه فالناس فى حاجة إليه فى دينهم.

وقوله:{إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ} أي: إنا بما لنا من العظمة أنزلناه وهو القرآن الكريم وقوله:{فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ} كثيرة الخير فإن الله تعالى قد خص تلك الليلة ببركة ليست فى غيرها.

واختلف العلماء فى تعيين تلك الليلة المباركة فقال عكرمة: المراد بالليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وذكر بعض أهل العلم فى قوله تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ} [الدخان: ٣]، أن من قال هى ليلة القدر فالهاء فى:{أَنزَلْنَـٰهُ} ضمير القرآن أي أنزلنا هذا الكتاب المبين الذى هو القرآن فى ليلة جُعلت مباركة على المؤمنين ومن قال ليلة النصف من شعبان فالهاء ضمير الأمر والمراد أنزلنا أمراً من عندنا فى هذه الليلة قدرناه وقضيناه فى الآجال والأرزاق والإغناء والإفقار والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة على رؤساء الملائكة يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وروى أبو الضحى رضى الله عنه ان الله يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر..

قال أبو سعيد الخدرى.. أن رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا خرج إلى صلاة الصبح قال:♂**اللهم املأ سمعى نوراً وبصرى نوراً وبين يدى نوراً ومن خلفى نوراً وعن شمالى نوراً ومن فوقى نوراً ومن تحتى نور وأعظم لى النور برحمتك**▬ (رواه مسلم).

قالت عائشة رضى الله عنها: دخل علىَّ رسول الله صلي الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبيه ثم قام فلبسهما فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى فخرجت أتبعه فوجدته بالبقيع (البقيع بجوار المسجد النبوى) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء.

فقلت بأبى وأمى أنت فى حاجة ربك عز وجل وأنا فى حاجة الدنيا فانصرفت فدخلت فى حجرتى ولى نفس عالٍ فلحقنى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال:♂**ما هذا النفس؟**▬ فقلت: بأبى أنت وأمى أتيتنى فوضعت عنك ثوبك..

ثم قمت فلبستهما فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنك أتيت بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع قال:♂**يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قال: أتانى جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله عز وجل عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب لا ينظر الله عز وجل فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر ثم وضع عنه ثوبيه▬.**

قال:♂**يا عائشة تأذنين لى فى قيام هذه الليلة▬** قلت: نعم بأبى أنت وأمى فقام فسجد طويلاً حتى ظننت أنه قُبض فقمت ألتمسه ووضعت يّدى على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول فى سجوده:♂**أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك▬** فلما أصبح ذكرتهن له فقال:♂**يا عاشة تعلميهن وعلميهن وأمرنى أن أُرددهن فى السجود▬** رواه مسلم.

فبادر أيها المفرط إلى التوبة فى هذه الليلة العظيمة الشأن لأنه تعالى من رحمته يستعرض حوائج عباده كل ليلة فى جميع الزمان وخصوصاً ليلة النصف من شعبان وليلة النصف إحدى الليالى التى ليلتها كيومها ويومها كليلتها فى الفضل..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:♂**أربع ليال لياليهن كأيامهن وأيامهن كلياليهن يبر فيهن القسم ويعتق فيهن النسم ويعطى فيهن الجزيل ليلة القدر وصباحها وليلة النصف من شعبان وصباحها وليلة عرفة وصباحها وليلة الجمعة وصباحها▬** رواه البخارى ومسلم.

ومن خصائص ليلة النصف من شعبان ما ورد فى الترغيب فى إحياء ليلة النصف من شعبان. ما رواه عبد الرزاق وابن ماجة من قوله صلي الله عليه وسلم :♂**إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله عز وجل ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول ألامن مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه حتى يطلع الفجر**▬.

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من أحيا الليالى الخمس وجبت له الجنة، ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان..**▬ رواه البخارى.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من قام ليلة النصف من شعبان وليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**▬ رواه مسلم ومعنى لم يمت قلبه: أي محبة الدنيا حتى تصده عن الآخرة كما جاء لا تجالسوا الموتى يعنى: أهل الدنيا..

وما أحسن قول القائل: -

وقم ليلة النصف مصلياً ::: فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه
وصم يومه لله وارج ثوابه ::: لتظفر يوم العرض منه بلطفه

فمن أقام الفرائض وتقرب إلى الله بالنوافل واجتهد إلى الله فى الأوقات الفواضل وآثر رضا الله فاز بعظم أُنسه فى حضرة قدسه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر..

فنسأل الله أن يعيننا على ذلك وأن يسلك بنا أحسن المسالك وأن يعتقنا فى هذه الليلة من النار، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم فى دار القرار وأن يديم علينا نعمة الإسلام، وأن يحشرنا فى ذمرة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأن يشغلنا فيما فيه رضاه وأن لا يجعلنا من أهل الاشتغال والتلاهى بل يجعلنا من أهل كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

ومن فضائل شهر شعبان قال أسامة بن زيد قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم فى شعبان؟

قال: ♂**ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم**▬ رواه البخارى ومسلم.

وقالت السيدة عائشة عليها رضوان الله كان أكثر صيام رسول الله صلي الله عليه وسلم فى شعبان فقلت: يا رسول الله أرى أكثر صيامك فى شعبان قال: ♂**إن هذا الشهر يُكتب لملك الموت من يقبض فأنا لا أحب أن ينسخ اسمى إلا وأنا صائم**▬ (رواه مسلم).

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٢٩ ـ تحويل القبلة

الحمد لله الذى عظَّم حرمة شعبان بليلة نصفه الفاضلة وفرق فيها كل أمر حكيم إلى مثلها فى السـنة القابلة وقدر فيها الأرزاق والآجال فهى الليلة المباركة فسبحان من شرّف بعض الليالى وجعلها موسماً للخيرات..

أحمده حمد عبد متطفل على موائد كرمه فى تلك الليالى وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له شـهادة تقرب قائلها من رضـوان الله.

وأشـهد أن محمداً عبده ورسـوله الذى كان يتقرب لمولاه فى تلك الليالى بكثرة السـجود متعوذاً حامداً بمحامد تليق بذلك المعبود صـلي الله عليه وسـلم وعلى آله وصـحبه الذين بذلوا فى محبته المجهود أما بعد...

يقول الله فى كتابه العزيز... بسم الله الرحمن الرحيم:

{سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ } [البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٣].

عن البراء قال: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله:{ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ } [البقرة: ١٤٤].

قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها؟ فأنزل الله:{قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [البقرة: ١٤٢].

عن ابن عباس أن رسول الله صلي الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله بضعة عشر شهراً وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله عز وجل:

{فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ} [البقرة: ١٤٤]، أي نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها؟ فأنزل الله:{قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [البقرة: ١٤٢]، وقد وردت أحاديث كثيرة..

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**يعنى أهل الكتاب " إنهم لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين**— رواه أبو داود والترمذى.

وقوله تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣].

يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل.

وكان رسول الله وسطاً فى قومه أي أشرفهم نسباً قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته قال: فذلك قوله:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }** [البقرة: ١٤٣] **قال: الوسط: العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم▬** رواه مسلم.

{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ } [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان ليضيع ثوابها عند الله عن البراء قال: مات قوم كانوا يصلون إلى بيت المقدس فقال الناس وما حالهم؟ (أي: بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى أي ليعطيكم أجرها جميعاً،{إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ } [البقرة: ١٤٣].

وقال الحسن البصرى:{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ } [البقرة: ١٤٣]، أي: ما كان الله ليضيع محمداً صلي الله عليه وسلم وانصرافكم معه حيث انصرف: {إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ } [البقرة: ١٤٣]، وفى الصحيح: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم رأى امرأة من السبى قد فرق بينها وبين ولدها فجعلت كلما وجدت صبياً من السبى أخذته فالصقته بصدرها وهى تدور على ولدها فلما وجدته ضمته إليها وألقمته ثديها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**أترون هذه طارحة ولدها فى النار وهى تقدر على أن لا تطرحه؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها▬** رواه ابن ماجة والبيهقى وغيرهما.

{ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٤٤].

وذلك لأن رسول الله لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلي الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله:{ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ} [البقرة: ١٤٤]، فارتابت من ذلك اليهود وقالوا:

{مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ} [البقرة: ١٤٢]، وقوله:{وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ} [البقرة: ١٤٤]، أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله تعالى سيوجهكم إليها بما فى كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفه لرسول الله صلي الله عليه وسلم وأمته وما خصه الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسداً وكفراً وعناداً لهذا يهددهم تعالى بقوله:{وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٤].

وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام ورد أنه قد تم فى ليلة النصف من شعبان وعن يحيى بن معاذ أنه قال: إن فى شعبان خمسة أحرف يعطى بكل حرف عطية للمؤمنين:

- بالشين: الشرف والشفاعة.
- وبالعين: العزة والكرامة.
- وبالباء: البر.
- وبالألف: الألفة.
- وبالنون: النور.

ولذلك قيل رجب لتطهير البدن وشعبان لتطهير القلب ورمضان لتطهير الروح..

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٣٠ ـ شهر رمضان المعظم وقدره

الحمد لله الذى أكرم الأمة الإسلامية بشهر رمضان حيث أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرض الصيام تطهيراً للنفوس وتهذيباً للقلوب وإبعاداً للصائمين عن مواطن الهلكة والشقاء وجعله باعثاً على الإشفاق والرأفة والرحمة بالفقراء والمساكين إن الله يعلم ما تسرون وما تعلنون..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرشدنا فى هديه الكريم إلى خير الطرق وأقومها لفوز الصائمين وإسعاد المسلمين الذين هم بربهم يؤمنون.

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بتعاليمه من جماعة المسلمين....

أما بعد...

فيا عباد الله... يقول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾} [البقرة: ١٨٣].

اعلموا إخوانى.. وفقنى الله وإياكم لطاعته أن النداء على دربين: نداء: علامة ونداء: كرامة.

ونادى الله تعالى جميع الأنبياء بنداء العلامة فقال: يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا موسى يا عيسى.

ونادى سيدنا محمد بنداء الكرامة فقال يا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر ونادى جميع الأمم بنداء العلامة فقال فى التوراة يا قوم موسى يا أيها المساكين وقال فى الإنجيل يا أبناء الماء والطين فلما آل الأمر إلى هذه الأمة قال فى القرآن الكريم فى نيف وثمانين موضعاً بنداء الكرامة... فمن دخل فى هذا الخطاب يعنى من المؤمنين صار أهلاً لست بشارات.

١ - الأولى: المحبة قال تعالى:{بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤].

٢ - الثانية: النصرة قال تعالى:{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧].

٣ - الثالثة: العزة قال تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨].

٤ - الرابعة: الرحمة قال تعالى:{وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣].

٥ - الخامسه: الفضل والمغفرة قال تعالى:{ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾} [الأحزاب: ٤٧].

٦ - السادسة: الشفاعة العظمى يوم القيامة قال تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ} [النساء: ٦٩].

وقوله تعالى:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ} [البقرة: ١٨٣]، أي فرض أو وجب.

والصيام لغة: الإمساك.. وشرعاً: هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية فى وقت مخصوص..

وقولـه:{كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} [البقرة: ١٨٣]، أي: من الأنبياء والأمم وقيل: ما من أمة إلا وفرض الله عليهم صيام رمضان إلا أنهم ضلوا عنه وقوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]، أي: تتحررون من العقوبة بفعل ما أمرتم وقوله:{ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} [البقرة: ١٨٤]، وكأنه سبحانه وتعالى يقول: فرضت عليكم أياماً معدودة وطاعة محدودة وثوابى وعطائى لا حدود له ولا نهاية له.

وفرض رمضان فى السنة الثانية من الهجرة.. وهو معلوم من الدين بالضرورة فمن أنكره فهو كافر إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام أو بعيداً عن العلماء وهو أفضل الشهور فى الحديث ورمضان سيد الشهور وأنزل الله تعالى فيه القرآن.

وورد فى فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلي الله عليه وسلم عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال:♂**أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فرض فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه رزق المؤمن من فطر فيه صائماً كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه**▬.

قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال:♂**يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائماً على مزقة لبن أو شربة ماء أو تمرة ومن أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبداً وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئا وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثروا من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم... وخصلتان لا غنى لكم عنهما... أما الخصلتان اللتان**

ترضـون بهما ربكم... فشـهـادة أن لا إله إلا الله وتسـتغفرونه.. وأما الخصـلتـان اللتان لا غنى لكم عنهما تسـألون ربكم الجنة وتتعوذون به من النار▬ رواه البخارى ومسلم.

وفيها قوله صلي الله عليه وسلم:♂من صـام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ▬ رواه أحمد صاحب السنة، وقوله صـلي الله عليه وسلم:♂أعطيت أمتى خمس خصال فى شهر رمضان لم تعط أمة قبلها:

١ - خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

٢ - وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا.

٣ - وتصفد فيه مردة الشياطين.

٤ - ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشـك عبادى الصالحون أن يكف عنهم السوء والأذى.

٥ - ويغفر لهم فى ليلـة منه قيل: يا رسـول الله أهى ليلة القدر؟ قال: لا ولكن العامل إنما يؤتى أجره إذا قضى عمله▬. رواه أحمد ومسلم والنسائي.

عن أبي هريرة رضـى الله عنه قال: كان رسـول الله صـلي الله عليه وسلم يبشر أصحابه ويقول:♂قد جاءكم شهر رمضان شهر فرض عليكم الله صيامه وتفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبوب الجحيم وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر▬. رواه مسلم

ومنها قوله صـلي الله عليه وسـلم:♂فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسـمى باب الريان لا يدخله إلا الصـائمون... ومنها قوله صـلي الله عليه وسلم الصـيام والقرآن يشـفعان للعبد يوم القيامة... يقول الصيام ربى إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان فيه▬ رواه البيهقى وغيره.

وللصوم أركان: النية يقول صلي الله عليه وسلم :♂**إنما الأعمال بالنيات**▬ ومحلها القلب ولا يشترط التلفظ بها فلو تسحر ليتقوى فى الصوم أو شرب ليدفع العطش نهاراً أو امتنع عن الأكل، أو الشراب أو الجماع من طلوع الفجر كان ذلك نية إن خطر بباله الصوم..

ويشترط لفرض الصوم: التثبيت وهو النطق بالنية ليلاً لقوله صلي الله عليه وسلم : ♂**من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له**▬ رواه مسلم.

الركن الثانى: الصائم وشرطه الإسلام والعقل والطهارة من الحيض والنفاس فلا يصح صوم الكافر بحال ولا صوم المجنون والطفل ويصح من صبى مميز

الركن الثالث: الإمساك عن المفطرات فشرط الصوم الإمساك عن الجماع بالإجماع ولو بغير إنزال وتجب الكفارة بإفساد صوم يوم من رمضان بجماع أثم به بسبب الصوم وهى عتق رقبة مؤمنة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

والحديث عن الصيام وأحكامه مستمران إن شاء الله فى خطبنا القادمة..

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

* * *

٣١ ـ مدرسة رمضان

الحمد لله أكرم الأمة الإسلامية بشهر رمضان حيث أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان إن الله لذو فضل على الناس ولكن أ كثر الناس لا يشكرون..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرض صيام رمضان تطهيراً للنفوس وتهذيباً للقلوب وإبعاداً للصائمين عن مواطن الهلكة والشقاء وجعله باعثاً على الإشفاق والرحمة والرأفة بالفقراء والمساكين إنه يعلم ما تسرون وما تعلنون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرشدنا فى هديه الكريم إلى خير الطرق وأقومها لفوز الصائمين وإسعاد المسلمين الذين هم بربهم يؤمنون، اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بتعاليمه من جماعة المسلمين...

أما بعد..

فيا عباد الله.. يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين:

بسم الله الرحمن الرحيم:{شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾} [البقرة: ١٨٥].

أيها المؤمنون: –

إذا تأملنا فى المدارس الموجودة بيننا من جهة المناهج الدراسية القائمة فيها وواضعى هذه المناهج وملاحظة أهدافها وإقبال الناس عليها ونتائجها..

إذا تأملنا فى هذا كله وجدنا أن لدينا مدرسة أخرى هى أعظم شأنا وأسمى قداسة من هذه المدارس كلها لعظم آثارها فى تكوين المجتمع الصالح للمسلمين..

تلكم هى المدرسة الرمضانية.. هى مدرسة شهر رمضان المبارك قد أنشأها وفتحها الله الخالق البارئ جل وعلا حيث قال{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣].

وقد جعل مدة الدراسة فيها شهراً قمرياً من كل سنة وجعل التعليم فيها مجاناً بل وأعد أجوراً وجوائز مختلفة القيم والمقادير للفائزين من أبنائها وقد جعل الدخول فيها إجباريا على كل المكلفين القادرين من المسلمين ذكوراً وإناثاً حيث قال:{فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ } [البقرة: ١٨٥] وحث على الدخول فيها غير القادرين من ذوى الأعذار متى كانوا قادرين على تلقى دروسها حيث قال:{وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} [البقرة: ١٨٤].

وأنَّ الذى وضع مناهج الدراسة فيها رب العالمين الخبير بشؤون خلقه العليم بما يصلح من شؤونهم وينظم حياتهم.. ولهذا كانت مناهجها ولا تزال محققة لأمانى وأمال الأمم الإسلامية وغايتها مهما اختلفت ألسنتها وألوانها وبيئاتها وطبقاتها وعاداتها وعصورها صالحة للبقاء إلى آخر أيام الدنيا إذ أن الذى وضعها إله حكيم عادل منزه عن الأخطاء فى أفعاله وأوامره لا يخلف وعده ولا وعيده ولهذا لا تقبل تبديلاً ولا تعديلاً لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من حكيم حميد وإن السقوط فى هذه المدرسة سقوط مهلك إذ لا ملحق ولا شفاعة فيه فهو سقوط من رحمة الله يستحق صاحبه مقت الله وعذابه وأما الدروس التى نتعلمها فى هذه المدرسة فهى دروس كريمة قيمة نتعلمها من صيام رمضان..

الدرس الأول: فى هذه المدرسة هو أن نتخذ لأنفسنا الوقاية من عذاب الله وذلك بابتعادنا عن جميع المعاصى والموبقات فإننا نتلقى هذه الدروس من الصيام فالصائم متى أدرك أنه قد امتنع عن جميع المفطرات التى كانت مباحة له قبل دخوله فى الصيام وقد تركها خوفاً من عذاب الله وطمعاً فى ثوابه فإن إدراكه لهذه المعانى يجره حتماً إلى امتناعه عن جميع المعاصى التى حرمها الله من باب أولى خوفاً من عذابه وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله:{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }..

الدرس الثانى: فى هذه المدرسة الإعتراف بالجميل لصاحبه وفى مقدمة هذا شكر المنعم البارى جل وعلا على نعمه فإن الإنسان لا يدرك قيمة النعمة إلا وقت حرمانه منها فلا يدرك الغنى لذة غناه إلا إذا ذاق الفقر ولا يشعر الإنسان بنعمة الصحة إلا إذا أصيب بالمرض وكذلك الصائم فإنه لا يدرك قيمة نعمة الله عليه فيجره هذا إلى أن يشكر الله على نعمه فيوجه كل نعمة إلى ما خلقت له وإلى هذا يشير الله بقوله:{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة: ١٨٥].

الدرس الثالث: فى هذه المدرسة:أن يتعود الرأفة والإشفاق والعطف على الفقراء وذوى الحاجات فإن الصائم عندما يشعر بآلام الجوع وشدته يحس بآلام الفقراء فيقوم بمعاونتهم فى قضاء حوائجهم وهذا يجعل نفسه خيرة مطبوعة على الجود والكرم والسخاء والعطف والإشفاق ولقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة وكان أكثر ما يجود فى رمضان، رواه البخارى وغيره.

الدرس الرابع: فى هذه المدرسة: أن نتعود الصبر على احتمال المكاره والمشقات فى كفاحنا وجهادنا والوصول إلى تحقيق آمالنا وتربيتنا لأبنائنا فإن الصيام وحده هو الذى يتم به صفاء النفوس وتهذيبها وتطهير القلوب وجلائها خصوصاً وأنه عبادة صرفة لا رقيب على الصائم إلا ربه وضميره فلا يدخلها الرياء.

ولهذا فإن صبر الصائم على امتناعه عن المفطرات ومقاومته لنفسه وشهواته يجره إلى أن يتعود الصبر الدائم على احتمال جميع المكاره والمشقات فى جميع نواحى الحياة لأن الصبر **ثلاثة انواع**: -

١ - صبر على الطاعات.

٢ - صبر على المصائب والملمات.

٣ - صبر على مقاومة النفس والشهوات.

الدرس الخامس فى هذه المدرسة: هو صحة أجسامنا فلقد أجمع جمهور الأطباء على أن هناك أمراضاً مستعصية فتاكة لا علاج لها سوى الصيام ولهذا نرى رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **جوعوا تصحوا** رواه ابن ماجة.

الدرس السادس: فى مدرسة رمضان.

هو تقديسنا وتعظيمنا لكتاب الله تعالى واهتمامنا واعتزازنا به حيث قد أدركنا أن الله قد أنزل القرآن فى شهر رمضان وأن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام فى كل رمضان وقد صدرت فى القرآن أوامر متعددة للنبى صلي الله عليه وسلم بتلاوة القرآن: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا} [المزمل: ١ - ٤]، { وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾} [الكهف: ٢٧].

فإن هذا كله يدفعنا إلى أن نملأ بيوتنا بتلاوة القرآن فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن.

فيا عباد الله..

هذه هى المدرســـة الرمضـــانية الكبرى وهذه هى الدروس التى نتلقاها فيها وإن المجتمع الذى تسوده هذه الفضـائل الطيبة والخصـال الحميدة ويكون شـعاره اتخاذ الوقاية لأبنائه من المعاصــى والمهلكات وشـكر المنعم على ما أولانا به من الطيبات والصـبر فى كفاحنا على احتمال المكاره بمقاومة النفس والشــهوات والعطف والإشــفاق على الفقراء والبائســين وزوى الحاجات والعمل على صـــحة الأجســـام وسلامتها من المهلكات.

إن المجتمع الذى هذا شــأنه فهو جدير حقاً بأن ينهض بأمته حتى يضعها فى صفوف الأمم المتحضرة وأن يرقى بها إلى أسمى درجات السعادة والسيادة والكمال.

قال رســول الله صــلي الله عليه وســلم :♂**من صــام رمضــان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه**▬ رواه البخارى ومسلم.

توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٣٢ ـ غزوة بدر الكبرى

الحمد لله الذى أيد دينه ونصر نبيه وأعلى كلمته وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

أحمده فالحمد منه وإليه وأشكره ولا أحصى ثناء عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شديد البطش أليم الأخذ عزيز ذو انتقام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله قائد الغُر المحجلين الذى بعثه الله بالحق بين يدى الساعة مبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه فقوم به الجبارين وعالج به رءوس المتكبرين..

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون...

أما بعد...

فيقول العزيز الحكيم جل شأنه:{إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾} [الأنفال: ١٢ - ١٣].

أيها المسلمون كان لقريش عير عائدة من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً فيهم أبو سفيان فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلي الله عليه وسلم بأمر تلك القافلة فأخبر النبى أصحابه فأعجبهم تلقى العير لقلة القوم وكثرة الخير ولما تهيؤوا للخروج عليها علمت قريش عن طريق رسول بعثه أبو سفيان يطلب النجدة فصعد أبو جهل فوق الكعبة ونادى: يا أهل مكة النجاة النجاة على كل صعب وذلول عيركم وأموالكم إن أصابها محمد بسوء فإنكم لن تفلحوا بعدها أبداً..

فاجتمع حوله أهل مكة وخرجوا جميعاً لحماية القافلة ولكن أراد الله أن تنجوا القافلة بتجارتها عن طريق الساحل ولما علم بذلك أبو جهل أبى أن يرجع إلى مكة هو ومن معه من المقاتلين وعلم الله سوء نيته فأوحى إلى النبى صلي الله عليه وسلم..{ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ } [الأنفال: ٧].

وقد أبهم فلم يبين الطائفة المرادة ليستدرج المسلمين إلى الخروج لملاقاة الفريقين إذ الحكمة تقتضى ذلك لما بين الفريقين من تفاوت فى العدد والعدة فاستشار النبى صلي الله عليه وسلم أصحابه وقال:♂**العير أحب إليكم أم النفير؟**▬ فقال بعض المؤثرين السلامة الكارهين للجهاد بل العير أحب إلينا يا رسول الله فتغير وجه النبى صلي الله عليه وسلم من هذا الرد الذى ينبئ عن حب الدنيا وكراهية الموت فقال لهم الرسول صلي الله عليه وسلم:♂**ولكن العير أخذت طريق الساحل ونجت**▬..

وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فليس لدينا عدة لملاقاته فغضب النبى صلي الله عليه وسلم وحينئذ قام أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وتحدثا وأحسنا..

ثم قام سعد بن عبادة رضى الله عنه وقال:

يا رسول الله: انظر أمرك فامض فوالله لن يتخلف عنك رجل من الأنصار ثم قام المقداد بن عمرو رضى الله عنه وقال:

يا رسول الله: امض لما أمرك الله فإنا معك حيث أحببت فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى:{فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ } [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم من قول المقداد رضى الله عنه..

ثم قام سعد بن معاذ وكان مما قال:

امض يـا رســـول الله لمـا أردت فوالله الـذى بعثـك بـالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل فسر على بركة الله

فسُرّ النبى من قول سعد وقال:♂**سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الساعة إلى مصارع القوم**▬.

ثم سار المسلمون إلى بدر تحرسهم عناية الله وكان ذلك فى اليوم الســابع عشــر من شــهر رمضـــان وكان عدد المســلمين يقرب من ثلاثمائة وثلاثة عشـــر رجلا بينما عدد المشـــركين يزيد عن ثلاثة أضـعافهم وعند ماء بدر التقى الجمعان وبدأ القتال ببعض المناوشـات الأولى.

فخرج من قريش ثلاثة مقاتلين عتبة بن ربيعة وأخوه شـيبة وابنه الوليد ثم دعوا المســلمين إلى المبارزة فانبرى لهم فتية من الأنصـــار ثلاثـة وهم: عوف بن الحـارث وأخوه معوذ وعبد الله بن رواحـة فلمـا برزا قال لهم عتبة: من أنتم؟؟

فقالوا: نحن فتية من الأنصــــار فقال ما لنا بكم حاجة يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا.

فقال النبى صـلي الله عليه وسـلم :♂**قم يا حمزة بن عبد المطلب قم يا على بن أبى طالب قم يا عبيدة بن الحارث**▬..

فقام كل منهم يخطر بسيفه ولسان حاله يقول:

ولســـت أبالى حين أُقتل مســـلما ::: على أي شـق كان فى الله مصـــرعى

ثم بارز حمزة بن عبد المطلب شيبة بن ربيعة...

وبارز على الوليد بن عتبة وبارز عبيدة بن الحارث عتبة بن ربيعة فأما حمزة فصرع شيبة وأما على فركز على الوليد ضربة أفقدته الحياة ولكن عبيدة بن الحارث أصيب فى فخذه فحمل عليه حمزة وعلى فصرعاه وحملا عبيدة إلى صفوف المسلمين فارتمى أمام النبى صلي الله عليه وسلم وهو يقول: ألست شهيداً يا رسول الله؟ فقال النبى صلي الله عليه وسلم :♂**بلى**▬.

ثم تزاحف الجمعان فثار النقع واشتبكت الرماح واصطكت الأسنة واستلت السيوف والتحمت الصفوف والمسلمون يهجمون يميناً وشمالاً والرسول صلي الله عليه وسلم واقف يستغيث بربه وهو رافع يديه إلى السماء قد سقط رداءه من فوق كتفيه وكان يقول: اللهم نصرك الذى وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تعبد بعد، فاستجاب الله لرسوله وأوحى إلى الملائكة أن يثبتوا المؤمنين:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: ٩ - ١٠].

وقد قيل: إن الملائكة كانت تقاتل فى صفوف المسلمين وترد هجمات المشركين حتى قال أبو جهل لابن مسعود وهو فى النزع الأخير: من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الضارب.

ثم قال جبريل للنبى صلي الله عليه وسلم :♂**خذ قبضة من تراب فارم بها وجوه المشركين**▬ فأخذ النبى قبضة من تراب ورمى بها وجوه المشركين وقال♂**شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا وقد شغل بعينه**▬ وفى هذا يقول الله تعالى:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال: ١٧]، ثم صاح النبى صلي الله عليه وسلم فى المسلمين قائلاً:♂**والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**▬.. فقام عبد الله بن الحمام وكان بيده

ثمرات يأكلها وقال بخ بخ.. فما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن أقتل فى سبيل الله.. ثم قذف التمرات من يديه واستل سيفه من غمده وقاتل القوم قتالاً مريراً حتى قتل شهيداً رضى الله عنه رواه البخارى ومسلم.

ثم أخذ المشركون يتساقطون وتنهار كتائبهم والمسلمون يفتكون بهم فتكاً ذريعاً وحمزة أسد الله يشق الصفوف ويحصد الرؤس ويمزق شمل الكافرين واضطرت البقية الباقية منهم أن تلوذ بالفرار وأن تعود إلى مكة بالخزى والعار وقائلهم يقول:

يا معشر قريش: لقد أذلكم حمزة بن عبد المطلب ووضع قدركم وجعلكم الأذلة المستبعدين فى الأرض مات بيده صفوة رجالكم وأصحاب الصدارة فى منتدياتكم فيالثارات قريش ويالأحقادها الكامنة..

وكانت نتيجة الغزوة أن قتل من المشركين سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً واستشار النبى صلي الله عليه وسلم الصحابة فى الأسرى فقال أبو بكر نأخذ منهم الفدية لنقوى عليهم وقال عمر بن الخطاب: نقتلهم فهم أئمة الكفر فقال الرسول لأبى بكر: **مثلك كمثل إبراهيم حين قال فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم وإن مثلك يا عمر كمثل نوح حين قال:** {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾} [نوح: ٢٦]ـــ.

فأخذ رسول الله برأى أبى بكر وأخذ الرسول منهم الفدية فنزل قول الله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾} [الأنفال: ٦٧ - ٦٨].

أما المسلمون: فقد عادوا كراماً أعزة تحت لواء رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد علمتهم هذه التجربة أن النصر للمؤمنين وإن قَّل عددهم لأن الله معهم وأن الهزيمة للمشركين وإن كثر عددهم لأن الله خاذلهم فلم يعودوا يقيمون وزناً لجحافل الكفر وكتائب الشرك وانتصروا فى كل معركة كما انتصروا فى يوم بدر وهو اليوم السابع عشر من رمضان قال صلي الله عليه وسلم :♂**الجنة تحت ظلال السيوف**▬ (رواه مسلم).

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة

* * *

٣٣ ـ فتح مكة وليلة القدر

الحمد لله الذى أيد دينه ونصر نبيه ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداه والنعمة المسداة والسراج المنير تحققت أمنية رسول الله بدخول مكة بغير حرب ولا قتال اللهم صلى وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته.. أما بعد..

فيا عباد الله.. كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يتمنى ويحب أن يدخل مكة ويفتحها فهى حصن الشرك ومعقل الكفر وهو يعلق الآمال على هداية أهلها الذين وقفوا بعنفوان دائما فى وجه الدعوة الإسلامية ولكن أبى الله ذلك وهو مرتبط بعهد مع قريش بهدنة لا تحل لأحد الطرفين أن يهاجم الآخر خلالها، نقض قريش عهد الحديبية فى أواخر السنة الثامنة من الهجرة كان قد مضى على صلح الحديبية سنتان تقريباً حافظ المتعاقدان فى أثنائها على مواد المعاهدة التى كان من شرطها أنه من أحب أن يدخل فى عقد مع قريش فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فليدخل فيه وكانت خزاعة قد انضمت إلى الرسول وبنو بكر دخلت فى عهد مع قريش وكانت بينهما عداوات قديمة هدأت فترات واشتعلت أخرى فلما كانت الهدنة بين المسلمين وقريش انتهزتها بنو بكر فرصة وساعدتهم جماعة قريش فهاجمو خزاعة وقتلوا بعضاً منهم فلجأت خزاعة إلى حلفائها المسلمين تشكو نقض قريش وبنو بكر العهد وأرسلت وفدا إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم تخبره بما حدث لهم. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لزعيمهم عمرو

بن سـالم الخزاعى: ♂نصرـت يا عمرو بن سـالم▬ ورأى الرسـول أن نقض قريش للعهد سبب قوى لدخول مكة..

الاسـتعداد لدخول مكة: - رأى رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم أن لا يترك لقريش فرصـــة يتجهزون فيها للحرب فيأخذهم على حين غفلة حتى يســـلموا من غير أن تراق الدماء لذلك أصـــــدر الأوامر بالتعبئة العامة وأوصـى الجيش بإخفاء الأمر حتى لا تتسـرب الأخبار إلى قريش فى مكة وفى رمضـــان من الســـنة الثامنة للهجرة تحرك جيش المســلمين من المدينة إلى مكة ليفتحها وليضـــع يده على البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا وعلى رأسـه الرسـول صـلي الله عليه وسـلم وهو موحد الغاية وكل أمله أن يدخل البيت الحرام من غير أن تراق قطرة دم واحدة وفى أثناء السـير انضـم إليه فرق من قبيلة أسلم ومزينة وغطفان وغيرها حتى بلغ عدده عشرة آلاف وبعد أسـبوع وصـلوا " مر الظهران يبعد عن مكة بحوالى ٣٠ كم فعسـكر المسلمون فيه ".

أبو سفيان يستطلع الأخبار:

وقد أمر الرســـول صـــلي الله عليه وســلم أن يوقد كل فرد ناراً ليظهر قوة الجيش الإسـلامى القريب من مكة فيلقى الرعب فى قلوب قريش فتأتى صـــاغرة للتســليم وكان أبو ســفيان بن حرب قد خرج يلتمس الأخبار ويســتطلع مبلغ الخطر الذى شــاعت أنباؤه وفى جنح الظلام وعلى مقربة من نيران المسـلمين لقيه العباس بن عبد المطلب فناداه فوقف أبو سفيان وقال له: ما وراءك؟

قال العباس هذا رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم أتاكم بما لا قبل لكم به قال أبو سفيان فما الحيلة فداك أبى وأمى؟

قال العباس: أنصحك بأن تركب ورائى (وكان يركب بغلة رسول الله صـــلي الله عليه وســلم فآتيه بك وأســتأمن لك وأردف العباس أبا ســفيان وســـار نحوخيمة رســول الله يقول العباس: فلما مررت بنار عمر بن الخطاب عرف أبا سفيان وأسرع إلى خيمة النبى صلي الله عليه وسلم وطلب أن يضرب عنقه..

فقال العباس: إنى أجرته فقال صلي الله عليه وسلم :♂**اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبح الصباح ائتنى به**▬ فلما جاء الصباح جاء العباس إلى النبى صلي الله عليه وسلم وجرى الحديث الآتى..

ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟

أبو سفيان: ما أحلمك وأوصلك والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً.

الرسول صلي الله عليه وسلم ويحك أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟

أبو سفيان: أما هذه فوالله إن فى النفس منها حتى الآن شيئاً فتدخل العباس وقال له: ويحك أسلم قبل ان تضرب عنقك فأسلم.

فقال العباس: يا رسول الله أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**نعم من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن**▬.

الجيش يدخل مكة: -

وبعد ذلك أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم العباس أن يقف مع أبو سفيان فى الطريق الضيق المؤدى إلى مكة حتى تمر عليه جنود المسلمين فيراها ليحدث قومه عن قوة المسلمين ومرت القبائل بأبى سفيان وهو يسأل عنها العباس حتى قال: يا عباس ما لإحد بهؤلاء قبل ولا طاقة وأسرع إلى مكة ليصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو اَمن ومن دخل المسجد فهو آمن وركب الرسول ناقته القصواء وأصدر الأوامر إلى قادة الجيش ألا تقاتل إلا اذا اكرهت على القتال وساروا حتى دخلوا مكة ولم يحدث إلا مناوشات خفيفة وأهمها:

ما لاقاه خالد بن الوليد قائد الجناح الأيمن فقد قتل عشرين رجلاً ممن وقفوا فى طريقة ولم يقتل من المسلمين سوى اثنين.

ولما تم للمسلمين الاستيلاء على مكة نظر الرسول صلي الله عليه وسلم إلى البلد الأمين وإلى الجبال التى كان يأوى إليها حين يشتد أذى قريش فترقرقت فى عينه دمعة شكرًا لله ثم سار حتى بلغ البيت الحرام فطاف سبعاً ثم استلم الحجر الأسود وتكاثر الناس حوله فى المسجد فخطبهم وتلا عليهم قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ} [الحجرات: ١٣].

ثم قال:♂**يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم؟**— فقالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال:♂**اذهبوا فأنتم الطلقاء**— وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن أهل مكة جميعاً.

وهكذا سقط أكبر معقل للوثنية فى بلاد العرب فى ٢٠ رمضان سنة ٨ هـ.

تطهير الكعبة من الأصنام: -

دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم الكعبة وكان بداخلها وخارجها أصنام تعبدها قريش فأخذ يشير إليها بقضيب فى يده ويقول:{ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾} [الإسراء: ٨١].

وأمر باخراجها وتحطيمها وتطهير البيت الحرام منها.

نتائج فتح مكة: -

١ - قضى الإسلام على الوثنية والشرك فى أغلب جزيرة العرب وأنشأ لها نظماً وتشريعات جديدة سعدت بها وارتقت.

٢ - قضى على عهد الصراع بين القبائل فانصرفت على نشر الإسلام.

العبرة من فتح مكة: -

العفو عند المقدرة بعد أن تم فتح مكة واجتمع الناس من حول رسول الله صلي الله عليه وسلم نظر فرأى من ائتمروا عليه ليقتلوه ومن قاتلوه فى بدر وأعلنوا له العداء فى أحد وحاصروه فى غزوة الخندق وعذبوه وأصحابه نظر إليهم وهم جميعاً فى قبضة يده - وأمره نافذ فى رقابهم وحياتهم رهن كلمة ينطق بها ومع كل هذا فقد نظر لهم نظرة كلها عفو ورحمة قائلاً لهم:♂**اذهبوا فأنتم الطلقاء▬** فكان مثلاً أعلى للعالم كله فى سمو النفس والعفو عند المقدرة.

المحافظة على الدماء: -

كما ضرب المثل الأعلى فى المحافظة على الدماء بإصدار الأوامر إلى قادة الجيوش ألا تسفك دماً إلا إذا أكرهت إكراهاً وقد كان من أثر هذه السياسة أن كسب الرسول قلوب أهل مكة فأقبل على الإسلام فتيان قريش وشيوخها ولم يحجم عنه إلا نفر أكل الحسد قلوبهم وسيطر العناد على أفئدتهم..

فضل ليلة القدر:

بسم الله الرحمن الرحيم..{إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾} [القدر: ١ - ٥].

{إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ} أي: القرآن روى أنه نزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزل على رسول الله صلي الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة إليه.

وسميت ليلة القدر بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغيره ويسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر وهذا يصلح أن يكون جمعاً بين القولين فى قوله تعالى:{ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾} [الدخان: ٤]، وقد قيل: إنها ليلة النصف من شعبان وقيل: ليلة القدر وقيل سميت بذلك: لضيقها بالملائكة، وقيل سميت بذلك: لعظمها، وشرفها وقيل سميت بذلك: لأن للطاعة فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً.

وقيل: لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر على رســول الله و على أمته وقيل سميت بذلك: لأن للطاعة فيها قدراً عظيماً وثوابا جزيلاً.

ومعنى أن الله تعالى يقدر الآجال والأرواح أن يظهر ذلك للملائكة ويـأمرهم بفعل مـا هو كـائن و يكتـب لهم مـا قدره فى تلك الســـنة ويعرفهم إياه..

وليس المراد منـه أن يحدثـه فى تلك الليلـة لأن الله تعـالى قـدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض..

ولليلة القدر أربعة أسماء ليلة القدر وليلة البركة وليلة السلام وليلة الرحمة وليلة القدر أفضـــل فى حق الأمة لأنها خير من عمل ثمانين سنة ممن قبلهم..

عـن عبـادة بـن الصـامت أنـه سـال رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم عـن ليلـة القـدر فقـال:♂**فى رمضـــان فالتمســـوها فى العشرـــ الأواخــر مــن رمضــان▬**، وقـال بـن عبـاس رضـى الله عنهمـا: هـى ليلـة سـبع وعشـرين وهـو مـذهب أكثـر أهـل العلـم ومـا روى عـن ابـن عمـر رضـى الله تعـالى عنهمـا قـال: قـال رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم :♂**مـــن كـــان متحريـــاً إياهـــا فليتحرهـــا ليلـــة ســـبع وعشرـــين▬** يعنـى ليلـة القـدر، رواه مسـلم. واسـتنبط ذلـك بعضـهم مـن أن ليلـة القـدر ذكـرت ثـلاث مـرات وهـى تسـعة حـروف واذا ضـربت تسـعة فـى ثلاثـة يكـن سـبعة وعشـرين وقيـل فـى الـوتر فـى العشر الأواخر من رمضان.

ويسن لمن رآها أن يكتمها وأن يكثر من الدعاء فى ليالى رمضان وأن يكون من دعـائـه: اللهم إنـك عفو تحـب العفو فـاعف عنى. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

٣٤ ـ انتهاء رمضان وزكاة الفطر

الحمد لله الباقى على الدوام مالك الملك ذى الجلال والإكرام بيده الخير وهو على كل شـــئ قدير.. وأشــــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له هو الأول والآخر والظاهر والباطن أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وهو بكل شـــئ عليم وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وأشهد أن محمداً عيده ورسوله وصفيه وخليله أمرنا أن نتخذ من ماضينا وحاضرنا عظة وعبرة ننتفع بهما فى مستقبلنا..

ولا عجب فهو صلي الله عليه وسلم السراج المنير البشير النذير اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته وترسم خطاه ابتغاء رضوان الحكم العدل اللطيف الخبير..

أما بعد..

فيا عباد الله.. يقول الله تبارك وتعالى وهو أصـــدق القائلين:{أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت: ٤٠].

أيها المؤمنون:

يريد الله فى هذه الآية أن يرشـــد الناس إلى الطريق المحتوم وبنهاية الشـــوط لكل من المفرطين والطائعين المتقين وينبه العقول والقلوب إلى نهاية كل من الفريقين ليختار كل إنســـان ما هو خير له وليعمل على ما يوصـــله إلى ما اختاره لنفســـه وأخبر أن كل إنســـان مجزى بما عمل من خير أو شـــر وكأنه يريد القول أي الفريقين خير عندكم وفى اعتقادكم هل هو الذى ألقى فى النار يصـلى عذابها أم هو الذى يأتى يوم القيامة آمنا مطمئنا بحســـن عمله فيدخل الجنة متمتعا بنعيمها..

إذا عرفتم خير الفريقين فاعملوا ما شئتم من خير أو شر فالله الذى خلقكم وبين لكم نهاية الخير والشر مطلع على أعمالكم لا تخفى عليه خافية (أيها المؤمنون) ها هو شهر رمضان قد انتهى وهكذا تنتهى الآجال فلكل أجل كتاب تذكروا أيها المؤمنون، من ماتوا هذا العام من أقاربكم وأصدقائكم وأحبائكم ومعارفكم تذكروا أنهم كانوا فى مثل هذا اليوم يجلسون معكم فى مثل هذا المكان كما تجلسون ويصلون كما تصلون ويتمتعون كما تتمتعون فهاهم قد فارقوكم إلى بطن الأرض حيث انتهت آجالهم وأنتم فوق ظهرها..

تذكروا هؤلاء وترحموا عليهم واتعظوا بالموت وبانتهاء الآجال فكفى بالموت واعظاً ثم تعالوا بنا نحاسب أنفسنا على مما قدمنا فى شهر رمضان الكريم الذى نحن فى نهايته وإذا أردنا أن نجرى الحساب فإنما نجريه مع الذين دخلوا مدرسة رمضان أما الذين لم يدخلوها بدون عذر فحسابهم على الله ولا حساب لنا معهم لأنهم من الفريق الأول الذى استوجب لنفسه غضب الله فمصيرهم جهنم وبئس المصير أما الذين دخلوا مدرسة رمضان وانتفعوا بدروسها فهم الذين يأتون يوم القيامة آمنين مطمئنين فرحين مستبشرين فيا من وفقكم الله لدخول هذه المدرسة.

هل انتفعتم بدروسها؟ هل امتنعتم عن جميع المحرمات طمعاً فى ثوابه وخوفاً من عقابه كما امتنعتم عن المباحات أثناء صيامكم طمعاً فى ثوابه وخوفا من عقابه وهل أدركتم فى صيامكم قيمة نعم الله عليكم عندما حرمتم منها أثناء صيامكم فقمتم بشكر الله على نعمه؟

وهل أحسستم أثناء صيامكم بآلام الجوع فأدركتم آلام الفقراء الجائعين فقمتم بمعاونتهم والعطف عليهم بما يسد حاجتهم وهل تهذبت نفوسكم أثناء الصيام حين صبرتم على مقاومة شهواتكم من المفطرات فتعودتم الصبر على احتمال المكاره والمشقات..

وهل أدركتم تقدماً فى صحتكم بفضل الصيام فعملتم على تربية أولادكم على حبه؟

وهل أدركتم قيمة دينكم بفضل ما تلوتموه من القرآن فى رمضان؟ الذى هو دستور الإسلام والمسلمين وفهمتم قيمة هذا الدستور الأعلى فأخذتم أنفسكم باحترامه..

وهل أدركتم النظم المستفادة من الصيام حيث تحددت مبادئ الصيام وأوقات الإفطار لجميع الأفراد بلا فرق وبلا استثناء هل أدركتم هذا فتعودتم النظام فى جميع تصرفاتكم إن من وفقهم الله لهذا كله هم الفائزون بالنجاح فى هذه المدرسة المنتفعون بدروسها أولئك عند الله هم الآمنون..

اما الذين دخلوا مدرسة رمضان وسيخرجون منها على ماكانوا عليه لا يمتنعون عن المحرمات أو كانوا يصومون ولا يصلون أو يصلون فى رمضان ويتركون الصلاة فى غير رمضان أو جحدوا نعمة الله فلم يشكروا الله على نعمه واستمروا فى بخلهم وشحهم على الفقراء واستمروا فى ازدياد الغضب الطائش والعربدة لأتفه الأسباب

فهؤلاء هم الذين خرجوا من مدرسة رمضان خاسرين قد أضاعوا أوقاتهم فيها دون أن يستفيدوا منها شيئا فلم يوفقهم الله إلى الخير المنتظر من هذه المدرسة وهم الذين وصفهم النبى صلي الله عليه وسلم بقوله:♂**كم من صائم لم يستفد من صيامه سوى الجوع والعطش**ـــ رواه مسلم.

أيها المؤمنون: اعملوا على أن تحققوا لأنفسكم ولمواطنيكم الفوائد والثمرات التى من أجلها فرض ربكم الصـــيام عليكم فإنكم إن فعلتم هذا تمت لكم السعادة والسيادة وفزتم برحمة الله وفضله ورضوانه فى الدارين قال صلي الله عليه وسلم :♂**من صام رمضان وأتبعه ستة من شوال فكأنما صام الدهر كله**▬ رواه أبو داود.

زكاة الفطر:

المقصـــود بزكاة الفطر: ما يخرجه الإنســـان من مال للفقراء والمحتاجين قبل حلول عيد الفطر من شهر رمضان..

وحكمها: أنها فرض عين عند جمهور الفقهاء فقد جاء فى الصـــحيحين البخارى ومســـلم عن ابن عمر رضـــى الله عنهما أنه قال:♂**فرض رسول الله** صلي الله عليه وسلم **زكاة الفطر فى رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة**▬ أي: صلاة العيد وقد فرضها النبى صلي الله عليه وسلم وأمر بها فى السنة التى فرض فيها الصيام من السنة الثانيه للهجرة والحكمة من مشروعيتها: شرعت زكاة الفطر لحكم سامية ومقاصد عالية منها: التوسعة على المحتاجين وســـد حاجتهم وجبر النقص أو الخطأ الذى يكون قد وقع فيه الإنسان خلال صومه فقد أخرج أبو داود فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال:

فرض رسول الله صلي الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمســاكين من أداها قبل الصــلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصــلاة فهى صدقة من الصدقات. رواه البخارى ومسلم

وتجب زكاة الفطر على كل مسـلم قادر على إخراجها حتى ولو كان يملك نصاب الزكاة وإنما يملك ما يزيد عن قوته وقوت أسرته فى يوم العيد ولا مانع من أن يدفع فى هذه الحالة الزكاة لغيره من الفقراء والمساكين وأن يقبلها ما دام محتاجا لها ويخرجها المسلم عن نفسه وعن الأشخاص الذين تلزمه نفقاتهم كأولاده ووالديه وزوجته وغيرهم ممن هم فى كفالته ويتولى الإنفاق عليهم وأفضل وقت لإخراج زكاة الفطر هو ليلة العيد ولا تسقط زكاة الفطر لحاجة المحتاجين الذين قال الرسول فى شأنهم :♂**أغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم▬** رواة مسلم، روى أبو داود عن عبد الله بن ثعلبة رضى الله عنه قال خطب رسول صلي الله عليه وسلم قبل يوم الفطر بيوم أو يومين فقال:♂**أدوا صاعاً من بر أو قمح أو صاعاً من تمر أو شعير عن كل حر أو عبد صغير أو كبير▬**.

والصاع بالكيل المصرى يقدر بقدحين وثلث والكيلة تكفى ستة أفراد عند الحنفية والصاع عند المالكية والحنابلة قدح وثلث والكيلة عندهم تكفى ستة أفراد أما الشافعية فالصاع عندهم قدحان والكيلة تكفى أربعة أشخاص والحنفيه وحدهم يرون أنه يجوز دفع زكاة الفطر نقداً، لأن النقود قد تكون أنفع للفقراء وهذا ما يسير عليه معظم سكان المدن المصرية لأن هذا أيسر لهم..

وأما المالكية والشافعية والحنابلة يرون أن دفع زكاة الفطر تكون من غالب قوت البلد سواء كان الغالب قمحا أو أرزا أو شعيرا..

ومصارف زكاة الفطر هى مصارف الزكاة الذين جاء تحديدهم فى قوله تعالى:{إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ} [التوبة: ٦٠].

ولا يجوز للمزكى نقل صـدقة الفطر من بلد إلى بلد آخر إلا لعذر قوى كـأن ينقلهـا لقريب لـه محتاج أو كأن يكون أهل البلد الذى يعيش فيه حالتهم ميسـورة أو ليسـوا فى حاجة إلى زكاة الفطر بينما غيرهم فى بلد آخر فى حاجة شديدة إليها..

يقول رسول الله تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنة نبيه

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

٣٥ ـ عيد الفطر المبارك

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الرحيم الذى وسعت كل شئ رحمته الله أكبر هوالعزيز الذى سـجلت على الأشـقياء نقمته الله أكبر هو الوهاب الذى غمرت العالمين نعمته الله أكبر هو الجبار الذى يخشـى جبروته الله أكبر هو الحكيم الذى تجلت فى العالمين حكمته وعظمت فى الكائنات قدرته.

لا إله إلا هو على كل شئ قدير الله أكبر ما وفق الله المسلمين إلى صيام رمضـان الله أكبر ما أخلصوا فى صيامهم وقيامهم امتثالاً لأمر الله وطمعاً فى الرحمة والرضوان.

الله أكبرما فتحوا بيوتهم فى هذا الشـهر لتلاوة القرآن الله أكبر ما امتلأت قلوب المسلمين بالفرحة فى شـهر رمضـان الله أكبر ما تأثر الصـائمون بابتعادهم عن المباحات فابتعدوا عن المحرمات الله أكبر مـا أدركوا نعم الله فى صـيـامهم فشـكروا عليهـا رب الأرض والسموات..

الله أكبر ما دفعهم الصـيام إلى الإشـفاق والعطف على الفقراء وذوى الحاجات الله أكبر ما أدى كل مسلم زكاته فى هذا الشهر الكريم وعلى مقاومة النفس والشهوات فى صيام رمضان قد صبر..

الله أكبر ما ابيضت وجوه الصائمين بما أكرمهم العزيز الغفار الله أكبر ما اسودت وجوه المعرضين عن الصيام فحلت بهم نقمة الجبار الله أكبر ما اسـتقبل الصـائمون عيدهم بفرحة وأمل فى رحمة الله أن يدخلهم جنـات تجرى من تحتهـا الأنهـار الله أكبرمـا دخل العيد على المجرمين المسـتهزئين بدين الله وقد سـجل عليهم غضـب الله وعذابه فكانوا من أهل النار.

الله أكبر ما رفع كل مسلم صوته فى مثل هذا اليوم الكريم بالتكبير والتهليل وإظهارا لشعائر الدين ورغبة فى أن ينال من الله الحظ الأوفر..

الحمد لله الذى توالت نعمه على الصائمين فى رمضان..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل عيد الفطر مكافأة ومنحة للمجاهدين نفوسهم المكافحين شهواتهم أثناء صيامهم. إنه بالناس لرءوف رحيم..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله البشير النذير والسراج المنير صاحب الخلق العظيم اللهم صلى على محمد عبد الله ورسوله وعلى آله وأصحابه والتابعين..

أيها المؤمنون: -

إن يومكم هذا يوم سعيد إنه يوم فرح وسرور لأنه موسم ربح فيه من ربح والله يباهى بالأتقياء من أهل الأرض أهل السماوات فياسعادة من اغتسل فيه بطيب التقى والعفاف ويا فوز من جمع فيه إلى لباس الزينة لباس الضراعة والخشوع فالعيد لمن خشى يوم الوعيد ولمن لمولاه يخلص إخلاص الأتقياء أولئك يفرحون يوم يحزن الناس ويأمنون يوم يخاف الناس ويرضون عن الله قائلين الحمد لله الذى أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين..

أيها المسلم لقد انقضى شهر رمضان وكأنه طيف وخيال أو أضغاث أحلام رحل عنا هذا الشهر الكريم كما رحلت قبله أعوام وسنون رحل عنا شهر رمضان بأعمال العباد فمنهم المقبول ومنهم من حقت عليه كلمة العذاب وكتب من الأشقياء فيا سعادة من كان هذا الشهر شاهداً له بالحسنى ويا شقاء من كان شاهداً عليه بأعماله السيئة

ولقد فاز من أحسن صيامه وحفظ لسانه من الغيبة والنميمة والكذب وحافظ على الصلاة وأخرج زكاة الفطر سراً وعن طيب نفس..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: " إن رسول الله عليه الصلاة والسلام صعد المنبر فقال: آمين ثم صعد الدرجة الثانية فقال: آمين ثم صعد الدرجة الثالثة فقال: آمين ثم استوى فجلس فقال له معاذ بن جبل: صعدت فأمنت ثلاث مرات فما حكمته يا رسول الله..

قال:♂**أتانى جبريل قال: يا محمد من أدرك شهر رمضان ولم يصمه إلى آخره ولم يغفر له دخل النار فابعده الله منها فقلت: آمين، وقال: من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يبرهما فمات دخل النار فأبعده الله منها فقلت: آمين، وقال: من ذكر عنده اسمك ولم يصل عليك دخل النار فأبعده منها فقلت آمين▬** رواه مسلم.

عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال :♂**إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله يا ملائكتى كل عامل يطلب أجره وعبادى الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم اشهدوا أنى قد غفرت لهم، فينادى منادى يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم قد بدلت سيئاتكم حسنات فيقول الله تعالى: صمتم لى وأفطرتم لى فقوموا مغفورا لكم▬**. رواه مسلم عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال:♂**رمضان أوله رحمة وأوسطة مغفرة وآخره عتق من النار▬**.

قال أنس بن مالك: للمؤمنين خمسة أعياد..

١ - كل يوم يمر على المؤمن لا يكتب فيه ذنب فهو يوم عيد.

٢ - اليوم الذى يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد.

٣ - اليوم الذى يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال يوم القيامة ويخلص من أيدى الخصوم والزبانية فهو يوم عيد..

٤ - اليوم الذى يدخل فيه الجنة ويأمن من الجحيم فهو يوم عيد.

٥ - اليوم الذى ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

ملاحظة:

على الخطيب أن يجلس بعد إتمام هذه الخطبة جلسة خفيفة ثم يقوم فيكبر سبع مرات ثم يأتى بالخطبة الثانية للجمعة (النعت) ويختمها بقولة: ربنا تقبل منا إنك السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم و اجعلنا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

* * *

٣٦ ـ فضل الدعاء

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداه والنعمة المسداة والسراج المنير اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله والتابعين أجمعين.

أما بعد...

فيا عباد الله.. الله يستجيب لدعوة المؤمن إذا كانت خيراً ويمنع الاستجابة التى لا تحقق للمؤمن خيراً وقد يظن الإنسان فى أمر ما خيراً ويعلم الله أنه ليس خيراً له والخير الذى يعلمه الله فوق الخير الذى يعلمه البشر.

والإنسان يتعجل بطبعه وقد يخطئ فيما يراه خيراً بينما هو شر فالرجل فى ساعة الغضب قد يدعو على ولده بالهلاك لكن إذا هلك ولده حزن.

{وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾} [الإسراء: ١١].

أصاب المدينة قحط وبينما رسول الله يخطب على المنبر قام رجل وقال: يا رسول الله هلكت الخيل وهلكت الأغنام فادع الله أن يسقينا ودعا رسول الله صلي الله عليه وسلم فأمطرت السماء أسبوعاً وإلى أن جاء يوم الجمعة من الأسبوع الآخر قام رجل ورسول الله يخطب وقال يا رسول الله تهدمت بعض البيوت من المطر فادع الله أن يحبس المطر فابتسم رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال:♂**اللهم حوالينا ولا علينا**▬ فابتعد السحاب ليمطر حول المدينة فقط وصدق الله:

{ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ } [الأنبياء: ٣٧].

س ١ : وهل يستجاب دعاء الكافر؟

جـــ ١ : لا يستجاب بدليل قوله تعالى:{وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ} [غافر: ٥٠].

وما نراه حولهم من متع الدنيا هو نقمة وليس نعمة لأن الله يقول:{وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ } [محمد: ١٢].

س ٢ وهل الدعاء يرد القضاء والبلاء؟

جـــ ٢: نعم الدعاء عدو للبلاء يقاومه ويمنع نزوله أو يضعف قوته إذا نزل وللدعاء مع البلاء ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون أقوي من البلاء فيمنعه ويرده.

الثانية: أن يكون أضعف من البلاء فيتغلب عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن الدعاء يخففه

الثالثة: أن يتقاوما ويمنع كل منهما الآخر قال صلي الله عليه وسلم :♂**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان ويقاوم أحدهما الآخر إلى يوم القيامة**▬ رواه مسلم.

وفى حديث آخر:♂**لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**▬ رواه البخارى ومسلم.

نتيجة الدعاء: –

والمسلم ينال من دعائه إحدى ثلاث: -

١ - إما أن تعجل له دعوته.

٢ - وإما أن تدخر له فى الآخرة.

٣ - وإما أن يبعد الله عنه من السوء والشر ما يعادلها.

نصيحة ابن أدهم:

اجتمع إبراهيم بن أدهم بأهل البصـــرة قالوا: ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا.

قال: لأن قلوبكم ماتت. قالوا: ما الذى أماتها؟ قال: عشر خصال:

١ - عرفتم الله فلم تؤدوا حقه.

٢ - وزعمتم حب النبى صلي الله عليه وسلم وتركتم سنته.

٣ - وقرأتم القرآن ولم تعملوا به.

٤ - وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها.

٥ - قلتم إن الشيطان عدوكم واتبعتموه.

٦ - قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

٧ - قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

٨ - قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

٩ - اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

١٠ - دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

قصة أبو حمزة الخرساني:

أبو حمزة الخرساني خرج للحج ومشى في الصحراء ليلاً متوكلاً على الله فوقع في بئر قال: فأردت أن أستغيث ولكنني قلت: بمن أستغيث ولا آدمى هنا..

فبينما أنا أحدث نفسي إذا برجلين يمران على مسافة قريبة من البئر فقلت: أصيح اليهما ولكنني سكت وقلت: أصيح بمن هو أقرب منهما ألم يقل الرب:{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦]، ثم سكت فإذا بشئ يتدلى في البئر فتعلقت به وخرجت فإذا هو ذيل سبع فنظر إليّ وانصرف فهتف بي هاتف يا أبا حمزة:

قد يعطى الله الخير بدون سؤال ففى الحديث القدسي:♂**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أضعاف ما أعطى السائلين**▬ رواه أبو داود.

استجابة الله للمظلوم:

وهو يستجيب دعاء المظلوم قال صلي الله عليه وسلم :♂**اتقوا سهام الليل**▬ قالوا وما سهام الليل يا رسول الله؟ قال:♂**دعوة المظلوم في جوف الليل**▬ رواه مسلم.

ونذكر قول الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ::: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ::: يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

من دعاء رسول الله صلي الله عليه وسلم :

١ - ومن الدعاء حال التوجه إلى المسجد ما روى عن ابن عباس أن النبي صلي الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة وهو يقول:♂**اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وخلفي نوراً وفي عصبي نوراً وفي لحمي نوراً وفي دمي نوراً وفي شعري نوراً**▬ رواه البخاري ومسلم.

٢ - ومن دعائه:♂اللهم إنى أســألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وأسألك علما نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً— رواه مسلم.

٣ - ومن دعائه صلي الله عليه وسلم :♂اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى واصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل اللهم الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين— رواه مسلم.

٤ - ومن دعائه صــلي الله عليه وســلم :♂اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بـك من العجز والكســل وأعوذ بك من البخل والجبن وأعوذ بك من غلبة الدين ومن قهر الرجال— رواه البخاري.

٥ - ومن دعائه صــلي الله عليه وسـلم :♂اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما اســتطعت أعوذ بك من شر مـا صــنعـت وأبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت— رواهما البخارى.

من دعاء الأنبياء فى القرآن:

١ - من دعـاء إبراهيم:{ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾} [البقرة: ١٢٨].

٢ -{رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ } [البقرة: ٢٥٠].

٣ -{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ } [البقرة: ٢٨٦].

٤ - ومن دعاء إبراهيم:{رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾} [إبراهيم: ٣٥ - ٤١].

٥ -{رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾} [طه: ٢٥ - ٢٨].

قصة أحمد بن حنبل وتلميذه:

مرضت والدة أحد تلاميذه مرضاً أقعدها عن المشى وتعب التلميذ فى علاجها أكثر من عشر سنوات وشكى يوماً إلى زميل له فدله على الإمام أحمد ليطلب دعاءه لها.

وذهب الشاب إلى الإمام وقص عليه قصة أمه فقال الإمام: يا بنى نحن الذين فى حاجة إلى دعائها ولم يدع لها فخرج الشاب حزيناً ولما انصرف لحقت به عجوز من داخل الدار وقالت له: أبشر فوالله ما غادرت المكان حتى توجه الإمام إلى الله ودعا لها وذهب الشاب إلى منزله وطرق الباب وكم كانت دهشته إذ جاءت أمه تفتح له الباب لقد سرى إلى السماء دعاؤه فى لمح البصر وكان مقبولاً عند الله.

الدعاء من غير طاعة لا يفيد:

١ - ســعد بن أبى وقاص، أحد العشــرة المبشــرين بالجنة وأول من رمى بسـهم فى سبيل الله قال يا رسول الله ادع الله لى أن أكون مستجاب الدعوة وكان يكفى أن يرفع يديه ويدعو ربه ليكرم سعد باستجابة الدعاء.. ولكنه لم يســلك هذا الطريق وإنما دله على العمل الصـــالح فقال له:♂**يا سـعد أطب مطعمك تسـتجب دعوتك**▬ وواظب سـعد على أكل الحلال حتى أصبح مستجاب الدعاء وكان يرى السنبلة فى حشيش دوابه فيقول؟ ردوها من حيث حصدتموها وقد كف بصـره وهو كبير فقيل له: ادع الله أن يعيد إليك بصـــرك فقال: أعلم ذلك ولكن قضـــاء الله أحب إلىّ من رد بصرى.

وثوبان مولى رسول الله صلي الله عليه وسلم:

يتحســر على فراق رسـول الله فى الآخرة ويطلب من الرســول أن يكون رفيقه فى الجنة فكان يكفى أن يدع له رســـول الله ويطمئنه ولكن الوحى ينزل بالقرآن مرشـداً إلى طريق الوصـول إلى رسـول الله فى الآخرة وهو الطاعة لله ورسـوله:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾} [النساء: ٦٩، ٧٠].

٣ - ويجمع الرســـول أعز النـاس عنده فـاطمـة وصـــفيـة بنت عبد المطلب والعباس.

ويقول: ♂**يا فاطمة ابنتى ويا صفية عمتى ويا عمى العباس اعملوا فإنى والله لست أُغنى عنكم من الله شيئاً إن لى عملى ولكم عملكم**▬ رواه مسلم.

وكان يكفى أن يرفع يديه ويدعو الله أن يجعلهم من أهل الفردوس الأعلى وهو الطاهر الأنفاس المقبول الرجاء المستجاب الدعاء لأنه يطبق قانون العمل والطاعة يا بنى عبد المطلب لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم:{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾} [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

٤ - وكان صلي الله عليه وسلم يدعو ربه لنصرة الحق ولكن بعد أن يأخذ بالأسباب ويعد العدة وينزل بنفسه إلى الميدان ويدير خطط الحرب ويأمر أصحابه بالتقوى:{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ } [آل عمران: ١٤٦].

٥ - الاهتمام بالناس وإكرامهم وعدم ظلمهم من عناصر استجابة الدعاء وقال صلي الله عليه وسلم لأنس: ♂**يا بنى إذا قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل يا بنى إن ذلك من سنتى فمن أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة**▬ رواه مسلم.

٦ - ويزداد الإنسان صفاءً وقبولاً بحبه للقرآن ولرسول الله أما القرآن فقد قال صلي الله عليه وسلم : ♂**إذا أحببت أن أناجى ربى قرأت القرآن**▬ وقال: ♂**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**▬.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ♂**إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**▬ قالوا: يا رسول الله، فما جلاؤها؟ قال: ♂**تلاوة القرآن**▬ رواه النسائى عن أبى ذر قال: قلت: يا رسول الله أوصنى قال: ♂**عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله**▬ قلت: يا رسول الله زدنى، قال: ♂**عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخرا لك فى السماء**▬ رواه مسلم.

الدعاء واليقين من الإجابة:

قصة أبى الدرداء: -

جاء رجل إلى أبى الدرداء وقال شب حريق وقد احترق بيتك فقال أبو الدرداء لم يحترق ولم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلي الله عليه وسلم من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبه حتى يصبح.

" اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شئ قدير و أنه قد أحاط بكل شئ علماً اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم " ثم قام ابو الدرداء مطمئناً فإذا به يجد البيوت التى حول بيته قد احترقت وأما بيته فلم يصبه أذى، رواه البيهقى.

" الطاعة والإحسان نعمة وجحود النعمة يعرضها للزوال ".

١ - الله يعطيك الصحة فتستخدمها فى إيذاء الناس.

٢ - ويعطيك المال فتنفقه فى المعصية.

٣ - وينعم عليك بالعقل فتستغله فى الفساد.

وهنا يبدل الله الصحة مرضاً والمال فقراً والعقل جنوناً أو ضعفاً والعزة ذلاً.

ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة.

* * *

٣٧ ـ الدعاء عبادة عظيمة

الحمد لله الذى يوفق من أقبل عليه ويكرم كل من رجع إليه وأشهد بما شهد به لنفسه " أشهد أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير اللهم صلى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين..

أما بعد..

فيا عباد الله... عن عبد الله بن عباس قال: كنت أصلى خلف النبى صلي الله عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتعت على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف، رواه البخارى ومسلم.

شرح الحديث: –

احفظ الله بالطاعة والبعد عن المعصية يحفظك الله فى نفسك وأهلك ودنياك ودينك... إذا سألت فاسأل الله لأنه لا يصح للإنسان أن يسأل غير ربه وفى الحديث:♂**ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شعس نعله▬** (رواه مسلم) ومن هنا قال لموسى: سلنى فى دعائك حتى فى ملح طعامك.

الدعاء عبادة عظيمة: -

قال صلي الله عليه وسلم :♂**لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**▬ رواه مسلم وقال:♂**وما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**▬ رواه البخارى وقال صلي الله عليه وسلم :♂**من لم يسأل الله غضب عليه**▬ (رواه مسلم).

وقال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله ::: وبنى آدم حين يسأل يغضب

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا ::: إذا قيل هاتوا أن يملوا فيمنعوا

فما أعظم أن يلوذ المسلم بالله وأن يقف ببابه سائلاً والدعاء مطلوب فى اليسر لتستديم النعمة ومطلوب فى الشدة لاستمطار رحمات الله.. قال تعالى:{وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾} [الأنعام: ١٧].

قال تعالى:{أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ} [النمل: ٦٢].

وفى قصة زكريا بعد أن بلغ به اليأس بامرأته حيث كانت عقيماً لا تلد استجاب الله له.

{وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ} [الأنبياء: ٨٩، ٩٠]. وفى القرآن آيات كثيرة إذا قرأها الإنسان استغنى بالله عن الناس.

سؤال الله: -

وســؤال الله هو الدعاء وليس شــئ أحب إلى الله منه وقد جاء فى الأثر أن الدعاء مخ العبادة أي هو منها بمنزلة المخ فى الإنسـان وفى الحديث:♂**الدعاء هو العبادة**▬ ولعل السر فى ذلك حضور القلب عند الدعاء والدعاء شكوى إلى الله ولذلك حثنا القرآن عليه ".

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} [البقرة: ١٨٦].

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} [غافر: ٦٠].

وفى الحديث:♂**سـلوا الله من فضـله فإن الله عز وجل يحب أن يسـأل وأفضل العبادة انتظار الفرج**▬ رواه البخارى.

إجابة الدعاء:

وقد ضـــمن الله الإجابة ولكن فى الوقت الذى يريده هو لا فى الوقت الذى تريده أنت وفى الحديث:♂**إن العبـد لا يخطئـه من الدعاء إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن تدخر له فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها**▬ رواه ابن ماجة.

اختلاف الداعين:

ومن عباد الله من يحب أن يســـمع دعاءهم فيبتليهم ليقولوا يارب ومنهم من ينطبق عليهم: إذا سأل عبد ربه مسألة يقول الله: يا جبريل اعطه مسألته فإنى لا أحب أن اسمع صوته.

أقسام الدعاء: –

١ - واجب كأن تسال الله الإيمان وحسن الختام.

٢ - مندوب كالدعاء لطلب الرزق والإنجاب والمغفرة والهداية وكل دعاء ورد فى القرآن. والسنة فهو دعاء جائز يشمل المندوب والواجب.

٣ - الدعاء المحرم أن تدعو الله بدعوة فيها سوء أدب أو بأن تقول: اللهم اغفر لى إن شئت لقوله صلي الله عليه وسلم :♂**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت لأن هذا متضمن معنى الاستغناء وعدم الاحتياج▬** رواه مسلم، وكأنك تقول إن شئت أن لا تغفر فلا تغفر.

ومن الدعاء المحرم دعاء اللص حين يسرق...

ومن الدعاء المحرم: اللهم اغفر للمؤمنين جميع ذنوبهم أو اللهم لا تضيق على أحد من خلقك أبداً أو اللهم لا تدع لأحد من المؤمنين فى هذا اليوم ذنباً إلا غفرته ولا عيباً إلا سترته لماذا؟ لأن سنة الله فى الكون اقتضت أن يغفر للبعض دون البعض وأن يعافى فريقاً دون الآخر وإنما يكون الدعاء عام للمؤمنين بدون تحديد..

{يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

٤ - الدعاء المكروه: مثل قول بعض المأمومين استعنت بالله حين يقول الإمام إياك نعبد واياك نستعين لأن الفاتحة نفسها دعاء ومن هنا يجب على المأموم السكوت حتى إذا قال الإمام ولا الضالين قال آمين بمعنى استجب يا الله ولذلك قال صلي الله عليه وسلم :♂**إن اليهود لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين▬** وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يجهر بها صوته

والمأمون خلفه يجهرون بها حتى يرتج المسجد ذلك فى صلاة المغرب والعشاء والصبح.

ومن الدعاء المكروه التعجيل بالعقوبة فى الدنيا فعن أنس أن رسول الله عاد رجلاً من المسلمين قد ضعف فصار مثل الفرخ - أي ضعيف - فقال له: هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه قال: نعم، كنت أقول: اللهم إن كنت معاقبا لى فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**▬ رواه الترمذي.

والدعاء المكروه: مثل تمنى الموت لضر نزل به قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ♂**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى**▬ رواه مسلم.

آداب الدعاء وشروطه:

أولاً: آداب تسبق الدعاء:

١ - الوضوء. ٢ - التوبة ورد المظالم.

٣ - الأكل الحلال والمشرب الحلال والملبس الحلال، إنما يتقبل الله من المتقين. قال صلي الله عليه وسلم :♂**إن الله طيب لا يقبل إلاطيبا**▬.

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا} [المؤمنون: ٥١]، ثم ذكر:♂**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له**▬ رواه البخارى ومسلم.

فأكل الحرام مانع من إجابة الدعاء وفعل المعاصـــى عموماً مانع من إســـتجابة الدعاء فقال تعالى:{إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ} [فاطر: ١٠].

٤ - ترقب الأوقات الفاضـــلة كالسْـــحَر وأثناء نزول المطر وعند إقامة الصـلاة وعند اشتداد الكرب وبين الآذان والإقامة ووقت السْحَر وعند الفجر ويوم الجمعة وعقب تكبيرة الإحرام وفى آخر التشـهد وقبل الســـلام وعند صـــعود الإمام على المنبر يوم الجمعة وحتى انتهاء الصـلاة ووراء الصلوات المفروضـة قال صـلي الله عليه وسلم :♂**إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضـوا لها لعل أن يصـيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا▬** رواه البخارى ومسلم.

ثانياً: آداب أثناء الدعاء: –

١ - التوجه للقبلة.

٢ - بدأ الدعاء بذكر الله ويقدم صدقة إن أمكن.

٣ - رفع اليدين.

٤ - البدء بالحمد والثناء.

٥ - ثم الصـلاة والسـلام على رسـول الله ثم يسـأل حاجته ثم يختم بالصـلاة والسلام على رسول الله لأن الصـلاة على النبى مقبولة والله أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد الدعاء الذى بينهما.

٦ - يخفض الصوت بحيث يكون بين الجهر والمخافتة.

٧ - يدعو بالمأثور من كتاب الله وسنة رسوله وفى ذلة وانكسار وخشوع.

٨ - التيقن من الإجابة لقوله صلي الله عليه وسلم: ♂**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه▬.**

٩ - يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثاً: {ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً} [الأعراف: ٥٥].

١٠ - لا ترفع بصرك إلى السماء.

١١ - امسح وجهك بيديك.

ثالثاً: آداب بعد الدعاء:

١ - دوام الخشوع.

٢ - المبالغة فى التقرب إلى الله لأنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة.

٣ - انتظار الفرج ففى الحديث القدسى: ♂**من ذا الذى دعانى فلم أجبه وسألنى فلم أعطه واستغفرنى فلم أغفر له وأنا أرحم الراحمين▬** حديث قدسى.

الإمام البخارى:

ذهب بصره وهو صغير وعمى وكانت أمه مجابة الدعوة فدعت له فرأت رسول الله فى المنام يقول لها قد رد الله بصر ابنك لكثرة دعائك وقامت من نومها مسرعة إليه فإذا بصره قد رد إليه وقد ألهم حفظ الحديث فى صغره وهو ابن عشر سنين أو أقل وحج به أبوه وكان الإمام مسلم كلما دخل عليه يسلم ويقول دعنى أقبل رجليك يا طيب الحديث ومن شعره:

اغتنم من الفراغ قدر ركوع ::: فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ::: ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

سعيد بن جبير:

هو ســـيد التابعين.. حين أراد الحجاج قلته قال: اللهم لا تســـلطه على أحد يقتله بعدى فما قتل أحداً بعده وأصيب الحجاج بغيبوبة وكان يرى ســـعيداً فى المنام آخذاً بمجامع ثوبه قائلاً له: يا عدو الله لماذا قتلتنى؟ وحدث الحجاج قبل وفاته فى هذه الغيبوبه لقد قتلنى ربى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

عثمان بن عفان:

رؤى رجل يصـيح: النار النار فاجتمع الناس حوله يســألونه قال كنت من الذين دخلواعلى عثمان ليقتلونه فى أيام الفتنه فلما اقتربت منه حالت بينى وبينه زوجته فلطمتها على وجهها لطمة شـــديدة فقال عثمان قطع الله يديك وبتر ســـاقيك وأعمى عينيك وأدخلك النار وقد اســـتجاب الله دعاء عثمان فقطعت يداى وعميت عيناى ولم يبق من دعوته إلا النار.

وفى هذا اليوم كان عثمان صـــائماً وفى وقت القيلولة أخذته سِـنة من النوم فرأى النبى صلي الله عليه وسلم وكان قد مات منذ أكثر من خمســة عشــر ســنة قال له صــلي الله عليه وسـلم فى رؤياه أحاط بك الثوار ليقتلوك، قال: نعم، قال: إن شــئت دعوت الله فنصـــرك عليهم وإن شـئت أفطرت عندنا فقال عثمان: بل أفطر عندكم يا رســول الله وانتبـه من نومـه وقبـل الغروب اعتلى الثواربيتـه وقتلوه وهو يقرأ القرآن.

شروط إجابة الدعاء:

١ - التيقن من الإجابة.

٢ - الخشوع والتذلل فى الدعاء.

٣ - عدم الاستعجال.

٤ - أكل الحلال.

قصة سب على وطلحة والزبير:

سمع سعد بن أبى وقاص رجلاً يسب علياً وطلحة والزبير فنهاه فلم ينته فقال سعد للرجل: أترضى أن أدعو عليك؟ فقال الرجل مستهزئاً أراك تهددنى فكأنك نبى فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه وقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً سبقت لهم منك الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم فاجعله آية وعبرة.

ولم يمض إلا وقت يسير حتى خرجت ناقة من إحدى الدور لا يردها شئ ودخلت فى زحام الناس كأنها تبحث عن شئ ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها وما زالت تتخبطه حتى مات.

موسى والعشب:

مرض موسى فلما كلم ربه وهو فى طور سيناء سأله عن شئ يستطب به فدله على عشب فى الصحراء فأخذه موسى واستخدمه فشفاه الله وبعد مدة عاوده المرض نفسه فأسرع إلى الصحراء وأخذ العشب الذى استخدمه فى المرة الأولى ولكن المرض اشتدّ عليه وهو فى طور سيناء سأل ربه لماذا لم أُشف هذه المرة فقال الله له: إنك فى المرة الأولى لجأت إلىّ ولكن فى المرة الثانية لجأت إلى العشب ونسيت أننى أنا الشافى.

الدعاء ينفع فى حسن الخاتمة:

قال صلي الله عليه وسلم :♂**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها▬** رواه البخارى ومسلم.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * *

٣٨ ـ الإسلام وتصرفات بعض المسلمين

الحمد لله الذى رضى لنا الإسلام دينا وجعل فيه العزة للمسلمين حصناً حصيناً وركناً قوياً متيناً حيث جعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد بالمغفرة والرضوان من كانوا لأحكام الإسلام منفذين وبتعاليمه متمسكين وبأخلاقه متخلقين وأوعد بالذلة والشقاء والخسران من كانوا معرضين ولأحكام الإسلام جاحدين ولأخلاقه وتعاليمه محتقرين وعن آدابه مستكبرين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله سيد المرسلين وقدوة الهداة والمصلحين اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

أما بعد..

فيا عباد الله.. يقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين:

{إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾} [آل عمران: ١٩].

أيها المؤمنون: الإسلام هو الدين الحق ولا يقبل الله التعبد بغيره.. والإسلام هو الاستسلام والانقياد إلى طاعة الله..

فأفراد من المسلمين قد انتسبوا إلى الإسلام بحكم بيئتهم وأسرهم فهم يعتزون بانتسابهم إلى الإسلام ويفخرون بأنهم مسلمون ويتخذون اسم الإسلام تاجا وشرفا لهم أينما كانوا ولكن أعمالهم تناقض تعالم الإسلام فلا يمتثلون أمره ولا يجتنبون نهيه ولا ينفذون أحكامه ولا يحترمون تعاليمه ولا آدابه..

وإذا تقدم إليهم ناصح أو واعظ يبصرهم بأخطائهم ويرشدهم إلى وجوب الرجوع إلى أحكام دينهم واحترامهم لها بالتقديس والتنفيذ ضاقت صدورهم منه واشمأزت نفوسهم واحتقروه وربما بألسنة حداد..

فهؤلاء المعاول التى تحاول هدم الدين من أساسه ولكن الله يحفظ دينه وسأسوق لكم عدة أمثلة توضح لكم ما أقول فالمرأة التى تسير فى الطريق سافرة كاشفة رأسها محتقرة تعاليم الإسلام وإذا تقدم إليها ناصح اشمأزت نفسها ونراها بعد هذا تزعم أنها مسلمة وهى تفعل ما يخالف تعاليم الإسلام وتغضب الجبار رب الإسلام. والتاجر الذى يسلك سبيل الغش والجشع والشر والاحتكار ليسلب الناس أموالهم بالباطل دون أن يراعى للإسلام قداسة ولا لأحكامه حرمة ولا لتعاليمه هيبة وكأن همه كله أن يستولى على أموال الناس من حرام أو حلال دون أن يرقب فيهم إلاً ولا ذمة غير مبال بما أعد له من سوء المصير وإذا دعى إلى الرجوع عن هذه المنكرات خوفاً من بطش الله وعذابه وطمعاً فى رحمته ضاق صدره واشمأزت نفسه وكاد أن يفتك بالداعى معلناً احتقاره لتعاليم الإسلام التى تحول بينه وبين جشعه وغشه زاعماً أنه لا يستطيع أن يعيش إلا بهذا العمل وكأنه يعتقد أن أحكام الدين ظالمة لأمثاله نراه بعد هذا كله يدعى الإسلام ويفخر بانتسابه للإسلام..

وكل من الصانع والعامل الذى تعود خلف الوعد وتعود الغش فى عمله والكذب على الناس ابتغاء الحصـــول على المال ولو من حرام دون مبالاه بأحكام الإسلام وتعاليمه..

وإذا دعى إلى ترك هذه الجرائم غضـب وضـاق صـدره وسـلك المســلك الذى ســبق بيانه بالنســبة للتاجر معلناً عدم اكتراثه بأحكام الدين..

وبعد هذا يزعم أنه مسلم ويفخر بانتسابه للإسلام..

وشــاهد الزور الذى يذهب إلى ســاحة القضــاء ويقسـم بالله أمام القاضـــى أن ينطق بالحق ثم يؤدى شـــهادة الزور كاملة إما اســتيفاء لصـــداقة أو حرصـــاً على أجر تافه وإذا ذكر من أحد بعظم جريمته وبين لـه أن الرســـول عدها من كبائر الموبقات وقال فيها بعد أن أقسم: ♂**لن تزول قدم شاهد الزور حتى يكبه الله فى النار**ـــ رواه مسلم.

إذا ذكر بهذا كله ضاق صدره وزاد غضبه وربما فكر فى الفتك بمن ذكره بأحكام دين الله زاعماً أنه مضطر إلى هذا كوسيلة لعيشه، إبقاء على صداقة أو جوار ولا يهمه بعد هذا غضب العزيز الجبار

نراه بعد هذا يزعم أنه مسلم ويفتخر بانتسابه للإسلام..

والرجل الذى أصيب بموت أحد من أفراد أسرته يفتح الباب على مصراعيه للنساء يكفرن جهاراً فى بيته بفعل ما برئ منه رسول الله من اللطم وشق الثياب والنطق بالألفاظ المكفرة.

يفعل هذا مجاراة للناس وخوفاً من لومهم عليه..

وإذا ذكر من أحد بعظم جريمته وأخبره أنه شريك لهؤلاء النساء فى جرمهن لأنه هو الداعى لهن وأسمعه قول الرسول صلي الله عليه وسلم :**ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه** رواه البخارى ومسلم.

إذا ذكر بهذا ضاق صدره وقال معتذرا أو محتقراً لما سمع..

هذه عادات الناس لا أستطيع أن أخالفها وكأنه بهذا يرى أن خوفه من لوم الناس إذا خالف العادة أشد على نفسه من خوفه من الله الذى نهاه عن هذه المنكرات ونراه بعد هذا يزعم أنه مسلم ويفخر بانتسابه للإسلام. والعالم الذى يكتم علمه عن الناس أو يفتى بما يخالف الإسلام مجاراة للعصاة ومجاملة لهم على حساب الدين أو يشاركهم فيما يفعلون من المنكرات كالخمر والحشيش مجاراة لهم أو يخرج امرأته أو ابنته مكشوفة الرأس إرضاء لها أو مجاراة للناس كى يصفوه بالتمدين وهو الذى يعلم عظم هذه الجرائم ويعلم ما أعده الإسلام من الوعيد لأصحابها..

وهو الذى يقرأ أو يشرح قول الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾} [الصف: ٢، ٣].

وهو الذى رفع الإسلام شأنه بما علمه من أحكامه وكان الدين ولا زال مورداً لرزقه ورزق أسرته وإذا استلفت نظره إلى هذه المخالفات أخذته العزة بالإثم وازداد غضبه وزعم أنه مضطر إلى هذا مجارة للناس وسيراً فى إطارهم كى لا يصفوه بالتأخر والرجعية والجمود.

فكأن كل همه أن يرضى الناس ليكون مشكوراً عندهم ولو بما يغضب الله ويخالف تعاليم الدين الذى ارتفع شأنه بسببه فلا خير فيه لدينه الذى هو مورد رزقه فهو وأمثاله من المعروفين باسم علماء

السوء الذين قال فيهم الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**ما أخاف على أمتى من الدجال مثل ما أخاف عليهم من علماء السوء**▬ رواه مسلم.

وقوله صلي الله عليه وسلم :♂**أخوف ما أخاف على أمتى منافق سليط اللسان**▬ رواه الترمذي.

وهو بعد هذا يزعم أنه مسلم ويفخر بانتسابه إلى الإسلام وبكونه من العلماء..

والذين يشربون المخدرات والآكلون أموال الناس بالباطل كالسرقة والغصب والرشوة والآكلون لأموال اليتامى والسفاكون للدماء والمغتابون والنمامون والمعرضون عن الصيام بدون عذر كل هؤلاء إذا ذكروا بعاقبة جرائمهم ونهوا عنها ودعوا إلى تركها والرجوع إلى دين الإسلام ضاقت صدورهم وفكروا فى تدبير المكائد للداعى كى يستريحوا منه ومن صوت الدين الذين يدعوا إليه نراهم بعد هذا يزعمون أنهم مسلمون ويفخرون بانتسابهم للإسلام.

فيا أيها المؤمنون...

يحدثنا الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**المسلم قلعة فلا يؤتى الإسلام من قبله**▬ ومعنى هذا؟ أن المسلم بالنسبة للإسلام حصن وحارس فلا ينبغى أن يُجرح الإسلام من قبل المسلم وسأضرب لكم مثلاً من أنفسكم يوضح لكم الحديث..

إن الرجل منا على زوجه وآل بيته حصن وحارس..

فهل يليق بالكرامة أن تعرض زوجتك أو إحدى محارمك للاعتداء على عرضها أو النيل من عفافها؟

الجواب طبعاً لا..

فكان ينبغى أن تكون هكذا نحو الإسلام ولكننا قد تساهلنا فيه حتى آل إلى السقوط والانهيار وتهاونا فى أحكامه حتى كادت أن تنتهى بالدمار وحتى كاد أن يتمكن منا أعداء الله الذين هم أهل النار..

فعار عظيم قد لحق الإسلام والمسلمين وأيما عار فيا لهوان الإسلام وذلة المسلمين

فيا أيها المسلمون..

هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون المنتسبون إليه المفاخرون به وهذه هى أعمالهم ألستم معى فى أن هؤلاء معاول هدم للإسلام باسم المحافظة على الإسلام

فرفقاً بنا يا خالق السماوات والأرض رفقاً بنا يا من عليك يكون العرض رفقاً بنا فقد تركنا السنة وأضعنا الفرض رفقا بنا وشفقة علينا يا أرحم الراحمين.

أيها المؤمنون: حسبكم قول الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**والذى نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه الذى بين جنبيه والناس أجمعين**▬ رواه البخارى ومسلم

وليس معنى المحبة أن نبكى عند ذكر اسمه ونحن لا ننفذ له أمراً إن مظهر المحب الطاعة وإن المحب لمن يحب مطيع فمحبتنا للرسول التى يريدها منا لا تتحقق إلا بطاعتنا له واتباعنا لهديه وإن لم نفعل كنا كاذبين فى ادعائنا المحبة للرسول صلي الله عليه وسلم..

فيا أيها المؤمنون..

إنمـا أعظكم بواحـدة هى أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تعملوا على نصـرة دينكم وحمايتكم له من أن تعبث به أيدى العابثين ولن يتم لكم هذا إلا إذا قاومتم نفوسكم وأهواءكم وشهواتكم ونساءكم ورفضتم قوانين التقاليد والعادات ورجعتم إلى أحكام دينكم تقدسـونها وتعملون على تنفيذها وتجاهدون نفوسكم فى سبيل نصرة دينكم حق الجهاد ولا تخشون فى الحق لومة لائم.

فإن لم تفعلوا هذا ضـاع عزكم وتشـتت شـملكم وتفرق جمعكم واختلفت كلمتم وتقلص الظل الذى تفيأه المسـلمون قبلكم فالعدوُّ وراءكم ينتهز الفرصـة لهدم دينكم والجنة والنار أمامكم كل منهما تنتظر أهلها منكم والدين يطالبكم بحقه الذى وجب عليكم والله رقيب عليكم ولن يتركم أعمالكم فإن تنصـروا الله ينصـركم ويثبت اقدامكم ومعنى نصرتنا لله: أن تنصروا دينه بتنفيذ أحكامه.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾} [محمد: ٧].

" وإن تؤمنوا وتتقوا ربكم حق تقواه يؤتكم أجوركم كاملة مستوفاة ".

فاتقوا الله أيها المسـلمون واشـكروه على ما أولاكم به من النعم وعلى أن رضـى لكم الإسـلام ديناً ووفقكم لتكونوا من المسـلمين واجعلوا فخركم بانتسابكم إلى الإسلام ظاهراً فى أقوالكم وفى أفعالكم نسودوا وتفوزوا بالسعادة الأبدية فى الدارين قال رسول الله صلي الله عليه وسـلم :♂**لا يؤمن أحدكم جتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**ـــ رواه مسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما**

بدأ فطوبى للغرباء▬.

قالوا ومن الغرباء يا رسول الله؟

قال صـــلي الله عليه وســـلم :♂**هم الذين يحبون ما أمات الناس من سنتى▬** رواه البخارى.

وفى رواية :♂**هم الذين يصلحون عند فساد الناس▬.**

توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

* * *

٣٩ ـ الإخلاص لله فى كل أعمالنا

{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾} [الأنعام: ٢ - ٣].

أحمده وأستعينه وأستهديه وأستغفره وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له سبحانه أكرم بفضله عباده المخلصين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا أمرنا بالإخلاص له وحده فى العبادة سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين وأتم به النعمة وأكمل به الدين وأنزل عليه البشرى وذلك فى قوله تعالى:{ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [المائدة: ٣].

اللهم صلى وسلم وبارك على محمد وعلى آله الذين أمنوا به واتبعوا النور الذى أنزل معه فكانوا من الفائزين ونسأل الله أن يجعلنا ممن سلك سبيلهم ونسج على منوالهم إلى أن نلقى الله رب العالمين.. أما بعد...

فيقول الله الواحد الأحد:{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾} [الأنبياء: ٢٥].

ويقول تعالى:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾} [آل عمران: ١٨].

أيها المؤمنون..

لا إله إلا الله إنها كلمة التوحيد والإخلاص وهى الكلمة الطيبة التى أوحى الله بها إلى الرسل جميعاً وجعلها أساس الديانات جميعاً وشهد الله لنفسه بها وشهد معه الملائكة وأولوا العلم ممن آتاهم الله الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب.

من أجلها خلق الله العالم وخلق السماوات والأرض ونصب الموازين يوم القيامة وجعل الناس فريقين: فريقاً فى الجنة وفريقاً فى السعير.

وتنص هذه الكلمة المباركة (لا إله إلا الله) على أنه لابد أن يبرأ العبد من عبادة غير الله وأن يخلص لله سره ونجواه فهذا الإخلاص والميثاق الذى يعاهد به العبد ربه لا يشرك به أحدا أو يطلب من غيره مدداً فمعناها: لا معبود بحق إلا الله وكل معبود سواه فتأليهه شرك وباطل لأن الله وحده هو المستحق لجميع العبادات القلبية والبدنية.

ولا عجب فهو رب الفضل والكرم وصاحب الجود والنعم قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾} [فاطر: ٣].

وقال تعالى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾} [الروم: ٤٠].

وإن ذنوب العبد مهما عظمت فإنه يرجى لها التجاوز والغفران من الله الذى وسعت رحمته كل شئ..

أما الشرك فلا رجاء فيه لمغفرة أو رحمة..{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء: ١١٦].. وقال صلي الله عليه وسلم :♂**من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار▬** رواه مسلم.

فالشرك محبط للأعمال ومخرج للعبد من رحمة الله ومهما قدم المرء من الصالحات فهى تذهب هباء ولا يكون لها عند الله وزن ما دام مشركاً بالله تعالى لا يؤدى له ما ينبغى أن يؤديه عبد لرب أوجده وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة..

قال تعالى:{وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ} [النحل: ١٨]. وإن وحدانية الله تعالى تتطلب من العبد الخضوع والاستسلام لمعبوده وصدق التوجه عند كل شدة واللجوء اليه كرب والاعتقاد بأنه لا مغيث ولا مجيب ولا مجبر إلا الله وحده ويقتضى هذا الاعتقاد من العبد ألا يستغيث بغير الله وألا يسأل أحداً غير الله وألا يطلب من أحد مدداً إلا من الله ولا يتوكل إلا على الله وألا يركن إلا إلى قدرة الله فهو الذى بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه.

قال تعالى:{أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾} [النمل: ٦١ - ٦٤].

هذه آيات القرآن الناطقة بأن الله وحده هو صاحب التصريف فى ملكه وهو صاحب القدرة والعظمة فى ملكوته لا يشاركه أحد فى خلقه فى افعاله أو صفاته.

وحاشا لله أن يترك عبده محتاجاً إلى معونة مخلوق أو مساعدة عبد عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

أيها المسلمون:

فاتقوا الله وأخلصوا لله عقيدتكم وعبادتكم واعلموا أن أحداً من خلق الله أياً كانت صفته لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.. فاتجهوا إلى الله دائماً فيما تحتاجون اليه واستعينوا به وحده عند نزول كل شدة وحلول كل مكروه فهو الذى يكشف السوء ويزيل الكروب ويفرج الهموم ماض فيهم حكمه عدل فيهم قضاؤه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه..

قال تعالى:{هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ } [فاطر: ٣].

قال تعالى:{ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾} [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى:{رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: ٩].

فعليك أيها المؤمن ألا تلجأ فى شئ من عبادتك إلا إلى الله وحده ولا تستعين إلا به وحده خصوصاً وأنت تقطع على نفسك عهداً قوياً بينك وبين ربك عدة مرات فى كل يوم وليلة بأنك لا تعبد إلا هوولا تستعين إلا به وذلك حين تقرأ فى سورة الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الصلاة:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾} [الفاتحة: ٥].

فيجب أن يكون عملك موافقاً لقولك الذى قطعت به العهد على نفسك مع الله واحذر أن تكون ممن قال فيهم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾} [الصف: ٢، ٣].

واعلم أيها المؤمن أن العبادة ليست قاصرة على الصلاة والصيام والحج بل إن العبادة تتناول بعد هذا جميع الأعمال الصالحة التى يقوم بها المرء لإصلاح شأنه وإصلاح شأن أمته.

فعليك أيها المؤمن أن تتجمل بالإخلاص لله وحده فى كل ما تقدمه من عبادة بدنية أو قلبية ذلك الإخلاص الذى امتلأ القرآن بالإشارة إليه فى قوله تعالى:{قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾} [الزمر: ١٤].

فالإخلاص لله وحده فى العبادة هو المطهر للقلوب والمقرب إلى ساحة رضوان الله علام الغيوب المفرج للكروب الغفار الذنوب.. وتجنبوا الرياء فى عباداتكم فإن الرياء إذا دخل فى أي شئ أحبطه وأبطله وعاد على صاحبه بالوبال والنكال حتى ولو كان هذا الشئ من أنواع العبادات وحسبنا فى هذا قول الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعالم فيقول الله تعالى أدخلوه النار فيقول: يارب لماذا؟ وقد تعلمت العلم وعلمته الناس فيقول الله تعالى: إنك لم تعلم الناس ابتغاء مرضاتى وإنما علمتهم ليقال إنك عالم وقد قيل فقد استوفيت أجرك فى الدنيا ويؤتى بالمجاهد فيقول الله تعالى: أدخلوه النار فيقول يارب لماذا؟ وقد فرضت على الجهاد فجاهدت فى سبيلك، فيقول الله تعالى: إنك لم تجاهد فى سبيلى لابتغاء مرضاتى وإنما جاهدت ليقال إنك مجاهد وقد قيل فقد استوفيت أجرك فى الدنيا.. ويؤتى بالمتصدق فيقول الله تعالى أدخلوه النار فيقول: يارب لماذا وقد تصدقت بما أنعمت على فيقول الله تعالى: إنك لم تتصدق ابتغاء مرضاتى وإنما تصدقت ليقال إنك محسن وقد قيل: فقد استوفيت أجر ك فى الدنيا**▬ رواه مسلم.

وقد وصـــف الله المرائين فى بعض العبادات بالنفاق فقال الله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾} [النساء: ١٤٢].

وفقنى الله وإياكم إلى الإخلاص فى كل أعمالنا وجنبنا مواطن الرياء والزلل..

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من قال لا إله إلا الله مخلصاً مقراً من قلبه دخل الجنة**▬ رواه البخارى و مسلم.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٠ ـ صفات المؤمنين

الحمد لله الذى أعز المؤمنين بعزته وأذل المنافقين والكافرين بعذابه وشقوته وذلك تقدير العزيز العليم... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد المؤمنين بالنصرة والنجاة والتمتع فى الدار الآخرة بالجزاء الدائم والنعيم المقيم وأوعد المنافقين بالنكال والخسران وسجل لهم فى الآخرة العذاب الأليم وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله أمر بالتعاون بين طوائف المؤمنين وحث عليه ورغب فيه..

ولا عجب فهو صلي الله عليه وسلم وصفه ربه بقوله:{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨].

اللهم صلى على محمداً وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه وتخلقوا بأخلاقه ابتغاء رضوان الله العليم الحكيم...

أما بعد...

فيا عباد الله لقد تفضل الله على عباده المؤمنين فأعطاهم عدة مميزات تحقق لهم السعادة والسيادة والعزة والهناء والحياة الطيبة فى الدارين فلقد منحهم الله العزة حيث قال:

{وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨] وضمن لهم النصرة على الأعداء حيث قال:{بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ} [آل عمران: ١٥٠] ووعدهم بالنجاة من الأهوال والخلاص من كل مأزق ومنحهم الرفعة وعلو الشأن حيث قال:{وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [آل عمران: ١٣٩] وخص المؤمنين بالسعادة الأبدية والمتعة بنعيم الدار الآخرة حيث قال:{وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ} [هود: ١٠٨].

وقد وعد الله المؤمنين بالتمتع بما فى الجنة من مساكن طيبة ونعيم مقيم.. وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم..

فيا عباد الله.. تلكم بعض المميزات التى أكرم بها الله المؤمنين ولكن من هم المؤمنون الذين يستحقون هذه المميزات كلها.. إننا سنقدم إليكم بعض صفاتهم لتكون أمامكم كالمرآة لينظر كل منكم فيها فمن رأى نفسه ضمن من شملتهم هذه المرآة فليحمد الله وليزدد من الطاعة وأعمال البر بقدر استطاعته ومن لم يجد لنفسه صورة فى هذه المرآة.. فليعمل جاهداً على أن يكون بين الأفراد الذين اشتملت عليهم هذه المرآة..

الصفة الأولى من صفات المؤمنين:

وهم الذين إذا ذكرت أمامهم بعض صفات الله تذكروا جلال الله وجلت قلوبهم واقشعرت أبدانهم رهبة من عقابه وطمعاً فى ثوابه وإذا سمعوا شيئاً من آيات القرآن الكريم زاد إيمانهم وسلكوا سبيل التوكل على الله وبادروا إلى التفانى فى عبادة الله والقرآن الكريم زاد إيمانهم وسلكوا سبيل التوكل على الله وبادروا إلى التفانى فى عبادة الله وإلى الإنفاق مما رزقهم الله فى سبيل الخير.

قال تعالى:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال: ٢ - ٤].

وأما الذين لا تتأثر قلوبهم بذكر الله ولا تتهذب نفوسهم بسماع القرآن الكريم فليسوا من المستحقين لما وعد الله به المؤمنين.

الصفة الثانية من صفات المؤمنين:

وهم الذين إذا دعوا ليتحاكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله أجابوا الدعاء ولبوا النداء فسمعوا وأطاعوا مختارين ففازوا بالفلاح والطيبات والرزق..

أما الذين إذا دعوا إلى الحكم بكتاب الله ورسوله أعرضوا إذا كان الحكم مخالفاً لأهوائهم وإن كان فى صالحهم أذعنوا له وأقبلوا عليه فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم..

الصفة الثالثة:

وهم الذين تنشرح صدورهم وتطيب نفوسهم بما قضى الله ورسوله وتطمئن قلوبهم إلى حكم رسول الله فيما اختلفوا فيه فيسلموا بقضائه وحكمه راضين مختارين قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥].

أما الذين تضيق صدورهم وتمتلئ نفوسهم بالحرج مما قضى به رسول الله ولم يقبلوا التسليم بحكمه صلي الله عليه وسلم فليسوا من زمرة المؤمنين..

الصفة الرابعة:

وهم الذين يرجعون فى كل ما يتنازعون فيه إلى الله والرسول قال تعالى:{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء: ٥٩].

الصفة الخامسة:

وهم الذين يتولى بعضهم بعضاً بالتضامن والمعاونة فى الخير ورعايه المصالح وقد أخذوا أنفسم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وآداء الفرائض والتفانى فى طاعة الله رجاء التمتع برحمة الله.. قال تعالى: { وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ } [التوبة: ٧١].

أما الذين ينفرون من بعضهم فى الأوقات العصيبة التى تقتضى التضامن والترابط ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويبخلون بأموالهم فلا ينفقون منها شيئاً فى وجوه الخير عند اشتداد الأزمات فهم المنافقون الذين أبعدهم الله عن رحمته وحكم بفسقهم قال تعالى:{ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾} [التوبة: ٦٧].

الصفة السادسة:

وهم الذين آمنوا برسوله ولم يترددوا فيما جاءهم به رسول الله ولم يتخلفوا عن ركب المجاهدين بالنفس والمال قال تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾} [الحجرات: ١٥].

الصفة السابعة:

وهم الذين يحترمون حرية الرأى فيبيحون لكل إنسان منهم أن يبدى رأيه فيما يتشاورون فيه مهما كانت حالته وصفته بغض النظر عن الفوارق المادية والمعنوية.

قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم :♂**المؤمنون يأخذ عليهم أدناهم▬** رواه البخارى ومسلم.

الصفة الثامنة:

وهم الـذين يكونون فى المودة والتعـاطف والتراحم والمحبـة والتعاون كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو أحس الجسد كله بهذا الألم الذى أصـيب به هذا العضـو قال صـلي الله عليه وسلم :♂**مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسـد إذا اشـتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر▬** رواه البخارى ومسلم.

الصفة التاسعة:

وهم الـذين تمتلئ قلوبهم بمحبـة الله ورسـولـه أكثر من محبتهم لأنفسـهم وأولادهم وأموالهم وجميع الناس قال صـلي الله عليه وسـلم :♂**لا يؤمن أحـدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسـه التى بين جنبيه▬** رواه البخارى ومسلم.

الصفة العاشرة:

وهم الذين يحسـنون إلى جيرانهم ويؤدون لهم حقوقهم وواجباتهم ويبتعدون عن إيذائهم قال صـلي الله عليه وسلم :♂**وأحسـن إلى جارك تكن مؤمناً)** رواه البخارى ومسلم.

أمـا الـذين يقومون بـإيذاء الجـار فقد أقسـم النبى ثلاثـاً على نفى الإيمـان عنهم حيث قـال:♂**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن▬**.. فقالوا: من هذا يا رسـول الله؟ فقال صـلي الله عليه وسـلم :♂**الذى لا يأمن جاره بوائقه▬** (يعنى شروره) رواه البخارى ومسلم.

مـا من يوم جمعـة إلا وفيـه سـاعة إجابة... توبوا إلى الله جميعا لعلكم تفلحون... * * *

٤١ ـ الحج إلى بيت الله الحرام

الحمد لله الذى فرض على المستطعين من الناس حج بيت الله الحرام ووعد الحجاج المخلصين مغفرة الذنوب وتطهيرهم من الآثام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا وأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وشرع فريضة الحج استجابة لدعوة نبيه إبراهيم وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله بين لنا مناسك الحج بقوله وعمله فقال لنا:♂**خذوا عنى مناسككم**▬ وأرشدنا إلى ما فى الحج من منافع وثمرات تعود على الحجاج المخلصين فى الدنيا والآخرة وعلى سكان أرض بيت الله الحرام هذه الأرض الطيبة المقدسة الطاهرة ولا عجب فهو الذى وصفه ربه بقوله:

{لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨].

اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين سارعوا إلى كل خير أدركوه من وحى النبوة وخصوصاً مناسك الحج ففازوا عند الله بالحظ الأوفر والرضوان الأكبر والنعيم المقيم.. أما بعد..

فيا عباد الله يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين:{وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾} [آل عمران: ٩٧].

أيها المؤمنون أمر الله المستطيعين من الناس أن يؤدوا فريضة الحج إلى بيته الحرام مرة واحدة فى العمر وفريضة الحج هذه من الفرائض القيمة التى نالت من الدين عناية عظمى لما لها من آثار كريمة وآفاق واسعة وقد جعل الرسول صلي الله عليه وسلم فريضة

الحج من أركان الإسلام حيث قال فى حديثه:♂**بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً)** رواه البخارى ومسلم.

وهذا البيت يا عباد الله وعدنى الله وإياكم بالتشرف بحجه هو بيت الله الحرام بمكة المكرمة هو الكعبة الشريفة التى هى قبلة المسلمين جميعاً فى الصلاة وقد جعله الله مثابة للناس وأمنا وهو الحرم الآمن من دخله كان آمنا وهو الذى تجلب إليه ثمرات كل شئ بتوفيق الله وعنايته بسكانه وبمن يقصدونه للحج فيجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنه وهو البيت الذى بناه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام متضرعين إلى الله أثناء البناء..

كما بين تعالى ذلك بقوله:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)} [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].

وهذا البيت هو الذى قصده أبرهة بجيشه الذى تتقدمه الفيلة يريد هدمه ولكن الله قد حفظه من كيد الأعداء فلم ينالوا منه شيئاً حيث أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ولقداسة هذا البيت وتشريفه جعلت أرض مكة كلها وما حولها بلداً حراماً له قداسته وإجلاله فلا يدخلها مشرك ولا يقتل صيدها ولا يقطع شجرها وقد وصفها الله بأنها البلد الأمين فى قوله تعالى:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)} [التين: ١ - ٣].

يريد به مكة ومعنى الحج إلى بيت الله الحرام أن يقصده المسلمون فيطوفوا حوله سبع مرات محرمين متجردين من الأثواب المخيطة كاشفين رؤوسهم أما النساء فيطفن بملابسهم كاشفين وجوههن..

وإلى هذا الطواف يشير بقوله:{وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ} [الحج: ٢٩] وبين الميقات الزمنى للحج فقال،{ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ} [البقرة: ١٩٧] وهى شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذى الحجة وقد أحاط أعمال الحج بسياج من القدسية فقال:{فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ} [البقرة: ١٩٧] وهذا كله مظهر من مظاهر عناية الله بفريضة الحج وذلكم ما فى هذه الفريضة من فوائد كبرى وثمرات لا تكاد تحصى وقد أشار الله إلى هذه الفوائد بقوله:{ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ } [الحج: ٢٨].

ومن هذه المنافع: امتلاء قلوب الحجاج بحب الله وعظمته وجلاله حيث خرجوا من بيوتهم ممتثلين أمر الله طامعين فى ثوابه خائفين من عذابه إذا هم قصروا تاركين وراءهم أوطانهم وديارهم وأولادهم وأحبابهم لم يشغلهم شئ من هذا كله عن التفانى فى طاعة الله ومحبته والتشرف ببيته الحرام وكأنهم قد نسوا كل شئ إلا جلال الله وجبروت الله ورحمة الله وبيت الله فملأ قلوبهم بهذا كله وجعلوه هدفهم ومن هذه المنافع اجتماع الحجاج فى عرفات فى اليوم التاسع من ذى الحجة على هيئة مؤتمر إسلامى عام لجميع الحجاج المسلمين الذين خرجوا من جميع الأقطار الإسلامية.

ففى هذا المؤتمر العام يتم فيه التعارف بين جميع المسلمين على اختلاف دولهم وطبقاتهم وعناصرهم وألسنتهم وألوانهم هذا التعارف الذى لا يخلو من تبادل المنافع والثمرات والفوائد الاقتصادية والاجتماعية بين أَفراد المسلمين وهذا التعارف أيضاً هوالذى يؤكد الصلة فى الإسلام ويقوى روابطها وقد قيل: إن جبل عرفات قد لقب بهذا اللقب بسبب التعارف الذى يقع عليه بين الحجاج والوقوف بعرفة هو أعظم ركن من أركان الحج لقد قال فيه الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**الحج عرفة**▬ رواه مسلم ويمكن لهذا المؤتمر أن يتناول أفراده

وجهات النظر فيما يصلح شأن الدولة الإسلامية ويُحكم نظامها ويُقوى بناءها وأقل فائدة من فوائد هذا المؤتمر أن يرجع منه المصرى مثلاً وقد أصبح صديقاً لشامى أو هندى أو يمنى أو تركى ولا يخفى ما لهذه الصداقات من أثار جليلة..

ومن المنافع أيضاً إزالة الفوارق بين الناس والشعور بالمساواة الكاملة بين جميع الطبقات حيث يكونون جميعاً محرمين على صورة واحدة هدفهم واحد كالموتى فى أكفانهم يمثلون فى منظرهم صورة مصغرة ليوم الهول الأكبر..

كلهم يتجهون بقلوبهم إلى إله واحد يدعون رباً واحداً يرددون فى التلبيه ألفاظاً واحدة بأساليب واحدة هدفهم واحد وقبلتهم واحدة فيا لهذا الموقف الرهيب من روعة وقداسة وهيبة ووقار وجلال لا فرق هنا بين غنى وفقير يدرك هذا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ويعقله كل ذى ضمير من أولى الألباب ويتجلى هذا الموقف الرائع الرهيب واضحاً فى المزدلفة التى تؤخذ منها حصيات لرمى الجمار عند المشعر الحرام الذى أيده الله بقوله:{فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ} [البقرة: ١٩٨] حيث لا توجد فى هذه امتيازات لفرد من المسلمين مهما عظم شأنه فلا خيام ولا مساكن ولا فنادق بل إنهم جميعاً يفترشون الأرض بترابها ويلتحفون السماء بهوائها يا لها من روعة تملك المشاعر التى تأخذ بالألباب فهنيئاً لمن وفقه الله لهذا الموقف الجليل ومن المنافع أيضاً ما يعود على أهل هذه الأرض المقدسة من المعاونة الاقتصادية التى يحصلون عليها بطريق التجارة والسكنى وقضاء المصالح للحجاج الغرباء وبما يتبرع به الحجاج من صدقات بدافع البذل والسخاء الذى انبعث من قلوبهم بسبب هذه المشاهد الكريمة والمواقف الرحيمة وكان توفيق الله الناس لهذا كله تحقيقاً وإجابة لدعوة نبى الله إبراهيم حيث قال:

{رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧} [إبراهيم: ٣٧].

ومن المنافع أيضـــاً المعلومات العامة التى يأخذها الحاج عن هذه الجهة الطيبة حتى يرجع مزوداً بها بعد أن كان يجهلها ومنها أيضـــاً التمتع بالشــرب من ماء زمزم الماء الذى هو من نعم الله جل شـــأنه حيث قد نبع بعنـاية الله لإكرام جد العرب نبى الله اســماعيل عليه السـلام حيث اشـتد عطشـه وهو فى طفولته وقد بحثت أمه عن الماء فلم تجده فأكرم الله الطفل بهذا الماء الذى قال فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**ماء زمزم لما شرب له**▬ رواه البخارى ومسلم.

ومن المنـافع أيضـــاً أن الحجـاج يؤدون فى الحج بعض أعمـال تذكرهم بما قام به أجداد نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وهم إبراهيم وهاجر وإســماعيل عليهم جميعاً ســلام الله وكأن الله قد شــرع هذه الأعمال ليذكر المســلمين بما قام به هؤلاء البررة من الكفاح وجهاد النفس والشيطان ومن هذه الأعمال السعى بين الصفا والمروة سبع مرات وهذا مفروض وهو ركن فى الحج ورمى الجمار على الوجه المبين فى نصــوص الشــريعة الإســلامية ومن المنافع أيضـــاً: فوز الحجاج بصلاة ممتازة فى المسجد الحرام حيث أن ثواب الركعة فى هذا المسجد يعادل ثواب مائة ألف ركعة فيما سواه من المساجد ومنها أيضاً: أن الحجاج المخلصين فى حجهم يرجعون من الحج إلى بيوتهم وقد تطهروا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم والسعيد من الحجاج هو الذى وفقه الله فى رحلة حجه إلى زيارة قبر النبى صـــلي الله عليه وسلم لينال فضل الصلاة فى المسجد النبوى حيث أن ثواب الركعة فى هذا المســجد تعادل ثواب ألف ركعة فيما ســواه ما عدا المســجد الحرام وليشرف أيضاً برؤية وزيارة قبر الحبيب المصطفى سيد

الخلق ويشهد هنالك أن الرسول قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ولقد قال صلي الله عليه وسلم :♂**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**▬. رواه مسلم، وقال أيضاً:♂**إن ركعة فى مسجدى هذا بألف فيما سواه من المساجد ما عدا المسجد الحرام**▬ رواه مسلم، فاتقوا الله أيها المؤمنون ومن استطاع منكم الحج فلا يتأخر حيث أن من استطاع الحج ولم يحج فقد أثم فعليكم أيها المسلمون أن تبادروا إلى أداء هذه الفريضة كى تنتفعوا بفوائدها وثمراتها وضعوا نصب أعينكم قول الرسول صلي الله عليه وسلم : ♂**حجوا قبل ألا تحجوا**▬ رواه ابن ماجة.

يعنى: أدوا فريضة الحج قبل أن يأتى يوم ترغبون فيه أن تؤدوها فتمتنعوا عن أدائها قهراً نسال الله ألا يرينا هذا اليوم.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابه ادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٢ ـ فى موكب الحج

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير..

أما بعد...

ففى قمة الصالحات التى يقوم المسلمون بها أداء مناسك الحج.. إن هذه المناسك مشهد ضخم وميدان رحب للعُباد الذين جاءوا من كل فج عميق يُرْضُون ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه.. إن لأعمال الحج حِكَماً ينبغى أن تدَرس بأناة وأن تعْرفَ حقائقها حتى يدرك الناس أن الإسلام ليس دين أوهام أو أضغاث أحلام هذا دين كل شيء فيه له حكمته وله معناه.. الطواف بالبيت وهو ركن ركين من أركان الحج ما سببه؟

سببه واضح هناك أربعة نقطْ نذكرها فى هذا المجال..

النقطة الأولى: هذا البيت أول بيت وضع للناس متعبداً للناس فى أعماق القارات كلها لم يبن قبله بيت للعبادة فمن حق أول بيت أقيم ليكون قلعة للتوحيد ومثابة للموحدين وملتقى للمؤمنين المخلصين من حق البيت الأول على ظهر الأرض أن تكون له مكانه خاصة..

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾} [آل عمران: ٩٦].

النقطة الثانية: إن المسلمين فى المشارق والمغارب فى الشمال والجنوب يولون وجوههم شطر هذا المسجد فى كل صلاة تقام فى القارات كلها ومن حق الذين اتخذوا المسجد قبلة لهم أن يبعثوا كل عام منهم الوفد المستطيع لكى يرى قبلته كى يحج إليها ويزورها.

النقطة الثالثة: إن هذه الأمة الإسلامية إنما ولدت فى التاريخ إثر دعوة صالحة مستجابة للأنبياء الذين وضعوا حجر الأساس فى البيت العتيق ونهضوا به وأعلوا دعائمه.

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾} [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

{وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ} [البقرة: ١٢٨]، هى أمتنا{رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ} [البقرة: ١٢٩]، هو رسولنا صلي الله عليه وسلم صاحب الأمانة العامة فى محراب العبادة لخلق الله كلهم صاحب الرسالة الخاتمة التى لا معقب عليها بنسخ أو تصحيح فمن حقنا ونبينا وأمتنا وتاريخنا نتيجة دعوة فى بناء هذا البيت.. من حقنا أن نزور هذا البيت..

النقطة الرابعة: أن الله شرف الجنس العربى برسالة الإسلام وعندما أمر الناس فى كل شبر من أرضه أن يتجهوا لهذا البيت العتيق قال لنا نحن الذين نقرأ القرآن وننطق باللغة العربية أنا فعلت هذا تشريفا لكم

النتيجة المطلوبة:{فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾} [البقرة: ١٥٢].

اذكروا دينى الذى شرفتكم به اذكروا الكتاب الذى أنزلته بلسانكم.. إن أول ما نأخذه من الحج.. السعى بين الصفا والمروة ما معناه؟

لما نمثل الدور الذى كانت تمثله هاجر؟

المعنى واضح أن الإنسان مادى حسى والأسباب الحسية هى التى تملكه أو هى التى تحكمه يوم يكون فى يده مال يقول ما لى فى يدى فهو يعتز بـه... لكن يوم يكون هذا المـال وعداً فى الغيب وأملا فى المستقبل ورجاء عند الله فإن قلبه يضطرب ويقول ليس معى شيء.

لكن أنا ضعيف جداً ما فى يدى هو الذى أتوثق منه..

أما ما فى يد الله فإنه لا يؤمن به إلا القليل، الرزق غيب ولا يؤمن به إلا أصـــحاب الإيمان الراســـخ.. فملمح هذا اليقين أو هذا التوكل عندما نجد أن إبراهيم عليه السلام

كلف بأن يسْكن امرأته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل قريباً من البيت العتيق تركهما إبراهيم وانطلق إلى أين؟

مكة صحراء جرداء فى ذلك الوقت الرجل ماذا يقول؟ سكت لكن تكلمت المرأة قالت له: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم قالت: " إذا لا يضيعنا ".

كيف؟ لا شــيء هنا إطلاقا السماء والرمال والجبال الصم يختبر الإيمان لآخر رمق بدأ الرضيع يتلوى من العطش..

وبدأت الأم تحس بأن المســـتقبل يظلم أمامها وبدأت تجرى يميناً وشـــمالاً ثم أخبرها الملكُ أن النجدة جاءت وغمز بجناحه الأرض فتفجرت زمزم وشرب الرضيع وشربت الأم وبدأ الخير.. أستغرب عندما أنظر إلى دنيا الناس وإلى الغيب الذى لا يعلمه إلا الله أكانت المرأة مع رضـــيعها هذا تدرك أن ابنها هذا ســـيكون من ذريته نبى خاتم؟

سيكون من ذريته شعب كبير؟

سيكون من أثره حضارة تظلل الأرض برحمتها وسناها؟

ما كانت الأم تدرى شيئاً من هذا ونحن البشر علمنا قاصر علمنا محدود ولكن الله ذا العلم الواسع يدرى ما يصنع بعباده ويختبرهم فى حدود علمهم القاصر وسعيهم المحدود وقدرتهم الضيقة وهذا هو الاختبار الذى يتجدد باستمرار.. الاختيار مستمر. الثقة فى الله وفيما عنده وفيما غيبه عنا.

هو عنده واقع لأن الله يستوى فى علمه الماضى والحاضر والمستقبل من هنا يجىء الاختبار فإذا كُلف الناس أن يفعلوا ما فعلت أم إسماعيل فلكى تجدد فى مسالكهم عواطف التوكل على الله الثقة فى الله الإيمان بأن ما عنده أهم مما عندى قد يحرق قد يسرق لكن ما عنده لا حَرْق ولاسرقة لذلك يجب أن نعرف معنى هذه الشعيرة فى مناسك الحج..

ثم يلتقى الناس فى عرفة وهو لقاء مهيب ولقاء غريب لأن الناس فعلا جاؤوا من كل مكان شعثا غبرا ليس هناك ما يميزهم من أبهة ولا من مُلك ولا سلطان وحدَت بينهم شارات لا تفاوت فيها فى ملابس الإحرام ثم جمعتهم فى هذا المكان طاعة الله والجوار فى هذه الساحة بالدعاء النشيد الذى يتردد باستمرار هناك " لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير ".

ولذلك كان هذا اللقاء الجامع فى يوم عرفة نقطة استغلال لرؤساء الإسلام وقادته كى يوجهوا المسلمين فى اليوم المشهود إلى ما ينفعهم ولذلك وقعت حجتان فى أيام النبي صلي الله عليه وسلم حجة أبى بكر رضى الله عنه بالناس وحجته صلي الله عليه وسلم.

فأما حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس فقد تقرر فيه إلغاء المعاهدات غير المتكافئة الواقعة بين المسلمين وغيرهم..

وتقرر إلى جانب هذا تنظيف المجتمع الداخلى للأمة الاســـلامية من المشركين ومنع طواف العرايا بالبيت العتيق..

ثم حج النبي صــلي الله عليه وســلم بعد ذلك حجة الوداع.. وكان يشعر أن هذه الحجة آخر لقاء بينه وبين الناس.

ولذلك كان يقول: **أيها الناس اســمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا**.

فماذا يريد؟ أب يودع أبناءه فماذا يريد؟

يُلقى فى آذانهم آخر ما فى قلبه من حب ونصــح: **تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنة نبيه** رواه مسلم.

أيها النـاس إن دمـاءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شــهركم هذا وأنكم ســتلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت رواه البخارى وغيره.

كانت الحجة الأخيرة.. حجة الوداع..

مليئـة بمـا يمكن أن يســـمى بـالتقرير الحقيقى لحقوق الإنســـان وحريات الشـعوب وعالمية البشـر والقواعد الإنسـانية النبيلة وحسـن العلاقة بين الرجل والمرأة..

ما من يوم جمعة إلا وفيه ســاعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٣ ـ تأملات فى سورة والضحى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الحمد والثناء.. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله أكرمه ربه أعظم تكريم.. اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد...

فيا عباد الله... يقول الله تعالى فى كتابه العزيز...

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾} [الضحى: ١ - ١١].

تعالوا بنا نتأمل فى هذه السورة قوله تعالى:{وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾} [الضحى: ١ - ٢].

والضحى المراد به النهار قال أهل المعانى فيه إضمار مجازى ورب الضحى.

ويقال والضحى يعنى النور الذى فى قلوب العارفين كهيئة النهار والليل إذا سجى.

يعنى السواد الذى فى قلوب الكافرين كهيئة الليل فأقسم الله عز وجل بهذه الأشياء.

{مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ} [الضحى: ٣]، هذا جواب القسم وكان جبريل عليه السلام أبطأ على النبى صلي الله عليه وسلم فقال المشركون: قلاه الله وودعه فنزلت الآية فقال النبى صلي الله عليه وسلم لجبريل:♂**ما جئت حتى اشتقت إليك**▬.

فقال جبريل:♂**وأنا كنت أشد إليك شوقاً ولكنى عبد مأمور**▬ ثم أنزل عليه:{وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} [مريم: ٦٤]،{وَدَّعَكَ} ومعناه تركك{وَمَا قَلَىٰ} أي: ما أبغضك ربك.

{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾} [الضحى: ٤ - ٥].

روى سلمة عن ابن إسحاق قال:{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ} أي: ما عندى فى مرجعك إلى يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا.

وقال ابن عباس: أرى النبى صلي الله عليه وسلم ما يفتح الله على أمته بعده فسر بذلك فنزل جبريل يقول له:{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾} [الضحى: ٤ - ٥].

قيل: هى الشفاعة فى جميع المؤمنين.

وعن على رضى الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم..♂**يشفعنى الله فى أمتى حتى يقول الله سبحانه لى رضيت يا محمد؟ فأقول يا رب رضيت**▬.

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن النبى صلي الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى إبراهيم:{فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى:{إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ} [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: **♂اللهم أمتى▬** وبكى فقال الله تعالى لجبريل: **♂اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك▬**.

فأتى جبريل للنبى صلي الله عليه وسلم فسأله فأخبره...

فقال الله تعالى لجبريل: **♂اذهب إلى محمد فقل له: إن الله يقول لك إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك▬**.

وقال على رضى الله عنه لأهل العراق إنكم تقولون إن أرجى آية فى كتاب الله تعالى:{قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ} [الزمر: ٥٣].

قالوا: إنا نقول ذلك قال ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية فى كتاب الله قوله تعالى:{وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥} [الضحى: ٥]، وفى الحديث

لما نزلت هذه الآية قال النبى صلي الله عليه وسلم : **♂أنا والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار▬**.

وقوله تعالى -:{أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦} [الضحى: ٦].

عدد سبحانه مننه على نبيه محمد صلي الله عليه وسلم فقال:{أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا}.

قد مات أبوك{فَـَٔاوَىٰ} أي: جعل لك مأوى تأوى إليه عند عمك أبى طالب فكفلك.

وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم أوتم النبى صلي الله عليه وسلم من أبويه؟

فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق..

وقيل: ضالا فى شعاب مكة فهداك وردك إلى جدك عبد المطلب..

قال ابن عباس: ضل النبى صلي الله عليه وسلم وهو صغير فى شعاب مكة فرآه أبو جهل منصرفا عن أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب فمن الله عليه حين رده إلى جده على يد عدوه..

وقيل: إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلي الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب..

فسمعت عند باب مكة: هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد إليك النور والدين والبهاء والجمال.

قالت: فوضعته لأصلح ثيابى فسمعت هزة شديدة فالتفت فلم أره فقلت: معشر الناس أين الصبى؟

فقالوا: لم نر شيئا فصحت: ومحمداه...

فإذا بشيخ فانٍ يتوكأ على عصاه فقال اذهبى إلى الصنم الأعظم فإن شاء أن يرده إليك.

ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال: يا رب لم تنزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها ضل فرده إن شئت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الأصنام.

فطاف عبد المطلب بالكعبة وتضرع إلى الله أن يرده وقال:

يا رب رُد ولدى محمدا ::: اردده ربى واتخذ عندى يدا

يا رب إن محمداً لم يوجَدَا ::: فَشَمْلُ قومى كلهم تبددا

فسمعوا مناديا من السماء: معاشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وأن محمداً بوادى تهامة عند شجرة السمُر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فإذا النبى صلي الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق..

قوله تعالى:{وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾} [الضحى: ٨]، أي: فقيراً لا مال لك:{فَأَغْنَىٰ} فأغناك بخديجة رضى الله عنها..

وقوله تعالى -:{فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾} [الضحى: ٩]، لا تسلط عليه بالظلم ادفع إليه حقه.

وعن مجاهد " فلا تقهر " فلا تحتقر..

وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ فى أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه

ودلت الآية على اللطف باليتم وبره والإحسان إليه..

وروى عن أبى هريرة أن رجلاً شكا إلى النبى صلي الله عليه وسلم قسوة قلبه

فقال:♂**إن أردت أن يلين فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**▬ رواه مسلم.

عن ابن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:♂**إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتى من ذا الذى أبكى هذا اليتيم الذى غيبت أباه فى التراب؟ فتقول الملائكة: ربنا أنت أعلم فيقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتى اشهدوا أن من أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة**▬ رواه البخارى ومسلم.

فكان ابن عمر إذا رأى يتيما مسح برأسه وأعطاه شيئاً..

وعن أنس رضى الله عنه قال: رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من ضم يتيما فكان فى نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة▬** رواه مسلم وغيره.

قوله تعالى:{وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾} [الضحى: ١٠]، أي: لا تزجره فهو نهى عن إغلاظ القول ولكن رده ببذل يسير أو رد جميل وقيل المراد بالسائل هنا الذى يسأل عن الدين أي: فلا تنهره بالغلظة والجفوة وأجبه برفق ولين..

وروى أن النبى صلي الله عليه وسلم قال:♂**سألت ربى مسألة وودت أنى لم أسألها قلت يا رب.. اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن وأعطيت فلانا كذا فقال عز وجل:**

ألم أجدك يتيما فآويتك ألم أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أوتك ما لم أوت أحداً قبلك خواتيم سورة البقرة؟ ألم أتخذك حبيبا لما اتخذت إبراهيم خليلا؟ قلت: بلى يا رب▬
رواه أبو داود.

وقوله تعالى -:{وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾} [الضحى: ١١] أي: انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكرا لله.. وعن مجاهد:{وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾} قال: بالقرآن.

وقيل: بالنبوة، أي: بلغ ما أرسلت به.. والخطاب للنبى صلي الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره

قال: ابن الجشمى كنت عند رسول الله صلي الله عليه وسلم جالسا فرآنى رث الثياب فقال:♂**ألك مال؟▬** قلت: نعم يا رسول الله. قال:♂**إذا أتاك الله مالاً فلير أثره عليك▬**.

وروى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: ♂**إن الله جميـل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده**▬ رواه النسائى.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٤ ـ يوم عرفه وأحكام الأضحية

الحمد لله عز وجل يبدل ولا يتبدل ويحول ولا يتحول:{يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦} [الحديد: ٦]، أشهد أن لا إله إلا الله:{يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤} [النور: ٤٤]، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أدى الأمانة وبلغ الرسالة وهذب الحياة وقوم الأحياء فصلوات الله وسلامه عليه وعلى الطاهرين من آله وذريته والسابقين من أنصاره وصحابته والثابتين على هديه وسنته.{أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥} [البقرة: ٥].

أيها المؤمنون.. يوم عرفة هو اليوم التاسع من ذى الحجة يقف الناس هناك يطلبون المغفرة وقد وعدهم الله بنزول الرحمة عليهم.. خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة وخير الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير.. " وما رؤى إبليس يوماً أدحر وأخزى من يوم عرفه " الرحمات تنزل على الحجاج فى عرفات..

وعيد الأضحى يسمى العيد الأكبر ويسمى عيد الفداء أما تسميته بالأضحى والفداء فلما كان من إبراهيم وإسماعيل من تضحية وفداء وأما تسميته بالأكبر فلكبر عطاء الله فيه وهو اليوم الذى تتم فيه مناسك الحج..

وقد نزل على رسول الله فيه وهو فى حجة الوداع..{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} [المائدة: ٣]، وقد سمى عيداً لأنه يعود ويتكرر ولكن العيد لمن؟ العيد لمن خشى يوم الوعيد ولمن لمولاه يخلص إخلاص الأتقياء..

الاحتفال بالعيد:

١- يبدأ بالتكبير من فجر يوم عرفه ويستمر عقب الصلوات إلى عصر آخر أيام التشريق وهى ١١، ١٢، ١٣..

٢- ويبدأ بصلاة العيد جماعة وقد شرع ذلك فى السنة الثانية من الهجرة وأول عيد صلاه رسول الله عيد الفطر..

٣- ثم بعد صلاة العيد يذبح الأضحية التى تعتبر أهم أنواع التكافل فى يوم العيد وإن دماءها لتقع من الله بمكان قبل أن تقع على الأرض فطيبوا بها نفسا..

٤- ثم بالتجمل وأخذ الزينة:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ} [الأعراف: ٣١ - ٣٢] وقال صلي الله عليه وسلم :♂**من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة فى الآخرة ثم ألهبه فيه نارا**▬ رواه البخارى ومسلم.

٥- ويسن أيضا الإكثار من الذكر والتكبير فى هذا اليوم وما يليه:{ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ} [الحج: ٣٤].

أحكام الأضحية:

١- تعريفها: الأضحية أو الضحية: اسم لما يذبح أو ينحر من الإبل أو البقر أو الغنم فى عيد الأضحى شكرا لله تعالى وتقربا إلى الله..

٢- متى شرعت؟ وما حكمة مشروعيتها؟ شرعت الأضحية فى السنة الثانية من الهجرة كالعيدين وقد شرعت شكراً لله تعالى على نعمه وللتوسعة على الفقراء والمحتاجين..

٣- ودليل مشروعيتها قوله تعالى:{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣} [الكوثر: ١ - ٣]، أي: إنا أعطيناك يا محمد النهر العظيم المسمى بالكوثر فداوم على الصلاة وعلى نحر الإبل تقربا إلى الله وتصدق على الفقراء والمساكين واعلم أن الكاره لك والمعادى لشخصك هو المقطوع عن كل خير والمحروم من كل سيرة حسنة... وقد ثبت أن النبى صلي الله عليه وسلم ضحى بكبشين أي: بخروفين أملحين أي يخالط بياضهما سواد - أقرنين - أي لهما قرون..

٤- وحكم الأضحية: أنها سنة مؤكدة ويكره تركها بالنسبة للقادر عليها بأن يكون عنده مال يستطيع بواسطته أن يشترى الأضحية دون حرج أو استدانة..

٥- وتكون الأضحية من الإبل أو البقر أو الغنم من الذكور أو الإناث ويجب أن يكون سن الإبل خمس سنوات والبقر سنتان والغنم سنة ويدخل فى الغنم الماعز... وأجاز المالكية والحنابلة أنه يجوز أن يكون سن الغنم ستة أشهر.. أما الماعز فلا يقل عن سنة وتكفى الناقة أو الجمل أو البقرة عن سبعة أشخاص أما الشاة فتكفى عن شخص واحد..

٦- ووقت ذبح الأضحية يكون فى يوم الأضحى بعد صلاة العيد فإذا لم يتمكن المضحى من ذبح أضحيته فى يوم عيد الأضحى جاز له أن يذبحها فى الأيام الثلاثة التى بعد يوم عيد الأضحى.. ولا يصح ذبح الأضحية قبل صلاة عيد الأضحى ففى الصحيحين أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:♂**من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه أي عبادته وأصاب سنة المسلمين**▬ رواه أبو داود.

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال:♂**إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أي: فى يوم عيد الأضحى أن نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل ذلك فهو لحم قدمه لأهله**▬ رواه مسلم.

٧- ويسن للمضحى أن يذبح أضحيته بنفسه إن كان يحسن ذلك كما يسن له أن يجعلها أثلاثا ثلثها لنفسه ولأهله والثلث الثانى لأقاربه وأصدقائه والثلث الثالث للفقراء والمحتاجين.

٨- ويجب أن تكون الأضحية خالية من العيوب فلا يصح أن تكون عمياء أو عرجاء أو هزيلة أي ضعيفة لا لحم فيها..

٩- ويستحب أن يحضر بنفسه عند الذبح ويكره ترك التوجه إلى القبلة ويقول بعد التوجه قبل الذبح: إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين..

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد بسم الله..

فيذبح ثم يصلى ركعتين على طريق الاستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام:♂**القوا ما فى أيديكم من السكين ثم اركعوا ركعتين فإنه ما ركعهما أحد وسأل الله شيئا إلا أعطاه " ويقول بعد السلام اللهم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين▬** رواه النسائى.

عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال:♂**يا عائشة قومى إلى أضحيتك واشهديها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها على الأرض أن يغفر الله تعالى ما سلف من ذنوبك فقالت يا رسول الله ألنا خاصة أم للمؤمنين عامة؟▬.**

فقال عليه الصلاة والسلام:♂**بل لنا وللمؤمنين عامة▬** رواه مسلم، ولا يأكل من الأضحية المنذورة شيئا ولا يبيع من الأضحية شيئا ولو جلدها أي يحرم عليه ذلك ولا يصح سواء كانت منذورة أم لا والتصدق به أفضل لخبر الحاكم:♂**من باع جلد أضحيته فلا ضحية له▬.**

ولا يجوز إعطاؤه أي الجلد أجرة للجزار.. ويسن لمن يضحى أن لا يزيل شعره ولاظفره فى عشر ذى الحجة حتى يضحى.

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلي الله عليه وسلم قال:♂**ما عمل ابن آدم يوم النحر من عمل أحب إلى الله تعالى من إراقة الدم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا▬** رواه البخارى ومسلم.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

٤٥ ـ عيد الأضحى المبارك

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر ما وفق الله بعض المسلمين إلى حج بيته الحرام..

الله أكبر ما تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم وخرجوا لأداء هذه الفريضة ابتغاء رضوان الله

الحمد لله الذى جعل عيد الأضحى من أكبر نعمه على المؤمنين..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفضل على حجاج بيته الحرام بتطهير القلوب ومغفرة الذنوب فكانوا من الفائزين.. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله الصادق الوعد الأمين.. اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين..

أيها المؤمنون.. إن عيد الأضحى عيد سعيد لأنه موسم ربح ومغنم فيه يباهى الله بالأتقياء من أهل الأرض فيا سعادة من اغتسل فيه بطيب التقى والعفاف ويا فوز من جمع فيه إلى الزينة لباس الضراعة والخشوع..

فالعيد لمن خشى يوم الوعيد ولمن لمولاه يخلص إخلاص الأتقياء أولئك يفرحون يوم يحزن الناس ويؤمنون يوم يخاف الناس ويرضون عن الله قائلين:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ } [الزمر: ٧٤].

وعيد الأضحى يسمى العيد الأكبر ويسمى الفداء أما تسميته بالأضحى والفداء لما كان من إبراهيم وإسماعيل من تضحية وفداء.. وأما تسميته بالأكبر فلكبر عطاء الله فيه وهو اليوم الذى تتم فيه مناسك الحج وقد نزل على رسول الله وهو فى حجة الوداع..

قولـه تعـالى:{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} [المائدة: ٣].

وقد سمى عيداً لأنه يعود ويتكرر..

الاحتفال بالعيد:

١- يبدأ بالتكبير من فجر يوم عرفه ويستمر عقب الصلوات جماعة أو فرادى حتى عصر آخر أيام التشريق وهى ١١، ١٢، ١٣ من ذى الحجة..

أما فى عيد الفطر فيبدأ من ليلة الفطر إلى أن يخرج الإمام لصلاة العيد وابتداء الخطبة.

٢- ثم يذبح الأضحية التى تعتبر أهم أنواع التكافل فى يوم العيد إن دماءها لتقع من الله بمكان قبل أن تقع على الأرض فطيبوا بها نفسا..

٣- ثم التجمل والزينة لقوله تعالى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ} [الأعراف: ٣١ - ٣٢].

4- الإكثار من الذكر والتكبير فى هذا اليوم وما يليه قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ} [الحج: ٣٤].

اعتاد الناس أن يتذكروا مأساة أبيهم إبراهيم قيل سبب ذبح إبراهيم إسماعيل عليهما السلام أنه قرب ألف شاه وثلاثمائة بقرة ومائة بدنة فى سبيل الله فتعجب الناس من ذلك فقال إبراهيم عليه السلام: والله لو كان لى ابن لأذبحنه فى سبيل الله وأتقرب به إلى الله تعالى..

فلما قال إبراهيم عليه السلام: هذا القول مضى عليه زمان فنسى هذا القول فلما جاء إلى الأرض المقدسة سأل ربه الولد فأجاب الله دعاءه وبشره بالولد وولدته أمه:{ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ } [الصافات: ١٠٢]، قيل: ابن سبع سنين وقيل: ابن ثلاث عشر سنة قيل له فى نومه: أوف بنذرك.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: لما كانت ليلة التروية ونام رأى فى المنام.

يقول: يا إبراهيم أوف بنذرك فلما أصبح أخذ يتروى فلذا سمى يوم التروية: فلما أمسى رأى ثانيا فى المنام فلما أصبح عرف أنه من الله ولذا سمى يوم عرفة واسم ذلك المكان عرفات..

ثم رأى فى الليلة الثالثة مثله فهم بنحره ولذى سمى يوم النحر..

فلما أراد أن يذهب بإسماعيل عليه السلام إلى النحر قال إبراهيم عليه السلام لهاجر وهى أم إسماعيل عليه السلام:

ألبسى ولدك إسماعيل أحسن ثيابه فإنى ذاهب به إلى ضيافة فألبسته أمه ورجلت شعر رأسه فحمل إبراهيم عليه السلام حبلا وسكينا وذهب معه إلى جانب منى..

ولم يكن إبليس عليه اللعنة من يوم خلقه الله أشغل ولا أكثر ترددا منه فى ذلك اليوم فكان إسماعيل يلعب أمام أبيه فجاء إبليس يقول لأبيه: ألا ترى حسن صورته؟

فقال إبراهيم نعم ولكن أمرت بذلك فلما أيس منه جاء إلى هاجر وقال: كيف تقصدين ذهب إبراهيم بابنك ليذبحه قالت: لا تكذب علىّ..

هل رأيت أبا يذبح ابنه؟

فقال: لأجل ذلك أخذ الحبل والسكين قالت لأى شيء يذبحه؟

قال: يزعم أن الله أمره بذلك فقالت: النبى لا يؤمر بالباطل وأنا أفدى لأمره روحى فكيف بولدى فلما أيس من جانبها جاء إلى إسماعيل عليه السلام فقال: إنك تفرح وتلعب ومع أبيك حبل وسكين يريد ذبحك..

فقال: لا تكذب علىّ لم يذبحنى أبى؟

قال: يزعم أن الله أمره بذلك قال: سمعنا وأطعنا لأمر ربى..

فلما أراد إبليس أن يلقى كلاما آخر أخذ إسماعيل عليه السلام حجراً من الأرض فرماه به فذهب إبليس خائبا خاسراً.

فأوجب الله علينا رمى الحجارة فى ذلك الموضع طرداً للشيطان واقتداء بإبراهيم خليل الرحمن.. فلما بلغ منى قال إبراهيم عليه السلام لولده:{يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ} [الصافات: ١٠٢].

أي بين لى ما الذى ترى هل تصبر لأمر الله أو تسأل العفو قبل الفعل؟

وهذا امتحان من إبراهيم لولده هل يجيبه بالسمع والطاعة أم لا: {يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الصافات: ١٠٢].

على ما أمرت من الذبح فلما سـمع إبراهيم كلام ولده عرف أن الله قد اســتجاب دعاءه حين دعا الله بقوله:{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾} [الصافات: ١٠٠] فحمد الله كثيراً.

ثم قال إسماعيل عليه السلام لأبيه: يا أبت أوصيك بأشياء:

١- أن تربط يدى كيلا أضطرب فأوذيك.

٢- وأن تجعـل وجهى على الأرض كيلا تنظر إلى وجهى فترحمنى.

٣- واكفف عنى ثيابك كيلا تتلطخ بشىء من دمى فينقص أجرى.

٤- واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقى فإن الموت شديد.

٥- وأن تذهب بقميصى إلى أمى تذكرة لها منى وسلم عليها وقل لها: اصـبرى على أمر الله فقال إبراهيم عليه السـلام: نعم العون أنت يا ولدى على أمر الله:{فَلَمَّآ أَسْلَمَا} [الصـافات: ١٠٣]، أي استسلما لأمر الله تعالى:{وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣]، أي صرعه على شقه وكان ذلك عند الصخرة من منى.. ووضع السكين على حلق ولده فعالجه بشدة فلم يقدر على قطعه وقد كشـف الله الغطاء على أعين الملائكة فلما رأوا أن إبراهيم يذبح ولده خروا له سجدا..

فقال الله تعالى:♂**انظروا إلى عبدى كيف يمر السـكين على حلق ولده لأجل رضائى وأنتم قلتم حين—.**

قلـت:{إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠]، قلتم:{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [البقرة: ٣٠].

ثم قال إســماعيل عليه الســلام: يا أبت حل يدى ورجلى حتى لا يرانى الله مكرها بل ضــع الســكين على عنقى لتعلم الملائكة أنى مطيع لله فمد يديه ورجليه بلا وثاق وحول وجهه إلى الأرض فأمر الســكين بجميع قوته فانقلب الســكين ولم يقطع بإذن الله تعالى فقال إسـماعيل عليه السـلام: يا أبت ضـعفت قوتك بسـبب محبتك لى فلا تقدر على ذبحى..

فضرب بالسكين الحجر فصار الحجر نصفين فقال إبراهيم عليه السـلام: تقطع الحجر ولم تقطع اللحم (فتكلم السـكين بقدرة الله تعالى فقالت السكين: يا إبراهيم أنت تقول اقطع وإله العالمين يقول لا تقطع فكيف أمتثل أمرك وأعصى ربى؟).

ثم قال الله تعالى:{وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ} [الصـافات: ١٠٤، ١٠٥]، فيما رأيت من الرؤيا فظهر لعبادى أنك اخترت رضـائى على حب ولدك وكنت فى ذلك من المحسـنين:{إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [الصـافات: ١٠٥]، المطعين لأمرى{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦]،{ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧} [الصافات: ١٠٧]، من الجنة وهو الكبش الذى قربه هابيل..

فقال جبريل تعظيما لله وتعجبا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام الله كبر الله أكبر فقال إبراهيم عليه الصـلاة والسـلام: لا إله إلا الله والله أكبر فقال إسماعيل عليه الصلاة والسلام: الله أكبر ولله الحمد..

روى الترمذى فى حديثه عن عائشـة رضـى الله عنها قالت: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم :♂**ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله تعالى من إهراق الدم وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا▬** رواه البخارى ومسلم.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

ملاحظه:

على الخطيب أن يجلس جلســـة خفيفة بعد إتمام الخطبة ثم يقوم فيكبر ســـبع تكبيرات ويخطب خطبة النعت الثانية للجمعة ويختمها ببعض آيات التسبيح والدعاء..

* * *

٤٦ ـ حال الناس عند سماع القرآن الكريم

الحمد لله الذى تفضَّل علينا فأكرمنا بنعمة القرآن حيث جعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، سبحانه وتعالى إنه خبير بما تعملون؛ وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وعد بالعزة والسعادة فى الدارين الذين هم بآياته يؤمنون.

وبأحكامه متمسكون وبأخلاقه وآدابه متخلقون متأدبون وأوعد بالذلة والشقاء فى الدارين الذين هم عن آياته معرضون ولتعاليمه وأحكامِه يجحدون وبأخلاقِه وآدابِه يستهزؤون وعن الأخذ بتعاليمه يستكبرون، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه وصفيُّه وخليلهُ كان القرآنُ معجزتَهُ الكبرى الخالدةَ الباقية إلى آخر أيام الدنيا، بيَّن لنا صلي الله عليه وسلم أن فى التمسك بالقرآن عصمةً ووقايةً من الوقوع فيما يحاوله المضللون.

اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَهُ اتخذوا القرآن شعارَهم فسادوا وفازوا بالحسنيين وفتحوا به الأمصار؛ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون..

أما بعد...

فيا عبادَ الله... القرآنُ الكريمُ الذى أُحكمت آياتُه ثم فُصِّلت من لدُن حكيم خبير هو الدستورُ الخالدُ الذى لا يقبلُ التغيير ولا التعديل ولا التبديل؛ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِه تنزيلٌ من حكيم حميد..

هو المعجزةُ الخالدةُ الكبرى لرسول الله صلي الله عليه وسلم تحدّى به بلغاءَ العرب فسجَّل الله عجزَهم عن محاكاةِ أقصرِ سورةٍ منه فى أسلوبها ومعانيها حتى ولو كانوا متظاهرين متعاونين.

قال تعالى:{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)} [البقرة: ٢٣].

قال تعالى:{ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء: ٨٨].

هو أصدقُ الحديث وأحسنُ الحديث إذا سمعوا منه آيات البشر والسرور لانت قلوبهم واستبشرت نفوسُهُم واطمأنتْ أفئدتهم. الله نزَّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانىَ تقشعرُ منه جلودُ الذين يخشون ربهم ثم تلينُ جُلودُهم وقُلوبُهُم إلى ذكر الله ذلك هدى الله؛ هذا هو النورُ المبينُ الذى يضيء لمن اتبع تعاليمه؛ طرقَ السعادة والسلام ويخرجهم من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الإيمان واليقين.

{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: ١٥ - ١٦].

هو الذكر المبارك الذى أمر الله المؤمنين أن يتدبروا آياته وأن يتذكروا معانيها كما أمرهم باتباعه والعملِ بما فيه إن كانوا من ذوى العقول السليمة والضمائر الحية ووعدهم بأن هذا طريقُ الرجاء فى رحمة الله.

هو الغذاءُ الروحى الكريمُ إذا قُدم إلى قلوب المؤمنين أصلح شأنها وغذاءها؛ ومن الأمراض النفسية شفاها وإذا قُدم إلى قلب غير المؤمنين أوقعه فى الخسران والنكال

قال تعالى:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)} [الإسراء: ٨٢].

{وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ (أي شـــك ونفـاق) فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾} [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

ولا غرابـة فى هـذا فنحن نرى الأطبـاء يمنعون ذوى الأجســـام المريضـــة من الأغذية الطيبة المُمْتعة معللين هذا بأن الأغذية الطيبة تضر الأجسام. فما بالكم بهذا الغذاء الروحى الطيّب الكريم؟

هو القرآن الكريم الذى يهدى إلى أقوم الطرق وأســلمها ويبشــرُ المؤمنين بما أُعد لهم من الفضـل الكبير والأجر العظيم ويسـجل على المعرضـين عنه وبالاً وشـقاء ونكالاً ويوقعهم فى العذاب الأليم..{ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾} [الإسراء: ٩].

{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾} [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

هو القرآن الكريم وتلكم بعضُ خصــائصـــه ومميزاته إذ لا يتسـع الوقتُ لذكرِ عشر معشار مميزاته وخصائصه..

والذى نريد أن نعرفه الآن هو: موقف الســلف الصـــالح من هذا الكتـاب، ثم موقفنـا نحن منـه علَّنـا نـدرك الفرقَ بين موقفنـا وموقِفِهم فنصلحُ ما وقعنا فيه من الأخطاء نحو قداسة هذا الكتاب.

أدرك السـلفُ الصــالحُ ما لهذا الكتاب الكريم من حرمةٍ وقداسـةٍ ورَوْعة وجلال فاتَّخذوه دسـتورهم وإمامهم وحَكَمَهم ورائدهم وقائدَهم وأسـتاذَهم وأنيسـهَم وجليسـهم وصـديقهم وشـعارهم وكلَّ شـيء لديهم فأعزَّهُمْ به الذى أنزله. وبسطوا سلطان دينهم على جزء كبير من

بقاع الأرض فى مدة وجيزة ودانت لهم رقابُ الجبابرة. عرفوا قدره وعلوَّ شــأنه حتى لقد رأينا المرأة العربية تقْبِل مختارة أن يكون صداقُها فى الزواج تعليمها سورة من القرآن.

عرفوا قدره وجلاله وقداســته وروعته حتى لقد رأينا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يمر فيسمع قارئا يتلوا من كتاب الله:{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝} [الطور: ٧، ٨]، فيقع أمير المؤمنين على الأرض ويُغمى عليه ويصاب بمرض يستمر فيه شـــهراً. وليس معنى هذا أن ابن الخطاب كان يجهل الآية لا. هو يحفظها تمام الحفظ، ولكنه لما ســـمِعَها من قارئ مخلص تأثر قلبهُ بمعناها وما فيها من روعةٍ وجلال..

وهذا هو أبو بكر الصديقُ - رضى الله تعالى عنه - الخليفةُ الأولُ والصـــديقُ الأولُ إذا قرأ القرآن أبكى كل من ســـمعه حتى إن بعض المشـــركين جاؤوا يطلبون من صـــاحب أبى بكر أن يأمره بتخفيف صوته عند تلاوة القرآن لأن نساءهم غلبنهم من البكاء عندما يسمعن تلاوة أبى بكر..

هذه هى خلاصة مجملة لموقف السلف الصالح من القرآن الكريم. فما موقفنا نحن؟

إننا إذا أردنا أن نعرف موقفنا من هذا الكتاب فلنستعرض:

أحوال الأمة التى نزل هذا القرآنُ لتنظيم شـؤونِها من جهة إقبالهم عليه وعملهم بما فيه.

ثم نستعرض أحوالهم من جهة سماعهم له..

ثم نستعرض أحوال قرائه الذين اصطفاهم الله لحفظه..

أما موقفنا العام من القرآن الكريم فهو موقفٌ يسجل علينا الخزى والعار لأننا احتقرْنَا العملَ بأحكامه فتأخرت حضارتنا ومدنيتنا، وأنها كانت خاصةً بالعصر الذى نزلَ فيه القرآن - وإذا دعينا إلى العمل بما فيه - سلفنا الداعى بألسنةِ حداد كأنه يدعونا إلى شيء نُكر لا قِبلَ لنا باحتماله..

ومن هذا النوع تلكم المرأة السافرة فهى تعتقد أن تعاليم القرآن التى أوجبت ستر عورتها تؤخرها عن ركب الحضارة والمدنية. فهى من أجل هذا تنظر إلى هذه الأحكام نظرة إنكار واحتقار وكأنها وقد امتلأت نفسها ضيقاً وضاقت بها الحياةُ ذرعا من هذه التعاليم السماوية الكريمة... أما قراء القرآن الذين اصطفاهم الله لحفظ كتابه حيث قال: {وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٢٠٤].

فقد ظلم بعضُهم نفسه واستوجب لنفسه لعنة الله.

ومن هذا النوع من يتغنوْن بالقرآن بنغماتٍ موسيقيةٍ بحيث لا يقرأ الواحد منهم الآية إلا إذا ردَّدَ قبلها أغنيةً ليأتى بالآية على نغماتها ولا تنشرحُ صدوُرهم إلا إذا أَعلن السامعون استحسانهم لنغماتهم الخليعة.

ومنهم الذين إذا قرؤوا القرآن ووصلوا إلى آيةٍ فيها وعيدٌ وإنذار تركوها وانتقلوا إلى آيات الوعد والبشير والسرور بحجة أنهم لا يريدون أن يُسمِعوا الناس شيئا من وعيد الله سبحانه وتعالى وهو الذى أمر بوضع هذه الآية بجانب تلك.

وأما موقفنا من سماع القرآن فهو موقفٌ أشدُّ إنكارا من المواقف السابقة لأننا لا نحب أن نسمعَه إلا من ذوى النغمات الموسيقية التى تُخرجُ القرآن عن مألوفه. الآيات التى تتحدث عن الأمم السابقة..

وتقصُّ أخبار هلاكهم وكيفية إهلاكهم فبدل أن نتأثر بمعانيها نرفع أصواتَنَا معجبين بنغمات قارئها دون أن نلتفت إلى ما تحمله من المعانى الرائعة المنذرة...

فيأيها الكتابُ الكريم ارفع شكواك إلى ربك الذى أنزلك ارفع شكواك من الأمة التى نْزَلْت لتنظيم شئونها فأعرضت عنك وأهملت تعاليمك واحتقرت أحكامك ارفع شكواك من سامعيك الذين لم يقبلوا سماعك إلا بنغمات موسيقية تذهب بروعتك وجلالك..

فيأيها المؤمنون: هذا موقفُ بعض الناس من القرآن الكريم؛ وهو موقفٌ لا يرضى كلَّ ذى ضمير حى ليس وراءَه إلا الهلاكُ والشقاءُ والدمار. فإذا أردتم لأنفسكم مجداً وعزًّا وسعادة وإذا أردتم لأنفسكم نجاةً ونُصرة وفلاحاً وسيادةً وتمكينا فى الأرض فلن يتم لكم هذا إلا إذا لجأتم إلى القرآن الكريم واتَّخذتموه دستورَكم وأستاذكم وحكمكم ورائدكم وقائدكم وأنيسكم وجليسكم وصديقكم وكلَّ شيء لديكم كما كان يفعل السلف الصالح وأن ترجعوا إليه فى كل ما تتنازعون فيه:{فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا } [النساء: ٥٩].

فاتقوا الله أيها المؤمنون وتمسكوا بأحكام القرآن وتخلقوا بأخلاقِه وتأدَّبُوا بآدابه تفوزوا بالسعادة الأبدية فى الدارين..

ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**▬ رواه البخارى اقرؤوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن:♂**اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**▬ رواه مسلم

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة.

* * *

٤٧ ـ **عام الحزن وخروج الرسول** صلي الله عليه وسلم **إلى الطائف**

الحمد لله الذى لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه حفظ الله نبيه من كيد أعدائه حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل.. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير أرسله الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين وائتلاف ومحبة للمتفرقين المتباغضين سيدى يا رسول الله.

صلت عليك ملائكة الرحمن ::: وسرى الضياء بسرائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مزوداً ::: بحمى الإله وراية القرآن

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد...

فيا عباد الله.. فما زلنا نعيش مع سيرة الحبيب المصطفى صلي الله عليه وسلم نذكرها لنتذكر ما لقيه الرسول صلي الله عليه وسلم من متاعب فى سبيل تبليغ رسالة الإسلام نتحدث عن عام الحزن.. ألح المرض بأبى طالب فلم يلبث أن وافته المنية وكانت وفاته فى رجب سنة عشر من النبوة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر..

وفى الصحيح أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلي الله عليه وسلم وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أميه**!** يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟

فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب...

فقال النبى صلي الله عليه وسلم :♂**لأستغفرن لك مالم أنه عن ذلك فنزلت▬.**

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة: ١١٣].

ولا حاجة إلى بيان ما كان عليه أبو طالب من الحماية والمنع فقد كان الحصن الذى تحتمى به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء ولكنه بقى على ملة الأشياخ من أجداده.

ففى الصحيح عن العباس بن عبد المطلب قال للنبى صلي الله عليه وسلم : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟

قال:♂**هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار▬.**

وعن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبي صلي الله عليه وسلم وذكر عنده عمه..

فقال: لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار تبلغ كعبيه، رواه مسلم.

وبعد وفاة أبى طالب بنحو شهرين أو ثلاثة..

توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى رضى الله عنها كانت وفاتها فى شهر رمضان فى السنة العاشرة من النبوة ولها خمس وستون سنة ورسول الله صلي الله عليه وسلم آنذاك فى الخمسين من عمره..

إن خديجة كانت من نعم الله الجليلة على رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم بقيت معه ربع قرن تحن عليه سـاعة قلقله وتؤازره فى أحرج أوقاته وتعينه على إبلاغ رسـالته وتشـاركه فى كل أموره وتواسيه بنفسها ومالها.

يقول رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم :♂**آمنت بى حين كفر بى الناس وصدقتنى حين كذبنى الناس وأشركتنى فى مالها حين حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد**▬.

وفى الصـحيح عن أبى هريرة قال: أتى جبريل النبي صـلي الله عليه وسـلم فقال:♂**يا رسـول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السـلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**▬. رواه البخارى ومسلم

تراكم الأحزان..

وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة فاهتزت مشاعر الحزن والألم فى قلب رسول الله صلي الله عليه وسلم..

قال ابن إسـحاق: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم من الأذى ما لم تطمع به فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا..

ودخل بيته والتراب على رأسـه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ورسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لها:♂**لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك**▬.

ويقول:♂**ما نالت منى قريش شـيئا أكرهه حتى مات أبو طالب**▬ ولما توالت هذه الآلام فى هذا العام سماه رسـول الله صـلي الله عليه وسلم عام الحزن وبهذا اللقب صار معروفا فى التاريخ.

وفى شهر شوال سنة عشر من النبوة..

خرج النبي صلي الله عليه وسلم إلى الطائف وهى تبعد عن مكة نحو ستين ميلا سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهابا ومعه مولاه زيد بن حارثة..

وأقام الرسول صلي الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه..

فقالوا: اخرج من بلادنا وأغروا به سـفهاءهم فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ووقفوا صـفين وجعلوا يرمونه بالحجارة ورجموا عراقيبه حتى اختضبت نعلاه بالدماء..

وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج فى رأسه ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجؤوه إلى حديقة لعتبة وشيبة ابنى ربيعة على ثلاثة أميال بين الطائف...

وجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم فى الحديقة ودعا بالدعاء المشـهور الذى يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنا مما لقى من الشـدة وأسفا على أنه لم يؤمن به أحد قال:♂**اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقله حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضـب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسـع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصـلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**▬.

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل فلما وضعه بين يدى رسول الله صلي الله عليه وسلم مد يده إليه قائلا:♂**باسم الله**▬ ثم أكل..

فقال: عداس إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد..

فقال: له رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟**▬ فقال: أنا نصرانى، من أهل: " نينوى " بالعراق..

فقال: رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى**▬ قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**ذاك أخى هو نبى وأنا نبى**▬ فأكب عداس على رأس رسول الله صلي الله عليه وسلم ويديه ورجليه يقبلها..

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاء عداس..

قال له: ويحك ما هذا؟

قال: يا سيدى ما فى الأرض شيء خير من هذا الرجل لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى.

قال: له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه..

ورجع رسول الله صلي الله عليه وسلم فى طريق مكة بعد خروجه من الطائف كئيباً محزونا كسير القلب بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة.

وقد روى البخارى تفصيل القصة بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها حدثته أنها قالت للنبى صلي الله عليه وسلم..

هل أتى عليك يوماً كان أشد عليك من يوم أحد؟

قال:♂**لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال.. فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب وهو المسمى بقرن المنازل.. فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت▬**
والأخشبان: هما جبلان بمكة.

قال النبى صلي الله عليه وسلم :♂**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا▬.**

هذا الجواب الذى أدلى به الرسول صلي الله عليه وسلم تتجلى شخصيته الفذة وما كان عليه من الخلق العظيم..

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٨ ـ تأملات فى الهجرة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.. اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين..

أما بعد...

فلا تزال بقايا من قصة الهجرة تحتاج إلى توضيح ولا تزال عبر فى هذا الحادث الضخم...

١ - أول ما نوجه النظر إليه فى حادث الهجرة قانون السببية إن هذا القانون فرض نفسه فى الهجرة لم يقل النبى عليه الصلاة والسلام إننى ومن معى أوذينا فى الله طويلاً وقد أخرجنا من ديارنا كرها فعناية السماء يجب أن تلاحقنا. اتخاذ الأسباب إذن دين وهذا هو الذى جعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يفكر فى الاختباء فى الغار وفى تضليل أعدائه فكان يتجه جنوبا وهو يريد أن يتجه إلى الشمال وفى اتخاذ راحلتين قويتين حتى تتمكنا من السفر..

واتخاذ دليل مدرب حتى يعرف ما هنالك من وجوه الطرق والأماكن التى يمكن التعريج عليها بعيداً عن الأرصاد المبثوثة هنا وهناك وكيف يضلل من يبحثون عنه؟

قضية السببية قضية فرغ الإسلام منهاوقرر أنها حق لكن موقف المؤمن والكافر من السبب يختلف بعد ذلك..

فالمؤمن بعد أن يتخذ الأسـباب كاملة لا يعول عليها بل يؤمن بأن الأمور بيد الله وأن النتـائج تتم بقدرة الله وأن هنـاك أســـبـاب أخرى ليســت فى يد الإنســان. الله جل شــأنه هو الذى يوفرها ويكثرها لمن أراد أن ينجح قصده..

ولذلك قارن العلماء بين موقفين للنبى عليه الصلاة والسلام..

قـالوا فى الغـار عنـدمـا أحس أقدام المطـاردين تقترب وعنـدمـا بدأ أبو بكر رضى الله عنه يقلق ويشعر بالوجل كان النبي صلي الله عليه وسلم يسكن روعه ويقول لـه: ♂**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**▬.

قال العلماء:

هذا الموقف يغاير الموقف فى معركة بدر عندما أخذ النبي صـلي الله عليـه وســـلم يتجـه بقلبـه إلى الله فى ضـــراعـة ودعـاء متتـابع واسـتغاثـة: ♂**اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض**▬.

فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيـه فـأتـاه أبو بكر وقـال: " يـا نبى الله كفاك مناشـــدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ".

قال العلماء: ما السبب فى تفاوت الموقفين هنا وهناك؟

وكان الجواب: إن النبى عليه الصــلاة والســلام فى الغار كان قد اتخذ الأســـبـاب كلها وأفرغ ما فى طاقته عملياً فأطمأن إلى أن الله هو الذى ســـيكفله وهو الذى ســـيحقق ما يصـــبو إليه من أمل فى إنجاح الهجرة وبلوغها غايتها..

أما فى بدر فإن الأسـباب لم تكتمل من ناحية، وربما تعلقت الهمة بها وانتظرت النصر منها فأراد النبى صلي الله عليه وسلم أن يتجرد من هذه الأسباب من الجيش الذى خرج إلى القتال فكان دعاؤه وكانت استغاثته وكانت ضراعته وكان استنصاره بالله جل جلاله..

الفـارق بين المؤمن والكـافر كلاهمـا يـأخذ بـالسـبب أمـا نحن المؤمنين فإننا نرى أن الأسـباب أدوات للقدرة العليا ومفاتيح لخزائن الرحمة الإلهية..

أما الكافر فيتصـور أن هذه الأسـباب تتحرك تلقائيا.. هذا هو الفارق بين المؤمنين وغير المؤمنين

أمَّا الأسباب فاتخاذها دين..

عمر بن الخطاب رضـى الله عنه.. لما سمع بالطاعون فى الشـام أبى أن يدخل البلد الذى قصـد أن يدخل إليه فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه: أتفر من قدر الله؟

فغضب عمر غضبا شديداً وقال: يا أبا عبيدة، لو غيرك قالها أفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو أن عندك قطيع غنم فتركت المكان المجدب إلى المكان المخصب ألم تتركه بقدر الله إلى قدر الله؟

هذا المعنى يشرحه حديث آخر فقد سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم : أرأيت أدوية نتداوى بها ورقىً نسترقى بها وتقىً نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال:♂**هى من قدر الله**▬.

والرقية: دعاء المريض لنفسـه بالشـفاء أو تلاوته بعض سـور القرآن للاستشفاء ببركتها كما صح أن النبى عليه الصلاة والسلام " كـان إذا أوى إلى فراشـه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما:{قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ }، و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ }،

و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ} ثم يمسح يهما ما استطاع من جسده يبدأ يهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ذلك ثلاث مرات " رواه مسلم.

شيء آخر يتصل بالهجرة وهو قصة التشريع..

يشيع بين الناس أن ما بعد الهجرة كان عصر التشريع وأن ما قبل الهجرة كان عصر التمهيد هذا كلام يحتاج إلى شيء من التوضيح..

فإن شرائع العقيدة كلها تمت قبل الهجرة وشرائع الأخلاق الفاضلة كلها تمت قبل الهجرة وأن العبادات من صلاة وزكاة تمت قبل الهجرة والحج معروف من شريعة إبراهيم وإذا كان فرض الصوم قد تأخر إلى ما بعد الهجرة فلا يقدح هذا فى أن ما قبل الهجرة كان عصر تشريع لأهم ما تحتاج إليه الأمة فى عقائدها وعبادتها..

الصلاة شرعت قبل الهجرة الزكاة شرعت قبل الهجرة أوائل سورة (المؤمنون) وهى سورة مكيه:{قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ} [المؤمنون: ١ - ٤]، كل هذا شرع قبل الهجرة..

وسورة المدثر وهى أول ما نزل نقرأ فيها قوله تعالى على لسان المؤمنين وهم فى نعيمهم يسألون المجرمين..

{مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝٤٧} [المدثر: ٤٢ - ٤٧].

وقد قال المستشرقون ومن بينهم مستشرق مجرى اسمه " جولدزيهر "

قـال: إن القرآن المـدنى أقل بلاغـة من القرآن المكى.. (وهو قول غير صحيح).

ونحن نريد أن نوجـه النظر إلى أن الغزو الثقـافى لـه تسـلل وله مداخل ويجب أن نحتاط لديننا وعقائدنا من عدوان المستشرقين والمبشرين..

واعلموا أيهـا المؤمنون أننـا نواجـه مسـتقبلا يحتـاج منـا اليقظـة الكاملة والوعى الدقيق والبصـر الفاحص لكل ما يراد بنا أو يبيت لنا والسـبب فى هذا أن مصـر هى طوعاً أو كرها دماغ الإسـلام وقلبه وأن نجاح الإسـلام فيها نجاح له فى العالم أجمع والدليل على ذلك أن أكثر من سـبعين دولة يبعثون بأبنائهم ويتعلمون فى الأزهر الشـريف ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون الإسلام..

من إلهامات الهجرة:

١ - الثقة بوعد الله ونصـره حيث انتصـر الأمن على الخوف وتغلبت الحرية على العبودية.

٢ - وفيهـا معنى الإيثار لقوله تعالى:{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشـر: ٩]، وتغليب المصـلحة العامة على الخاصـة ومحاربة الأنانية.

٣ - تأسـيس دولة الإسـلام فى المدينة كانت المدينة تسـمى يثرب وسـماها رسـول الله طيبة ثم سـميت بمدينة رسـول الله وأصـبحت عاصمة الدولة الإسلامية..

٤ - كانت الهجرة درسـاً عملياً فى التوكل على الله " بعد الأخذ بالأسباب

٥ - التنظيم الأخلاقى علمنا الشجاعة والثبات على المبدأ وحسن

الخلق:♂**إنما الأعمال بـالنيـات وإنما لكـل امرئ مـا نوى فمن كـانـت هجرته إلى الله ورسـوله فهجرته إلى الله ورسـوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه▬** رواه البخارى ومسلم.

وعلى ضوء هذه النظم الأخلاقية والاجتماعية فتح شباب الإسلام العالم (فعمرو بن العاص فتح مصـــروطارق بن زياد فتح الأندلس وعقبة ابن نافع فتح المغرب ومحمد بن القاســم فتح الهند ونشـــر الإسلام..

نصائح عامة:

قال صــلي الله عليه وســلم :♂**ألا أخبركم بالمؤمن؟ المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسـهم والمسـلم من سـلم المسـلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفســه فى طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه من الخطـايـا والـذنوب، بـدأ الإســلام غريبـا وســيعود غريبـا كما بدأ فطوبى للغرباء▬** قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال:♂**الذين يصلحون إذا فسد الناس▬** رواه مسلم.

وفى رواية أخرى:♂**الذين يسـتنون بسـنتى ويعملون بشر‌يعتي عند فساد أمتى▬.**

قصة ابن المقرى:

قال ابن المقرى: كنت أنا والطبرانى وابن حبان بالمدينة ولم يبق معنا شــىء من النفقة فواصـلنا الصـيام يومين ولما كان وقت الإفطار حضــرت قبر الرســول وقلت: يا رســول الله الجوع فقال الطبرانى: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت وقمت أنا وابن حبان نصـــلى لوجه الله وإذا بالباب يدق ففتحناه وإذا برجل معه غلامان بقفتين مملوءتين طعاماً وقال: شـــكوتمونى إلى النبى لقد رأيته فى النوم فأمرنى بحمل شيء إليكم..

علىُ وفص الياقوت:

وأعطى رسـول الله علياً فصــا من ياقوت وأمره أن ينقش عليه لا إله إلا الله ففعل وجاء بالفص إلى رســـول الله فإذا هو منقوش عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال له النبى: ألم آمرك أن تنقش لا إله إلا الله فلم زدت عليه محمد رســول الله؟ فقال: والذى بعثك بالحق نبيا ما فعلت إلا ما أمرت بـه فهبط جبريل وقـال: يـا محمد إن الله يقرئـك السـلام ويقول لك: أنت أحببتنا فكتبت اســمنا ونحن أحببناك فكتبنا اسمك..

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

* * *

٤٩ ـ الهجرة النبوية المباركة

الحمد لله الذى لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه حفظ نبيه محمداً صلي الله عليه وسلم من كيد أعدائه حيث قد اصطفاه وبعنايته كان يتعهده ويرعاه إن الله خبير بما يعملون ويحيط بما يبيتون وما يدبرون ونشهد أن لا إله إلا الله أبطل مؤامرة المشركين الذين أرادوا أن يطفؤوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون..

اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين استعذبوا الموت فى سبيل الاستمساك بدينهم..

أما بعد..

فيا عباد الله... يقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾} [التوبة: ٤٠].

أيها المؤمنون.. لما زاد أهل مكة فى فجورهم وتعسفهم ضد رسول الله صلي الله عليه وسلم وضد دعوته رأى رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يتوجه بدعوته إلى القادمين من البلاد لحج بيت الله الحرام فكان يقابلهم فى مواسم الحج.

فحقق الله أمله حيث انشـرحت صـدور الكثيرين من حجاج يثرب لـدعوتـه لمـا رأو فيهـا من تحقيق أمـانيهم فـاعتنقوا دينـه وكـان عـدد المسلمين من حجاج يثرب يتزايد فى كل سنة.

وقد بايعوه صـلي الله عليه وسـلم على السـمع والطاعة وعلى أن يمنعوه من كل شر يمنعون منه نساءهم وأولادهم وبهذا انتشر الإسلام فى يثرب حتى لم تبق دار فيها إلا دخلها الإســلام إلا دار عبد الله بن أبىّ كبير المنافقين.

فلما علم بهذا مسـلموا مكة هاجر أكثرهم إلى يثرب سـراً تحت جنح الظلام تاركين أولادهم وأموالهم وديارهم فارين بدينهم من إيذاء المشـركين لهم وقـد فتح اليثربيون لهم قلوبهم وبيوتهم وأحسـنوا اسـتقبالهم وقد هاجر كل هؤلاء المسـلمون سـراً إلا عمر بن الخطاب فقد أعلن هجرته مهدداً ومتوعداً من يتعرض له فلم يسـتطع أحد أن يقف أمـامـه ولمـا علمت قريش بهذا كلـه وتـأكدت أن دعوة محمد قد انتشـرت فى يثرب وأن الكثيرين من مسـلمى مكة قد هاجروا إليها وأيقنوا أن دعوة محمد ستنتشـر فى الآفاق عن طريق أهل يثرب وأن مـا قـام بـه الكفـار من الإيـذاء للنبى وأتبـاعـه لن يحقق لهم أملهم لمـا علموا بهذا كله زاد فزعهم وجزعهم وتضـاعف خوفهم فاجتمعوا فى دار الندوة للتشـاور فى الوصـول إلى طريقة تمكنهم من القضـاء على محمد ودعوته قبل أن يستفحل أمره ويكثر أتباعه.

فاقترح بعضـهم حبسـه إلى أن يموت ولكن اقتراحه قد رفض واقترح الآخر إخراجـه من الـديـار وقـد رفض هـذا الاقتراح أيضـاً وأخيراً تآمروا على قتله وكان هذا الاقتراح من أبى جهل لعنه الله.

فاتفقوا على أن يستحضروا من كل قبيله فتى قوياً ويعطوا كل فتى من هؤلاء سيفاً صارماً ثم يذهبوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد كى يتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى أهله على المطالبة بدمه فيرضون حينئذ بالدية..

اتفقوا على هذا ولكن الله الذى أرسل حبيبه ووعده النصرة والعصمة لم يتركه فريسة لمؤامرتهم الدنيئة بل أخبره بكل ما بيتوا ودبروا فقال:{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾} [الأنفال: ٣٠].

ثم أذن الله له فى الهجرة - فذهب النبى إلى بيت أبى بكر فى وقت الظهيرة وشرح له ما أخبره الله به وبين أن الله قد أذن له فى الهجرة.

فطلب منه أبى بكر الصحبة فوافق رسول الله صلي الله عليه وسلم ففرح أبو بكر حتى بكى من شدة الفرح بصحبة رسول الله صلي الله عليه وسلم فى الهجرة ثم أعد أبو بكر راحلتين كان قد جهزهما وكلف بهما عبد الله ابن أُريقط وكان غير مسلم ولكنهما وثقا في أمانته وواعداه أن يقابلهما بالراحلتين عند غار ثور بعد ثلاثة أيام كى يصحبهما ليدلهما على الطريق إلى المدينة ثم رجع رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى بيته وأخبر علياً بالخبر وكلفه أن ينام مكانه ويتسجى ببردته كى يضلل أعين الأعداء حتى إذا ما خرج الرسول قام على برد ما لديه من الودائع والأمانات لأصحابها فيقبل على هذا وينام مكان الرسول صلي الله عليه وسلم وهو يعلم قطعاً أن الذى سينام هنا مقتول لا محالة ولكنه فعل هذا وافتدى الرسول بنفسه بدافع الإيمان القوى والقلب الكبير..

ولما دخل الليل جاء المكلفون بقتل الرسـول وأحاطوا بيته لينفذوا مؤامرتهم ولكن الرسول صلي الله عليه وسلم سجى علياً ببردته وأخذ بيده حفنـة من التراب وتلا عليهـا أوائـل سـورة يس إلى قولـه تعـالى:{فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩]، فـألقى النوم على أعـدائـه وخرج الرسـول محفوظاً بعناية الله ورعايته ووضـع التراب على رؤوسـهم دون أن يشعروا به ثم ذهب إلى بيت أبى بكر دون أن يراه أحد..

ثم خرج هو وأبو بكر من مكـة ليلاً فسـارا فى طريقهمـا حتى وصـلا إلى غار ثور وكانت هذه الليلة فى الثلث الأخير من شـهر صـفر فدخل أبو بكر الغار قبل رسـول الله ليتأكد من صـلاحيته ولما تـأكد من هذا دعا رسـول الله إلى الدخول فدخل معه واختفيا فيه أما المشـركون الذين كانوا قد ذهبوا إلى قتل رسـول الله فقد اسـتمروا فى نومهم العميق حتى خرج الرسول ونجا من كيدهم ومكرهم..

ولمـا اسـتيقظوا تبينـوا أن النـائم هـو علـى لا محمـد فـأيقنوا أنهـم قضـوا هـذه الليلـة فـى حراسـة علـى ولمـا علمـت قـريش بمـا حـدث جـن جنـونهم وثـارت ثـائرتهم وأيقنـوا أن مـؤامرتهم قـد أُحبطـت وأن محمـدًا قـد أفلـت مـن أيـديهم فـزاد غـيظهم وأكـل الحقـد قلـوبهم وأخـذوا يبحثـون فـى كـل جهـة وجعلـوا أجـراً كبيـراً لمـن يـاتهم بـه حيـاً أو ميتـاً فتتبعـوا آثـار أقدامـه حتـى وصـلوا إلـى بيـت أبـى بكـر فبحثـوا عنـه فلـم يجـدوه ولـم يتورعـوا عـن إهانـة أهـل أبـى بكـر ثـم خرجـوا فـى ثـورة جنونيـة يطلبـون الرسـول فتتبعـوا أقدامـه حتـى وصـلوا إلـى قـرب الغـار فانقطعـت أمـامهم آثـار الأقـدام فـزادت حيـرتهم و اسـتولت علـيهم الدهشـة فهـم بعضـهم أن يبحـث عنهمـا فـى الغـار وكـان الرسـول وأبـو بكـر يسمعان حديث المشركين خارج الغار..

فقال أبو بكر يا رسول الله لو أبصر أحدهم تحت قدمه لرآنا فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم :♂**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا▬** فتجلت آية الله الرائعة الكبرى فى حفظ النبى وصاحبه حيث رأى الرجل باب الغار قد سد بعنكبوت قد خيم على بابه بصورة تجعل الناظر إليه يعتقد أنه مخيم على باب الغار منذ مائة عام ثم رأى بجانب الغار يمامة ترقد على بيضها رجع الرجل إلى قومه وقال: إن باب الغار قد سد بالعنكبوت من قبل ميلاد محمد وما فعل الله هذا إلا ليصرف عن نبيه كيد الأعداء حتى تراجعوا خائبين وقد مكث الرسول صلي الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام حتى انقطع عنهما طلب الأعداء ثم خرجا وقابلهما بن أريقط بالراحلتين فأخذاه معهما إلى المدينة وسلك طريقاً غير الطريق المألوفة حتى لا يراهما أحد من الأعداء ورغم صعوبة هذا الطريق والتوائه فقد وصلا إلى قباء وبنى فيها النبى مسجداً ثم أقام فيها أربعة أيام ثم ذهبا إلى المدينة..

وكان أهل المدينة قد علموا بمقدمه فخرجوا لاستقباله بحفاوة رائعة بالغة الأثر معدومة النظير وسط الأناشيد الدينية والأرواح الطيبة المؤمنة القوية..

فدخل الرسول صلي الله عليه وسلم المدينة والمهاجرون والأنصار ملتفون حوله وهو فى وسطهم كالزهرة فى أكمامها حتى بركت ناقته أمام بيت أبى أيوب الأنصارى فقال:♂**هاهنا المنزل إن شاء الله▬**.

وحسب الأنصار قول الله فيهم:{يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩].

أيها المؤمنون..

هذه خلاصـــة موجزة لقصـــة الهجرة النبوية المباركة وإذا تأملنا فيها وجدناها بحق قصة طيبة مباركة لآثارها المترتبة عليها..

فقـد غيـرت صـفحة التـاريخ وبـدلت جحـيم المسـلمين نعيمـاً وشـقاؤهم سـعادة وذلهـم عـزاً وضـعفهم قـوة ولهـذا رأينـا عمـر بـن الخطـاب لمـا أراد أن يصـنع تاريخـاً للمسـلمين لـم يـر أمامـه أعظـم مـن حـادث الهجـرة النبويـة بالنسـبة لآثارهـا ولـذا اختارهـا مبـدأ لتاريخ المسلمين.

فـاتقوا الله أيهـا المؤمنون وخـذوا لأنفســـكم منهـا عظـة وعبرة والرسول صـلي الله عليه وسـلم لم يتكبد المشـاق المؤلمة إلا لأن يبلغ رســـالة ربه كما أمره ربه حتى يكمل الدين وتتم النعمة وقد حقق الله هذا بحمده تعالى..

فعليكم أن تحرصــــوا على هذا الدين الحنيف الذى أبلى فيه نبيكم بلاءً حسناً مشكوراً واحرصوا على هذا الدين أشد من حرصكم على تركـات أبـائكم وأجدادكم فـإن دين محمد خير تركـة إذا احتفظتم بـه وتمسكتم به حفظكم الله من الوقوع فى الضلال والإضلال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنة نبيه**▬.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

٥٠ ـ الدروس المستفادة من الهجرة النبوية المباركة

الحمد لله الذى لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه حفظ نبيه من كيد أعدائه حيث قد اصطفاه وبعنايته ورعايته كان يتعهده ويرعاه إن الله خبير بما يعملون ويحبط ما يبيتون ويدبرون.

وأشـــهد أن لا إله إلا الله أبطل مؤامرة المجرمين الذين أرادوا أن يطفؤوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. وأشـــهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشـــركون اللهم صـــلى على محمد وعلى آله وأصـحابه الذين اسـتعذبوا الموت فى سـبيل الاسـتمسـاك بدينهم.

الهجرة تمت بإذن الله ليفوت على المشـــركين ما كانوا قد بيتوه لرسـول الله صـلي الله عليه وسـلم من شـر وقد ربط الله بين الهجرة والنجاح فى الحياة فنوح هاجر وإبراهيم هاجر ولوط هاجر وكذلك يونس وموســـى لكن هذه الهجرات كانت من بلاد دون العودة إليها لكن هجرة محمد كانت مغادرة لمكة بنية العودة إليها فإذا كان إخضـــاع أهل مكة للإســـلام قد اســـتحال من الداخل فلا مفر من إخضاعها باقتحامها من الخارج وقد ودعها رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد أن قضى فيها ثلاثة عشر عاما فنظر إلى مكة وقال:♂**إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحبها إليَّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت**▬.

أسباب الهجرة: -

١ - إيذاء المشركين له.

٢ - محاولة قتله.

٣ - مقاطعة المشركين له ولعشيرته ثلاثة أعوام.

٤ - موت أبى طالب وخديجة فى السنة العاشرة من الدعوة.

٥ - نشر الإسلام فى مكان جديد.

٦ - الحفاظ على الفئة المستضعفة.

٧ - إذن الله لمحمد بالهجرة:{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ } [الأنفال: ٣٠].

الفكر العلمى فى الهجرة: -

أخفى الرسول موعد الهجرة فلم يعلم بها إلا أبو بكر وعلى - بعد أن حاصر الكفار بيته - وخرج فى الثلث الأخير من الليل إلى منزل أبى بكر ومنه خرج من فتحة فى ظهره وترك فى منزله علياً نائماً فى فراشه ومغطى بغطائه - واتخذ عبد الله بن أريقط دليلاً للطريق وهو مشرك لأن أبا بكر كان يثق به وكلف بإحضار راحلتين واتجه جنوباً ولم يتجه شمالاً وهو اتجاه لا يعرفه أحد ولجأ إلى غار ثور ليحقق مزيداً من التضليل وكلف الرسول عبد الله بن أبى بكر بتوصيل الأخبار إليه وكان عبد الله يسير فيترك أثراً فكان عامر بن فهيرة يرعى الغنم نهاراً فإذا جاء الليل مشى بالغنم وراء أقدام عبد الله ليزيل آثار أقدامه وبعد مرور ثلاثة أيام خرج صلي الله عليه وسلم من الغار..

من تضحيات المرأة المسلمة:

أمر أبو بكر ابنتيه أسماء وعائشة بإعداد الطعام والماء وشقت أسماء حزامها وعلقت الزاد والماء وحين رآها قال:♂**أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقاً فى الجنة**▬.

من تضحيات الرجال:

١ - صهيب بن سنان خرج مهاجرا وحاولت قريش منعه ولكنه هددهم بسيفه ودلهم على أمواله ولما وصل إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم قال له: ♂**ربح البيع أبا يحيى**▬ ونزل قول الله تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾} [البقرة: ٢٠٧].

٢ - مصعب بن عمير الذى مهد للهجرة حيث أرسله صلي الله عليه وسلم إلى المدينة ليعلم أهلها ولم يبق بيت إلا وفيه مسلم..

٣ - عامر بن فهيرة الذى قتله رجل من بنى كلاب ورفع إلى السماء علواً وقال فيه صلي الله عليه وسلم :♂**إن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين**▬.

أربع معجزات كونية حدثت فى رحلة الهجرة:

١ - ضرب الله على أعين المشركين فلم يروا محمداً وهو يمر من أمامهم:{ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾} [يس: ٩].

٢ - وتتبعت قريش آثار الأقدام حتى باب الغار لكن العناكب نسجت خيوطها ووجدوا حمامتين باضتا وأفرختا حتى قال بعض المشركين لبعض هذا وكأن لم يدخله أحد منذ مئات السنين وأبوبكر يسمع الكلام ويقول لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ولو وضع أحدهم يده فوق باب الغار لوضعها فوق رأسى ويقول له صلي الله عليه

وســـلم :♂يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ} [التوبة: ٤٠]ـــ.

٣ - سـراقة بن مالك: حاول اللحاق به حتى يظفر بجائزة وقدرها مائة ناقة ولكنه كان كلما اقترب من رسول الله غاصت حوافر فرسه فى الصخور ووقع على ظهره وفى المرة الثالثة استغاث برسول الله فأغاثه وهكذا جاء ســـراقة كافراً وعاد مؤمناً وكان رســـول الله وعده بأنه ســـيلبس ســـوارى كســـرى وتحقق هذا الوعد فى عهد عمر بن الخطاب حيث جيء إلى عمر بهذين السوارين مع التاج وكان سراقة جالساً فألبس سراقة السوارين فبكى وسأله عمر ما يبكيك؟ فحكى له ما دار بينه وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم.

٤ - شـــاة أم معبد حيث مر بخيمتها وســـألها عن تمر أو لحم فلم يجد إلا شـــاة فاســـتأذنها فى حلبها وكانت عجفاء لا لحم فيها ولا لبن فأمتلأت لحماً ولبناً ودعا بإناء كبير فحلب فيه وملأه فشـربت وسـقى صاحبه ثم شرب وملأه مرة أخرى وتركه وحين أتى زوجها فأخبرته بما كان فقال: إنه والله هو الذى تطلبه قريش ولو رأيته لطلبت منه أن يأخذنى معه.

معجزات على طريق النبوة تلقى أضـــواء فى طريق الإســـلام. وترسم المعالم الواضحة فى كل خطوة من خطوات سيد الأنام. يخرج على المشركين وهم واقفون أمام داره.

ويعجز سراقة أن يلحق به الأذى. ويجرى اللبن فى ضـرع الشـاة العجفاء.

من إلهامات الهجرة: –

١ - وافقت أمر الله ورؤيا محمد ومشورة مصعب:{رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا } [الإسراء: ٨٠].

٢ - وقد خرجا من الغار وقدما قباء وأقاما بها أربع أيام أسس فيها صلي الله عليه وسلم مسجد قباء وهو أول مسجد أسس فى الإسلام ووصل إلى المدينة فبنى مسجده وكان مما قال صلي الله عليه وسلم :♂**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**▬ وقال:♂**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى**▬ رواه مسلم.

٣ - وترك العشرات أرضهم وديارهم وأموالهم وهاجروا وليس معهم زاد إلا التقوى وهذا جندب بن ضمرة كان شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يقف على قدميه لكنه قال لأولاده اصنعوا لى سريراً واحملونى إلى رسول الله بالمدينة والله لا أبيتن هذه الليلة بمكانى وحملوه مهاجراً إلى رسوله الله فجاءه الموت عند التنعيم فوضع يده اليمنى على اليسرى كأنه يعاهد الله ويقول هذه لك وهذه لرسولك اللهم اكتب لى الهجرة فنزل قوله تعالى:{وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠} [النساء: ١٠٠].

٤ - وتحققت الثقة بوعد الله ونصره وانتصر الأمن وانتصرت الحرية على العبودية وتتحقق معنى الإيثار وغلبت المصلحة العامة على الخاصة.

٥ - وظهرت ألوان الجهاد وترك المعاصى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا } [النساء: ٩٧].

ويجمع الفقهاء على أن الهجرة الجسدية من مكان إلى مكان ليست مشروعة بعد أن اكتمل دين الله وتأسست دولة الإسلام وأصبح كل انسان مطالباً بخدمة دينه أيا كان موقعه وهذا هو المقصود بقوله صلي الله عليه وسلم :♂**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه**▬ فالهجرة انقطعت ولكن المفارقة للجهاد باقية وكذلك المفارقة لطلب الرزق وحياتنا تعتبر هجرة إلى ترك المعاصي والبحث عن الحلال فلنهجر فى بيوتنا ومجتمعنا كل ما يخالف دين الله.

تأسيس دولة الإسلام فى المدينة:

كانت المدينة تسمى يثرب وسماها صلي الله عليه وسلم طيبة ثم سميت بمدينة رسول الله.

١ - أنشأ بها مسجده.

٢ - اتخذ جماعة للمشورة عددها اثنا عشر من رؤساء المهاجرين والأنصار.

٣ - أمر بشق طريقين طويلين عمل فيهما بيده هو ومن معه.

٤ - اختار موقعاً أمر بتسويته ليكون مدافن للمسلمين وهو البقيع.

٥ - شجع البناء والزراعة.

٦ - شجع رجلاً معمارياً على إقامة قنطرة على الوادى.

٧ - وفى التنظيم العسكرى شجع على التدريب وإصابة الرمى والهدف بالسهام ولم يستغرق ذلك أكثر من عشرة أشهر وبدأ الزحف فى الشهر الحادى عشر بالسرايا والغزوات.

٨ - أنشأ سوقاً للبيع والشراء.

٩ - وآخى بين المهاجرين والأنصار.

١٠ - وأقام معاهدة بين المسلمين وغير المسلمين من سكان المدينة وكان صلي الله عليه وسلم هو الرئيس الأعلى.

١١ - أما فى التنظيم الأخلاقى فقد علمنا الشجاعة والثبات على المبدأ وحسن الخلق.

١٢ - وعلى ضوء هذه النظم فتح شباب الإسلام العالم عمرو بن العاص فتح مصر وطارق بن زياد فتح الأندلس وقتيبة بن مسلم فتح أَسيا وعقبة بن نافع فتح المغرب ومحمد بن القاسم فتح الهند.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٥١ ـ الموت وحقائق عنه

الحمد لله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور أحمده حمد عبد مؤمن بقضائه وأشكره شكر عبد مفتقر لرضائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء:{هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: ٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أحب الخلق إلى الله وأهداهم إليه سبيلاً جاهد فى الله حق الجهاد فصبر وصابر حتى أتم الله به الدين وظل طوال حياته عابداً لله حتى أتاه اليقين..

اللهم أدم صلاتك وسلامك وأزكى تحياتك عليه وعلى آله وأصحابه والمتمسكين بسنته.

أما بعد: فيقول الباقى جل شأنه:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾} [آل عمران: ١٨٥].

أيها المسلم لقد خلقك الله من الطين وجعل نسلك من سلالة من ماء مهين وسواك وعدلك فى قرار مكين ثم نفخ فيك من روحه ثم خرجت من ظلمات الرحم إلى الدنيا بشراً سوياً بعد أن كنت نسياً منسياً وقد تكفل لك ربك فى هذه الدار بالرزق:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦]، وسخر لك ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه..

ثم جعل لك السمع والبصر والفؤاد لتستطيع تدبير أمرك وتيسير سبلك وتحصيل رزقك ومع هذا لم يجعل لك الخلود فى الدنيا وإنما كتب عليك الموت ليحاسبك بعده على ما قدمت يداك.

قال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ } [المؤمنون: ١٢ - ١٦].

هذه سنة الله فى خلقه أجمعين حياة يعقبها موت ولا بقاء لاحد فى الدنيا ولا خلود ولو ارتضاها لأحد من خلقه لكان أولى بها الأنبياء والاولياء والصالحون وإنما أعد وراء هذه العاجلة دار باقية خالدة هى الآخرة يكون الناس فيها فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير..

قال تعالى:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾} [هود: ١٠٦ - ١٠٨].

فمهما طال فى الدنيا أجلك أو امتد فيها عمرك أو انبسط فيها أملك فإن مصيرك إلى الفناء ومرجعك إلى رب الأرض والسماء ولابد يوماً أن يشهر عليك الموت سيفه القاطع وتجرعك المنية من كونها المريرة..

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ::: يوماً على آلة حدباء محمولُ

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ::: يحور رماداً بعد ما هو ساطع

وما المال والأهلون إلا ودائع ::: ولابد يوماً ان ترد الودائع

وما خلق الله الموت والحياة إلا ليبتلى عباده ليظهر أيهم أحسن عملاً وأكثر طاعة ولكن الناس أصبحوا عن الموت غافلين وبالحياة لاهين وعلى زخارف الدنيا مقبلين يختطف الموت من بينهم كل يوم من بينهم عزيز أو عظيم أو يمتحنهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات فلا هم بالموت يعتبرون ولابالبلاء يزدجرون كأنهم فى صون من نوائب الزمان ومن تقلبات الدهر فى حفظ وأمان ولم يعتبروا بقول القائل..

رأيت الدهر يأكل كل حى ::: كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تُبقى المنية حين تغدو ::: على نفس ابن آدم من مزيد

١ - لقد شغلتهم الدنيا عن لقاء ربهم فلم يعدو له العدة ولم يتأهبوا للسفر عن دار شبهها رسول الله صلي الله عليه وسلم بشجرة ظليلة لا يلبث المسافر أن يستظل بها قليلاً حتى يقوم ويتركها: **(بعض ما ينبغى للميت أمور لابد منها):**

من حضر الميت أثناء خروج الروح فعليه أن يكثر من ترديد الشهادة ليذكر المحتضر ذلك قال صلي الله عليه وسلم :♂**إذا حضر أحدكم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون ما تقولون▬** رواه النسائى.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**لقنوا مواتكم لا إله إلا الله فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار▬** رواه مسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**من كان آخر كلامه لا إله الا الله دخل الجنة▬** ويستحب أن يقرأ عنده سورة يس لقوله صلي الله عليه وسلم :♂**ما من مريض يقرأ عنده سورة يس إلا مات ريانا وأدخل قبره ريان وحشر يوم القيامة ريان▬** رواه مسلم.

٢ - ما يجب للميت قال صلي الله عليه وسلم :♂**إذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وانجزوا وصيته وجنبوه الجار السوء**▬ قالوا: يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة؟ قال:♂**وهل ينفع فى الدنيا؟**▬ قالوا: نعم، قال:♂**كذلك ينفع فى الآخرة**▬ رواه البخارى ومسلم.

٣ - وإذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء ومن الأدعية: " اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله وأغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب البيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خير من أهله وزوجاً خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب النار ".

٤ - البكاء على الميت لا شئ فيه فقد تساقطت دموع رسول الله صلي الله عليه وسلم عند موت ولده إبراهيم وقال:♂**إن العين لتدمع وأن القلب ليحزن ولا نقول ما يغضب الرب وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**▬.

٥ - ومن شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان والقيراطان مثل الجبلين العظيمين وما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه.

٦ - وتشييع الجنازة فرض كفاية وتكون للرجال بالمشى أمامها لا وراءها وأما النساء فيكره تشييعهن إلا إذا أخيفت الفتنة فيحرم... وإن تشييع الجنازة ليس مجاملة بل هو توديع للميت إلى الدار الآخرة والشافعية قالوا: إن المشيع شفيع فيندب أن يكون أمام الجنازة سواء كان راكباً او ماشياً.

٧ - ويستحب أن يستغفر المشيعون للميت عند الانتهاء من دفنه ويسألون الله له التثبيت قال صلي الله عليه وسلم :♂ما الميت فى قبره إلا كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق أو ولده فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها—.

وإن هدايا الأحياء للأموات تصلهم مثل الدعاء وقراءة القرآن وقال صلي الله عليه وسلم :♂ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم— فاتعظوا بالموت لأن الموت خير واعظ ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه وكفى بالموت واعظاً.

وخطب رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله فقال:♂أيها الناس: إن لكم معالم فانتهو إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم فإن العبد بين مخافتين بين أجل قد مضى_ لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشباب قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار— وقال صلي الله عليه وسلم :♂أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا—.

" توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ".

* * *

٥٢ ـ الغيبة وخطرها

الحمد لله الذى أنزل القرآن مفصلاً لجميع الأمور وجعله موعظة وشفاء لما فى الصدور

أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرم الغيبة والنميمة والحسد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع سنته وتمسك بشريعته إلى يوم الدين

أما بعد.... فيقول الله العلى الكبير جل شأنه:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾} [الحجرات: ١٢].

أيها المسلمون:

إن من أخطر آفات اللسان: الغيبة وهى أن تذكر أخاك بما يكره سواء أكانت فيه العيوب التى أسأته بها أم ليست فيه.

يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**هل تدرون ما الغيبة؟**▬.

قالوا الله ورسوله أعلم، قال:♂**ذكرك أخاك بما يكره**▬.

قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول..

قال:♂**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**▬ رواه مسلم أي: رميته بالبهتان والباطل.

وإن من أعظم الذنوب أن يذكر المسلم أخاه فيمزق عرضه ويستسيغ غيبته ويرميه بالفحش والسوء بدافع الحقد والتشفى أو بدافع التندر والتفكه وأن ذلك فى نظر الإسلام من أقبح الزور..

فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لأصحابه :♂**أتدرون ما أربى الربا عند الله؟**▬ قالوا: الله ورسوله أعلم..

قال :♂**إن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم**▬ ثم قرأ رسول الله صلي الله عليه وسلم :{ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾} [الأحزاب: ٥٨].

وأن تتلمس المصائب للناس وإلصاقها بهم يدل على لؤم الطبع وخبث النفس ولذلك كان حقاً على الله أن يذيب فى نار جهنم من يرمى أخاه المسلم بأمر هو منه بريء..

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو برئ منها ويشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار**▬ رواه أحمد فى مسنده.

ومن آداب الإسلام التى شرعها لحفظ المودة واتقاء الفرقة: تحريم الغيبة لأنها كثيراً ما تكون سبباً فى تكدير الصفو وتغير القلوب بين الناس ولذا كان النبى صلي الله عليه وسلم ينهى أن يبلغه ما يسوؤه عن أصحابه فقال:♂**لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر**▬ رواه مسلم.

فيجب على كل مسلم يخشى الله أن يتقى ربه فى أعراض المسلمين فلا يشيع عنهم قالة السوء ولا يذكرهم بما يؤذى كرامتهم أو يشوه سمعتهم وينبغى أن تتوافر الجهود لمحاربة هؤلاء المحرضين الذين يروجون الإشاعات الباطلة التى من شأنها أن توقع الفتنة بين الناس فرب كلمة أشعلت الحروب لأن جاهلاً نقلها ونفخ فيها.

ولو أن كل مغتاب وجد إعراضـاً من سـامعيه وعدم الالتفات إليه لماتت كل فتنة فى مهدها، ولاسـتطعنا القضـاء على هذا المرض الاجتماعى الخطير الذى يهدد المجتمع بأوخم العواقب لما يترتب عليه من الأحقاد والعداوات وتفريق الشمل وتمزيق الوحدة وقد ساق الله لنا عظة وعبرة فيما قصـه القرآن الكريم.. من حادثة الإفك التى رميت بها أم المؤمنين عائشة.

فلقد اغتابها بعض الناس فرموها بما هى بريئة منه ولقد روج بعضهم مسامع الإشاعة الأثيمة حتى وصلت إلى مسامع رسول الله صلي الله عليه وسلم

ولكن الله سـبحانه وتعالى قضـى على إفكهم وما روجوه من الإشاعات الباطلة ونعى على القائمين بهذا الإفك فى ثمانية عشر آية نزلت فى القرآن الكريم وختمت هذه الآيات بحكم الله عز وجل القاضى ببراءتها من هذا الإفك الذى رميت به ووعد الله لها بالمغفرة والرزق الكريم.

ولقد أوضحت لنا عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها معنى الغيبة فقالت ما خلاصـته (دخلت على امرأة لقضـاء حاجة لها وبعد أن خرجت قلت لرسـول الله صـلي الله عليه وسـلم إنها لقصـيرة) فقال صـلـي الله عـلـيـه وسـلـم:♂**لقد اغتبتها يا عائشة**▬ فقلت: أبشـيء خلقه الله فيها يا رسـول الله، قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم : ♂**أوليست تكره ذلك؟**▬ رواه مسلم.

وحسبكم أيها المؤمنون:

أن الله شـبه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً فى أسـلوب قوى مملوء بالتنفير من الغيبة والتحذير منها حيث يقول:{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} [الحجرات: ١٢].

وحسبكم أيضاً قول الله تعالى فى قصة الإفك:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾} [النور: ١٩].

فاتقوا الله أيها المسلمون:

ونقوا صدوركم من أدران الحقد والحسد وطهروا صفوفكم من النمامين والمغتابين بمحاربتهم والإعراض عنهم حتى تبور أمامهم السوق هدانى الله وإياكم سبل الرشاد ووفقنا إلى ما يحبه الله ويرضاه

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**لا تسبوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى جوف بيته**▬ رواه البخارى ومسلم.

وقال صلي الله عليه وسلم :♂**من اغتاب مسلماً جاء يوم القيامة ولسانه معقود على قفاه لا يحله إلا عفو الله وعفو من اغتابه**▬ رواه مسلم.

توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

* * *

٥٣ ـ النميمة وخطرها

الحمد لله الذى أمرنا بالعمل على جمع كلمة المؤمنين ونهى عن كل ما يؤدى إلى الإيقاع بين الناس وتفريق صفوف المسلمين. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.

جعل النميمة أساس الإيقاع والفرقة والمشاحنات والبغضاء بين المتحابين المؤتلفين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له نهى عن الإفساد بين الناس والفساد فى الأرض وحذر من هذا فقال:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ } [يونس: ٨١].

{ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ } [الروم: ٤١].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله حرْم نعيم الجنة على جميع الوشاة والنمامين. اللهم صل وسلم وبارك على آله وأصحابه الذين فطم الله ألسنتهم وجوارحهم عن ايذاء المسلمين... أما بعد..

فياعباد الله يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ } [الحجرات: ٦].

أيها المؤمنون:

إن هذه الآية الكريمة ترشدنا إلى أمرين هامّين لكل منهما آثاره:

أمـا أحـدهمـا: فهو الاتجاه إلى ناحية أخلاقية كريمة هامة لو أخذ جميع الناس أنفسـهم بها لسـاد السـلام وعمّ الوئام بين جميع أفراد البشرية تلكم الناحية الأخلاقية هى ناحية التحرى والتثبيت من صحة كل خبر ينتقل إلينا من كل من نشك فى صدقه.

فلو أن كل إنسـان سلك سبيل التحرى الدقيق عن كل ما ينقل إليه من الأخبار المثيرة المهيجة لسلم المجتمع من الآفات الهدامة المهلكة وعاش الناس جميعا فى أمن واطمئنان وسـلام متحابين متآلفين وبهذا يتم للمسلمين بناء مجتمع صالح يسوده الهدوء والاستقرار على أساس متين من الإخـاء والمودة والترابط والتضـامن والتعـاون وهـذا هو مايهدف إليه المصلحون.

أما ثانى الأمرين:

فهو وضـع حد قوىّ للقضـاء على جريمة النميمة وأغراض النمامين.

والنميمة ياعباد الله هى السـعى بين الناس بالفسـاد عن طريق الوشـايات الأثيمة ونقل الأخبار المهيجة للعواطف رغبة فى الإيقاع بين الناس والسير بهم إلى مواطن الهلاك والندم.

وإذاً فالنميمة من أبشـع الجرائم وأشـدها قبحا وأسـوأها أثراً وأعظمها خطراً فكم من بيوت تخربت وكم من أطفال تيتمت وكم من نساء ترملت وكم من دماء قد سفكت.

كل هذا بسـبب جريمة النميمة البغيضـة المتكررة ولهذا نرى الله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى طريق الخلاص من هذه الجريمة ويحذرنا من الوقوع فى آثارها فإذا سمعت أىْ خبر مثير ممن تشك فى صدقه فعليك ألاّ تصـدقه حين يلقى عليك لأول مرة بل يجب أن تبادر إلى التثبت من صحة هذا الخبر فإذا تبين لك كذبه فقائله هو النمام

فأعرض عنه وصدّ عنه واسلك معه السبيل الذى يمنعه من السير فى نميمته بكل مايمكنك من الأساليب الرادعة الزاجرة تقى الأمة من شرور لسانه ومن سوء ضميره وسوء خلقه ودناءة طبعه.

أما إذا وجدته صادقاً فعليك أن تسلك سبيل العفو والصفح عن المسيء لنفسك الأجر عند الله ممتثلا قوله تعالى:{خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾} [الأعراف: ١٩٩].

أما إذا صدّقت كل ما ينقل إليك من الأخبار المثيرة ولم تحاول التحرى عنها لتتثبت من كذبها أو صدقها فربما استولى عليك الغضب وحملك على أن تنتقم ممن بلغك عنه على لسان النمام ما يسيئك وقد يتضح لك أخيرا أنه بريء مما نسبه النمام إليه فإنك فى هذه الحالة ستصبح نادما كل الندم على ما فعلته معه من أنواع الانتقام ولا ينفع الندم والذى جر عليك هذه الويلات كلها هو النمام وعدم امتثاله لأمر الله بالتثبت من صحة كل ما ينقل إليك على ألسنه النمامين قد يظن بعض الناس بالنمامين خيرا ويفهم بعضهم فى هذا الواشى أنه مخلص له قد أراد نصحه وتحذيره من أعدائه ولكن هذا المسكين قد نسى أن هذا الواشى النمام قد نقل عنه أكثر مما نقل له وسيقول للناس عنه أكثر مما قاله له عن الناس لأن هذا مرض ملازم للنمام يرى فيه متعة نفسية له وإلى هذا يشير الرسول صلي الله عليه وسلم فيقول:♂**من نمّ لك نمّ عليك**▬ رواه مسلم.

وحسبكم فى قبح النميمة ما ورد فى بعض الآراء أن مما يفطر الصائم أو يحبط ثوابه: الغيبة والنميمة.

وقد قال صلي الله عليه وسلم :♂**لا يدخل الجنة نمام**▬ رواه مسلم.

وكذلك النمام يأتى يوم القيامة على صـــورة القردة فاتقوا الله أيها المؤمنون واحـذروا كيـد النمـامين واحـذروا غيركم من الوقوع فى فخاخهم واقطعوا على النمامين سبيلهم وامتثلوا أمر الله فى التثبت من كل ما ينقل إليكم من الأخبار التى تحتمل الصـــدق والكذب لتسـلموا وتسلم معكم أمتكم تبنوا لوطنكم مجتمعاً قويا من المواطنين الصالحين المتعاونين كالبنيان يشد بعضه بعضا وهذه غاية دونها كل غاية وهى أمنية المصلحين وأنشودة العاملين وشعار المؤمنين.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**إن من أشد الناس عذاباً يوم القيـامـه ذا الوجهين**ـــ قالوا: ومن ذو الوجهين يا رســول الله؟ قال الرسول صلي الله عليه وسلم : ♂**ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللســانين ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين**ـــ رواه أبو داود.

* واللعن. معناه الطرد: من رحمة الله.

وروى من حديث معاذ بن جبل قلت: يا رســول الله! أرأيت قول الله تعالى:{يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾} [النبأ: ١٨]، فقال النبى صلي الله عليه وسلم :♂**يا معاذ بن جبل: لقد سألت عن أمر عظيم**ـــ ثم أرسل عينيه باكيا، ثم قال:♂**يحشر من أمتى** (١) **أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين، وبدل صورهم فمنهم:**

١- على صورة القردة.

٢- وبعضهم على صورة الخنازير.

٣- وبعضهم منكسون: أرجلهم أعلاهم، ووجوههم يسحبون عليها.

(١) بالرجوع إلى: تفسير القرطبى، الجزء العاشر، تفسير سورة النبأ (ص ١٥٣).

٤- وبعضهم عمى يترددون.

٥- وبعضهم صم بكم لا يعقلون.

٦- وبعضهم يمضغون ألسنتهم، فهى مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع.

٧- وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم.

٨- وبعضهم مصلبون على جذوع من النار.

٩- وبعضهم أشد نتنا من الجيف.

١٠- وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من قطران لاصقة بجلودهم.

١- فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس (يعنى النمام).

٢- وأما الذين على صورة الخنازير، فأهل السحت والحرام والمكس.

٣- وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم، فأكلة الربا.

٤- والعمى: من يجور فى الحكم.

٥- والصم البكم: الذين يعجبون بأعمالهم.

٦- والذين يمضغون ألسنتهم: فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم.

٧- والمقطعة أيديهم وأرجلهم: فالذين يؤذون الجيران.

٨- والمصلبون على جذوع النار: فالسعاة بالناس إلى السلطان.

٩- والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله من أموالهم.

١٠- والذين يلبسون الجلابيب: (فأهل الكبر والفخر والخيلاء ـــ.

توبوا إلى الله جميعاً لعلكم تفلحون.

* * *

٥٤ ـ الحسد وأثره

الحمد لله الذى أوعد بالشقاء والهلاك والخسران طوائف الحاسدين..

أحمده حمد الشاكرين وأتوب إليه توبة النادمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى.. وأشهد أن محمداً عبده ورسول الرحمة ونبى الهدى صلوات الله وسلامه وأزكى تحياته على هذا النبى الكريم والرسول العظيم وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

بسم الله الرحمين الرحيم:{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾} [الفلق: ١ - ٥].

أيها المسلمون..

الحسد هو أن يتمنى الحاسد زوال نعمة الغير بدافع الحقد الذى امتلأ به قلبه. والحسد مرض خطير من أمراض القلوب فيضر الحاسدين فى دينهم ودنياهم ولكن لا يضر المحسود فى شيء لأن نعم الله التى أسبغها على عباده لا تزول بالحسد وإلا ما بقى على الأرض من يستمتع بنعمته. فالله سبحانه وتعالى هو القابض والباسط الذى يكشف الضر ويريد الخير:{وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ} [يونس: ١٠٧].

إذا لماذا يأمرنا الله أن نستعيذ من الحاسدين؟

ذلك لأن الحسد يدفع صاحبه إلى الكيد للمحسود وتحين الفرصة لإيقاع الأذى به ومن ثم فلا يكون للمرء ملجأ منه إلا الله وحده فهو القادر على كف أذاه عن المحسود وإحباط سعيه ورد مكره إلى نحره..

ولسـت أدرى لم يتحاسـد الناس وقد علموا أن زهرة الدنيا لا تدوم لأحد وأنهم لابد عنها راحلون وإلى ربهم راجعون؟ ولكن قـاتل الله الحقد الدفين والبغض الدفين الذى يضـطرم فى قلوب الحاسـدين فيدفعهم إلى كراهية الناس وتمنى زوال ما هم فيه من نعمة.

ويحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله ثم يغريهم بالأذى ويدفعهم إلى الكيد ليشفى صدورهم الجريحة وتستريح نفوسهم المريضة.

وبذلك يكون الحسد باباً من أبواب الجرائم وسبباً فى اضطراب الأمن وعاملاً فى نشر الفساد بين الناس، ولذا لم يكن عجيباً أن يبرأ النبى صلي الله عليه وسلم من الحاسدين فيقول:♂**ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه**▬ رواه أبو داود.

والحاسدون يذهب الله تعالى بحسناتهم ويهديها إلى المحسودين وبذلك يلقون ربهم يوم القيامة مفلسين محرومين.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**▬ رواه مسلم.

ولن تستقر أحوال مجتمع من المجتمعات إلا إذا ساد بين أفراده الحب والإخاء وربطت بينهم أواصر التفاهم والتضامن والتكافل وصاروا جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

ولن يكون هذا الوضع أو تتحقق هذه الغاية، إلا إذا حل السلام محل الخصام وانتزع الحسد من القلوب وطهرت النفوس من أدرانه الخبيثة حتى تصفو جوانبها ويشرق عليها شعاع من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم :♂**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**▬ رواه مسلم.

وقد روى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه رأى فى ظل العرش رجلاً فقال: (إن هذا لكريم على ربه).

وسأل ربه أن يخبره عن اسمه فلم يجبه وقال أخبرك عن عمله بثلاث: (كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه، وكان لا يمشى بين الناس بالنميمة).

أيها المسلمون:

لكى ينال المسلم هذه الدرجة الرفيعة عند ربه يجب عليه أن يطهر قلبه من الحسد وأن يستعين على ذلك بذكر هاذم اللذات، فقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه: (ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده).

وخير ما جاء به الإسلام من نصح وإرشاد للسلامة من هذه الأمراض والنجاة من شرها أن يتقى الواحد منا ربه وأن يخاف عقابه وأن يتأدب بآداب الدين.. وإذا بلغه حسد حاسد أو حديث مغتاب أو نمام فليقابل الجهل بالعلم والإساءة بالصبر فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه قال النبى صلي الله عليه وسلم :♂**واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان لأن كل ذى نعمة محسود**▬ من حديث للبخاري.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

♂**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من حسد**▬ رواه البخارى ومسلم.

وإنى لأعجب من قوم يتألمون لوجود الخير عند إخوانهم كأنهم هم الذين يعطونهم الخير والسعادة وكأن الله يأخذ ذلك من خزائنهم ويمنحها غيرهم.

والعجب... العجاب!!! للإخوة الذين يحسدون إخوتهم على نعم الله ورأوا ما حدث لإخوة يوسف حينما حسدوه على منزلته من أبيه وبيان كراماته فدبروا قتله ولكن الله حفظه من كيدهم وعلمه تأويل الأحاديث وملكه خزائن الأرض ودار الزمان دورته وجاء إخوته متذللين طالبين منه الزيادة والتصدق عليهم ولما عرفوه طلبوا منه العفو والمغفرة فعفا عنهم وآواهم وأكرمهم!!!

فهؤلاء إخوته وكلهم أولاد نبى ومع ذلك دخل الحسد قلوبهم فعاقبهم الله بالتفكك والتشرد وجازى المحسود بالخيرات الجزيلة والنعم الكثيرة.

هكذا أيها المسلمون يكون الجزاء من جنس العمل والأعمال بالنيات ومن يحفر لأخيه حفرة يقع فيها!!!

فاتقوا الله أيها المسلمون وتوبوا إليه واحمدوه على نعمه التى لا تحصى وحصنوا أموالكم بالصدقات والتقوى وتعاونوا ولا تنازعوا ولا تباغضوا تكونوا من المهتدين.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٥٥ ـ نعت الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين. هو ولى الصابرين. نسألك الصبر على البلاء. والرضا بالقضاء ونسألك الشكر فى الرخاء. اجعل أول هذا النهار نجاحا وآخره فلاحا. اللهم اجعل يومنا خيرا من أمسنا. وغدنا خيرا من يومنا. واجعل خير أيامنا يوم لقائك يا رب العالمين.

اللهم وسع أرزاقنا وبارك لنا فيما أعطيتنا. اللهم اهدى أولادنا ويسر أمورنا. وبصرنا بعيوبنا. واشف مرضانا. وارحم موتانا... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إذا وقف العباد فى ساحة القضاء يوم القيامة نادى الله عز وجل: يا جبريل إنى أرى فلانا فى صفوف أهل النار..

فيقول جبريل: يا رب إنا لم نجد له حسنة يعود عليه خيرها فيقول الله عز وجل يا جبريل انى أسمعه فى دار الدنيا يقول: يا حنان يا منان فهل من حنان ومنان غيرى فيأخذه جبريل إلى صفوف أهل الجنة..

يا من له علم الغيوب ووصفه ::: ستر العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى ::: كرما فليس عليه ثم جناح
منك التفضل والتكرم والرضا ::: أنت الإله المنعم الفتاح

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة ندرك بها الفوز والفلاح يوم الحساب..

اللهم إنا نســألك علما نافعا. ورزقا طيبا وعملا متقبلا اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا. وشفاء صدورنا اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا اللهم احفظ مصـــر من الفتن ما ظهر منها وما بطن اللهم وحد صفوف المسلمين واعل بفضلك كلمتى الحق والدين اللهم ولى أمورنا خيارنا ولا تولى أمورنا شــرارنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر. واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

إن الله يأمر بالعدل والإحســـان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون.

* * *

الفهرس

* * *